



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ

الشريف عون الرفيق وعلاقته بالدولة العثمانية وولاتها في الحجاز

(١٢٩٩ - ١٣٢٣هـ / ١٨٨١ - ١٩٠٥م)

دراسة تاريخية حضارية

مطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب

سمير حمدي عبد الله الحسني

الرقم الجامعي (٤٣١٨٠٢٨١)

إشراف

الأستاذ الدكتور / عمر سالم بابكور

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

ملخص الرسالة

الرسالة بعنوان: الشريف عون الرفيق وعلاقته بالدولة العثمانية وولاتها في الحجاز في الفترة

(١٢٩٩-١٣٢٣هـ / ١٨٨١-١٩٠٥م)

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛

تناولت هذه الرسالة موضوع الشريف عون الرفيق وعلاقته بالدولة العثمانية وولاتها في الحجاز، وقد اشتملت الرسالة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وملاحق.

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، كما ذكرت الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، وأهم الصعوبات، وتلى ذلك عرض لأهم المصادر والمراجع التي استخدمت في البحث.

التمهيد: اشتمل على نبذة تاريخية عن إمارة مكة المكرمة، وعلاقة أمراء مكة بالدولة العثمانية قبيل فترة البحث، وبداية علاقات ولاية الدولة العثمانية بإمارة مكة المكرمة قبيل فترة البحث.

الفصل الأول: تطرقت في الحديث فيه عن سيرة الشريف عون الرفيق. واحتوى على مبحثين هما: نسبه ومولده ونشأته، وحياته ووفاته.

الفصل الثاني: سلط الضوء على علاقة الشريف عون الرفيق بالدولة العثمانية، كما شمل الإنجازات الحضارية. واحتوى على مبحثين هما: علاقة الشريف عون الرفيق بالدولة العثمانية، والإنجازات الحضارية.

الفصل الثالث: بينت فيه علاقة الشريف عون الرفيق بولاية الدولة العثمانية في الحجاز، واحتوى على مبحثين: علاقة الشريف عون الرفيق بولاية الدولة العثمانية في الفترة (١٢٩٩-١٣١٠هـ / ١٨٨٢ - ١٨٩٢م)، وعلاقة الشريف عون الرفيق بولاية الدولة العثمانية في الفترة (١٣١٠-١٣٢٣هـ / ١٨٩٢-١٩٠٥م).

الخاتمة: ذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

اسم الباحث	المشرف على الرسالة	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
سمير حمدي الحسني	أ.د/ عمر سالم بابكور	أ.د/ غازي مرشد العتيبي

Abstract

Title of the thesis :

Sharif Awn al-Rafiq,
and his relationship with the Ottoman state and its governors in the
Hejaz during the period

(1299 – 1323 AH / 1881 -1905 AD)

Great thanks to Allah and peace be upon his last prophet.

Then

This thesis is dealing with the subject of " Sharif Awn al-Rafiq, and his relationship with the Ottoman state and its governors in the Hejaz during the period (1299 - 1323 AH / 1881 -1905 AD) ". IT is composed of an introduction, a preparation , three chapters , a conclusion , an index for the most important resources and the references .

*** An exposition in the preparation :**

It is a historical overview about The Emirate of Mecca and the relationship between the princes of Mecca and the rulers of the Ottoman. As well as the beginning of the Ottoman State rulers' relationship with the Emirate of Mecca before the research period.

*** In the first chapter :**

It talked about Sharif Awn al-Rafiq's biography. It includes two sections which are: his lineage, his upbringing, his praise, his life and his death.

*** In the second chapter :**

It focuses on the relationship between Sharif Awn al-Rafiq and the Ottoman state. It, also, includes the civilization achievements. It includes two sections which are: the relationship between Sharif Awn al-Rafiq and Sultan Abdul Hamid II , as well as the civilization achievements.

*** In the third chapter :**

It shows the relationship of Sharif Awn al-Rafiq with the rulers of the Ottoman Empire in Hejaz. It includes two sections which are: the relationship of Sharif Awn al-Rafiq with the rulers of the Ottoman Empire during (1299 - 1310

AH / 1882 - 1892 AD), and the relationship of Sharif Awn al-Rafiq with the rulers of the Ottoman Empire during (1310 - 1323 AH / 1892 - 1905 AD).

*** In the conclusion :**

The conclusion includes the most important results that the researcher has achieved.

The researcher

supervisor

Dean of the Faculty of

Shari'ah and Islamic Studies

Sameer Hamdi Al Hassani

Dr. / Omar Salem Babkur

Dr. / Ghazi Murshid Al Otaibi

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي
وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ﴾

سورة الأنعام، آية ١٦٢-١٦٣



إلى أسرتي الرائعة ...

أبنائي الأحباء ...

وشريكة العمر

أهدي هذه الدراسة

شكر وتقدير

يسجد الباحث حمدا وشكرا لله تعالى، على ما أنعم به من جهد وصبر لإتمام هذا العمل، ولا يسعني في هذا المقام سوى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير، الى سعادة الأستاذ الدكتور / عمر سالم بابكور، على تكرمه بالإشراف على هذه الأطروحة، وعلى ما بذله معي طوال سنوات البحث والدراسة، من صدق النصح والتوجيه والإرشاد، فما في هذا البحث من مواطن قوة وصواب، فالفضل فيه يرجع لله تعالى، ثم للمشرف على هذه الرسالة.

كما يتقدم الباحث بأسمى آيات الشكر، وعميق التقدير، إلى الأستاذين الكريمين، على تفضلهما بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، وعلى أن أتاحا الفرصة للباحث، لينهل من فيض علمهما الغزير، وأن يحيز شرف الانضمام إلى طلابهما، ومدرستيهما العلميتين المتميزتين.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى كل أساتذتي الأجلاء بقسم التاريخ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، الذين نهلت من فيض علمهم وخلقهم الكريم. وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور عايض بن خزام الروقي والذي استفدت من المعلومات التي قدمها لي في البحث وفي خبرته العلمية. كما أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور عبد الله بن حسين الشنبري في رعايته العلمية وتقديم يد العون والمساعدة والمشورة.

كما أشكر سعادة الدكتور سعد الدين أونال والذي قدم مساعدة كبيرة في البحث والتعرف على الوثائق العثمانية.

كما أتوجه بخالص الشكر للأستاذ الدكتور/عطا أبو رية، أستاذ التاريخ الإسلامي، ورئيس هيئة تحقيق التراث العربي بجامعة الطائف، على ما قدمه لي من عون ونصح وتوجيه،

وما حباني به من غزير علمه، ومكتبته العلمية الزاخرة بصنوف المجلدات والمصادر والمراجع النادرة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما اتقدم بشكري لسعادة الدكتور أحمد الشوادي على مراجعته اللغوية للبحث.

كما اشكر الأستاذ يوسف الصبحي والذي قدم لي بكل ما يلزم البحث من مخطوطات ومعلومات قيمة أثرت البحث.

كما اتقدم بخالص شكري وتقديري لسعادة الأستاذ عبد الله بن معاوض القشامي مدير مدرسة عبد الله بن المبارك المتوسطة بمحافظة الطائف في تسهيل أموري في عملي من أجل أعداد البحث.

وإلى من قال فيهما الرحمن (وَاحْفِضْهُمَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)، فألى والدتي الحبيبة، التي أعانتني بدعائها، وما وسعها من طاقة وجهد، فجزاها الله عني خير الجزاء.

وإلى من حرمني القدر بدعائه لي في هذا اليوم، وحسبي أنه إلى جوار خالقه الأرحم به مني، إلى والدتي الحبيب، رحمه الله، وجمعي به في مستقر رحمته، اللهم آمين.

وإلى أبنائي الأحباء طارق ومؤيد وجواد، عسى الله أن ينفعي بدعائهم لي يوم لا يبقى من المرء سوى صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، وعساهم أن يكونوا.

وإلى شريكة الحياة ورفيقة الكفاح، التي بذلت معي -طوال سنوات البحث - من الصبر والجهد، الكثير والكثير، بارك الله لي فيها. وجزاها عني خير الجزاء.

وإلى كل من أسهم بفكر، أو برأي، أو بجهد، لكي يخرج هذا العمل إلى النور وتكتب له الحياة، والحمد لله تعالى في الأولى والآخرة.

الرموز المستخدمة في البحث

الرمز	ما يدل عليه
م	رقم المجلد
ج	رقم الجزء
ع	رقم العدد
ص	رقم الصفحة
ق	عدد أوراق المخطوط
س	السنة
(د . م)	دون مكان نشر
(د . ن)	دون دار نشر
(د . ت)	دون تاريخ نشر
ت	تاريخ وفاة المؤلف

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الأول بلا بداية، والباقي بلا نهاية، تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه، الحمد لله على متتالي آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تقوم ببعض ما يجب علينا لسوابغ نعمه، وواسع كرمه، وعظيم فضله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وإمام خلقه وحبيبه، معلم البشرية، وسراجها المنير، تركنا على المحاجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. لقوله صلى الله عليه وسلم (تركتم فيكم، ما إن تمسكتم به، فلن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وسنتي)

وبعد ،،،

فستظل أرض الحجاز - بما تحمله بين ثراها من عبق مقدس ، وتاريخ تليد - منهلاً عذباً، يمدنا بذلك الزخم الهائل من الأحاسيس والمشاعر، التي تملأ كياننا العربي اعتزازاً وفخاراً، وتدفعنا باستمرار، إلى التغني بما أنجزته حضارة الإسلام والمسلمين في تلك البقاع الطاهرة، كما سيظل تاريخ بلاد الحجاز مورداً عذباً، نستقى منه ما يثري واقعنا المعاصر على كافة مستوياته، الأدبية، والفكرية، والعلمية، والفقهية، ليغذي وجداننا، كما غذى وجدان من سبقنا، من قرائه ومتذوقيه، ولا يخال الباحث مبالغاً، إن قال بأن هذا التراث التاريخي سيظل حياً، على مدى حقب التاريخ المتلاحقة، وتعاقب أجيال الباحثين، والدارسين، يكتشفون منه كل يوم جديداً، ويتابعون باستمرار، ما قد تجود به الأيام، من كنوز هذا القطر، الذي يحتل مكان القلب في جسد عالمنا الإسلامي، وأمتنا العربية، على حد سواء .

فبلاد الحجاز تمثل حالة فريدة في تاريخ الدولة الإسلامية، لأنها الحالة التي تمثل قيام حضارة متميزة كانت مزيجاً من ثقافة الإسلام، والثقافة الوطنية التقليدية الأصيلة لتلك

الأرض، وقد ازدهرت تلك الحضارة ازدهاراً لافتاً تركت بفضلها بصماتها على التاريخ الإسلامي، والتاريخ العالمي على حد سواء.

إلا أن بلاد الحجاز عاشت - في تاريخها القريب - سلسلة من التقلبات الحضارية، و الصراعات السياسية، كان لها الأثر البالغ على وجودها المادي والحضاري، فبعد أن تمكن السلطان العثماني سليم الأول من ضم مصر إلى حوزة الدولة العثمانية عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م، تبع ذلك بضم بلاد الحجاز - سلمياً - تحت رايته، وقد كان أمراء مكة من الأشراف - قبل تلك الفترة - شبه مستقلين بالحكم في الحجاز، واستمر الوضع على هذا النحو، حتى سيطر محمد علي باشا على الحجاز في عام ١٢٢٦ - ١٢٥٥ هـ / ١٨١١ - ١٨٤٠م، عندما كلفته الدولة العثمانية بمهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى. ثم تمكنت الدولة العثمانية من استعادة الحجاز من محمد علي باشا، وقامت بتغيير نظام الحكم فيها، حيث أصبح الحكم في الحجاز ثنائياً، بين أمراء مكة، وولاية الدولة العثمانية.

وعندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة، وجلس على عرش السلطنة في عام ١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩م، كانت الدولة العثمانية - حينئذ - تواجه أزمات حادة، ومصاعب مالية كبيرة، من ثورات في البلقان، ومؤامرات سياسية تحاك ضدها، الأمر الذي جعل الدولة العثمانية في شغل عن التصدي لتلك المشاكل التي تعرض لها الحجاز. بيد أن ذلك لم يؤثر على علاقة السلطان العثماني بأمراء مكة، تلك العلاقة التي كان يسودها الودّ، والمحبة، والاحترام، والدعم، والتأييد.

ولكن سرعان ما تأججت نار الخلاف بين ولاة الدولة، وبين أمراء مكة، حيث كانت موازين القوى تتغير بينهما من فترة إلى أخرى، وذلك لأسباب عدة، كان منها:

دعم إسطنبول لأحد الطرفين على حساب الآخر، أو تضاؤل الدولة العثمانية في أماكن أخرى، أو الضعف الشخصي لأحدهما أو قوته، أو الدعم الشعبي للأمير أو الوالي، فكثير ما كانت تحدث بين ولاية، وأمراء الحجاز الكثير من الصراعات، التي كانت تنعكس بدورها على علاقة الطرفين بالدولة العثمانية، فتارة كانت الدولة تقف إلى جانب الوالي، وتارة أخرى كانت تقف إلى جانب الأمير، ولكن ذلك الوضع تغير مع جلوس الشريف عون الرفيق على كرسي إمارة مكة المكرمة، فقد استطاع - بحنكته وسياسته - أن يجعل الدولة العثمانية تعتمد عليه اعتماداً كلياً في تصريف إدارة شؤون الإمارة في مكة المكرمة، وليس أدل على ذلك، من أنها أبقت أميراً لمكة زهاء ربع قرن من الزمان.

ومن هنا تنبع أهمية دراسة موضوع هذه الأطروحة: " الشريف عون الرفيق وعلاقته بالدولة العثمانية وولايتها في الحجاز " خلال الفترة (١٢٩٩ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٨١ - ١٩٠٥ م)، فمن خلال دراسة هذا الموضوع، نستطيع أن نستقرأ تلك الفترة التاريخية في تاريخ الحجاز، ومعرفة الولاة الذين تم تعيينهم من قبل الدولة العثمانية، والإمام كذلك بطبيعة الأوضاع السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والصحية في الحجاز - خلال تلك الفترة التاريخية- التي كانت بحاجة إلى دراسة تاريخية فاحصة، ودقيقة، وهو ما يطمح إليه الباحث من خلال دراسته الحالية.

أسباب اختيار موضوع البحث:

ترجع أسباب اختيار البحث لـ " الشريف عون الرفيق وعلاقته بالدولة العثمانية وولايتها في الحجاز " خلال الفترة (١٢٩٩ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٨١ - ١٩٠٥ م)، موضوعاً له، إلى ما يلي:

(١) دراسة نظام الحكم في بلاد الحجاز، بعد انضوائه تحت راية حكم الدولة

العثمانية.

٢) دراسة العلاقة السياسية بين الدولة العثمانية، وبين أمراء الحجاز من الأشراف، ومدى تمسك واعتراف الدولة العثمانية بحكم الأشراف في الحجاز، وتقديم المعونات والمساعدات لهم من أجل بسط سيطرتهم على المنطقة.

٣) دراسة طبيعة العلاقات السياسية بين السلطان العثماني، وبين الشريف عون الرفيق، وفهم أبعادها، ودورها في إرساء حالة الاستقرار في الإقليم.

٤) دراسة شخصية الشريف عون الرفيق، وما قام به من دور فعال في بلاد الحجاز إبان تلك الحقبة الزمنية، على الصعيد السياسي، والاقتصادي، والإداري.

٥) دراسة العلاقة بين الشريف عون الرفيق، وبين ولاية الدولة العثمانية في الحجاز، وما كان يعتكفها من شد وجذب، وأثر تلك العلاقة على أوضاع الحجاز، على كافة الأصعدة، وهل نجم عن تلك العلاقة استقرار أوضاع البلاد، أم زيادة الاضطرابات والقلق بها؟؟

توصيف مصادر ومراجع البحث:

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر المتنوعة، كان في مقدمتها، الوثائق العثمانية غير المنشورة منها والمنشورة، إضافة إلى كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين والغربيين الذين زاروا الحجاز في تلك الفترة، إضافة إلى المصادر المحلية والمعاصرة، ويمكن أن نشير بإيجاز إلى تلك المصادر فيما يلي:

أولاً: الوثائق العثمانية:

أ- الوثائق غير المنشورة:

وهذه الوثائق حصل عليها الباحث من أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، ومن دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وتعتبر الوثائق العثمانية من أهم مصادر تاريخ الجزيرة العربية بوجه عام، وتاريخ منطقة الحجاز بشكل خاص، لما تحتويه من معلومات قيمة عن كافة النواحي السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية في الحجاز إبان تلك الحقبة الزمنية.

ب- الوثائق المنشورة:

والمتمثلة في سالنامة ولاية الحجاز، التي تعتبر مصدراً هاماً من مصادر تاريخ الحجاز، وقد صدر منها خمسة أعداد (١٣٠١هـ/١٨٨٣م)، (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، (١٣٠٩هـ/١٨٩١م) وقد ألفت هذه السالنامات الضوء على تاريخ بلاد الحجاز - إبان تلك الفترة - وعن أمراء مكة المكرمة، وولاة الدولة العثمانية في الإقليم، كما ألفت الضوء على المؤسسات الحكومية وموظفيها، وعلى كثير من القضايا المهمة، وقد أفاد الباحث منها إفادة عظيمة.

ثانياً: المخطوطات: ومنها:

- النخبة السنوية في الحوادث المكية لمؤلفه أحمد أمين بيت المال (ت ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، وهو مخطوط لا يزال قيد الطبع، ويعتبر مصدراً مهماً؛ لكون مؤلفه معاصراً للفترة الزمنية - قيد البحث - وتناول المؤلف أشرف الحجاز وعلاقتهم بولاية الدولة العثمانية كما قدم معلومات عن الأوضاع الأمنية والإدارية والاقتصادية والصحية في الإقليم، كما تحدث عن الأوضاع السياسية في الدولة العثمانية، وعن علاقة السلطان عبد الحميد الثاني بالشريف عون الرقيق.

- تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير لمؤلفه الشيخ أحمد محمد الحضراوي (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، ويتكون من ثلاثة أجزاء، وقد أفاد الباحث من الجزء الثاني منه، وخاصة فيما يتعلق بذكر أمراء مكة وولاية الحجاز.

- نزهة الأنظار والفكر فيما مضى من الحوادث والعبير لمؤلفه الشيخ أبو الفيض عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي، ولقد أفاد هذا المخطوط فائدة كبيرة في معظم موضوعات البحث، لعل من أبرزها توضيح العلاقة بين ولاية الدولة العثمانية، وبين أشرف مكة المكرمة، وطبيعة الأوضاع السياسية والإدارية في الحجاز.

ثالثاً: كتب الرحلات: وكان من أبرزها:

- الرحلات الحجازية لمحمد صادق باشا، وتشتمل على عدد من رحلات المؤلف للحجاز، عرض فيها معلومات مختلفة عن مكة المكرمة والمدينة المقدسة، وجغرافية الأراضي الحجازية، وقبائل الحجاز.

- مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا، ويعد من الكتب المهمة لكون مؤلفه أميراً للحج المصري لعدة سنوات خلال فترة البحث، وتناول الكتاب معلومات عن الحجاز، وعن الأوضاع الأمنية والاقتصادية والصحية، كما بين العلاقة بين أمراء مكة المكرمة وولاية الحجاز.

- صفحات من تاريخ مكة المكرمة لمؤلفه سنوك هورخرونيه، والذي دون فيه رحلته إلى مكة عام ١٣٠١-١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤-١٨٨٥م، وتحدث فيه عن أوضاع الحجاز السياسية والإدارية والاجتماعية والتعليمية، كما تناول في كتابه، الحديث عن أمراء مكة المكرمة وولاية الحجاز.

- الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز سنة ١٨٩٨ -
١٨٩٩م. لمؤلفه عبد العزيز دولتشين، وتناول في رحلته جغرافية الحجاز، والأوضاع
الإدارية والاجتماعية والاقتصادية، كما تطرق إلى القوات العثمانية في الحجاز.

رابعاً: المصادر المطبوعة:

- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام لمؤلفه أحمد زيني دحلان، تناول
الكتاب أشرف مكة المكرمة وولاية الحجاز، كما تحدث عن الأوضاع السياسية في
الحجاز، وغيرها من المواضيع الهامة التي أفاد منها الباحث.

- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام لمؤلفه عبد الله محمد الغازي المكي
(ت ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) وهو كتاب مكون من سبعة أجزاء، وقد أفاد الباحث من الجزء
الرابع الخاص بأمراء مكة المكرمة وولاية الدولة العثمانية في الحجاز.

خامساً: المراجع العربية والمعربة:

- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمحمد طاهر الكردي، وهو مكون من ستة
أجزاء، وقد اشتمل الكتاب على الكثير من المعلومات القيمة، التي أفادت البحث في
جل مواضعه.

- تاريخ مكة لأحمد السباعي، وهو مكون من جزأين، وقد أفاد الباحث من الجزء
الثاني، الذي قدم معلومات تخص مكة المكرمة في النواحي السياسية والاجتماعية
والعمران، كما تطرق المؤلف إلى أشرف مكة وعلاقتهم بالدولة العثمانية.

- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر لمحمد علي مغربي، وأورد مؤلفه معلومات عن
الحجاز، كما تناول تراجم لبعض الأعيان في الحجاز.

- الأشراف والعثمانيون في الحجاز في القرن التاسع عشر لنجاة الجاسم، وقد تناولت الخلافات والمنافسة بين السلطات العثمانية والأشراف، وسياسة السلطان عبد الحميد الثاني المتبعة في الحجاز.

- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز لحمد القحطاني، وتناول مؤلفه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي مر بها إقليم الحجاز خلال الفترة من (١٢٩٧-١٣٢٣هـ/١٨٨٠-١٩٠٥م)، كما تحدث عن التنافس بين الأشراف، وعلاقة الأشراف بسكان الحجاز في ظل حكم الدولة العثمانية.

- الدين والمجتمع والدولة في الجزيرة العربية. الحجاز تحت الحكم العثماني (١٨٤٠-١٩٠٥م) لمؤلفه وليام أوكسنولد، تناول فيه المؤلف جوانب الإدارة العثمانية بالحجاز، والصراع بين أمير مكة ووالي الحجاز، كما تطرق إلى الأوضاع الإدارية والمالية والأمنية في الحجاز.

سادساً: الدراسات السابقة:

- أريج مسحل القشامي: مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني (١٢٧٧هـ-١٣٣٤هـ/١٨٦١م-١٩١٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- فاطمة عبد الله الشهري: الحياة العلمية في مكة المكرمة (١٢٥٦-١٣٣٤هـ/١٨٤٠-١٩١٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- دائل الخالدي: الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان

عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

- بندر محمد العروي: سياسة الدولة العثمانية تجاه أشرف مكة المكرمة (١٢٥٦-١٣٤٣هـ / ١٨٤٠م-١٩١٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م.

ولقد واجه الباحث بعض الصعوبات - أثناء جمع المادة العلمية للبحث - كان من أبرزها:

- التشابه الكبير في أسماء الولاة، والاختلاف في تاريخ تعيينهم.
- كثرة الوثائق التي تؤرخ لتلك الفترة الزمنية، وقد كان غالبيتها باللغة العثمانية مما اقتضى من الباحث، القيام بترجمتها، ترجمة دقيقة لمعرفة ما تحويه من معلومات.
- تكاليف الترجمة الباهظة الثمن، وعدم توفر مترجمين متخصصين.
- والحمد لله صاحب الفضل والمنة، الذي أعان الباحث في التغلب على تلك الصعوبات، فقد قام الباحث بالسفر إلى الجمهورية التركية للحصول على تلك الوثائق التاريخية، من أرشيف رئاسة الوزراء في إسطنبول، وتمكن من تصوير مجموعة كبيرة من الوثائق العثمانية التي أفاد منها الباحث في دراسته، كما قام الباحث بزيارة إلى جمهورية مصر العربية من أجل ترجمة تلك الوثائق ترجمة دقيقة لا لبس فيها.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في دراسته - الحالية - على استخدام قواعد المنهج التاريخي الذي يقوم على الاستقصاء، والجمع الدقيق للمعلومات التاريخية، من مصادر متعددة،

ودراستها دراسة مقارنة، للوصول إلى كبد الحقيقة، والتوثيق الدقيق لها ثم استقراء تلك الأخبار التاريخية، وتحليلها تحليلًا علميًا موضوعيًا، للخروج بنتائج واضحة.

تقسيم البحث:

جاء البحث مجملًا في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وعرض للمصادر والمراجع التي استخدمها البحث.

تناول التمهيد إمارة مكة المكرمة، وكيفية سيطرة الأشراف على إقليم الحجاز، وكيفية دخوله في حوزة الدولة العثمانية، والسياسة التي اتبعتها الحكومة العثمانية في الحجاز، بالإضافة إلى علاقة أمراء مكة المكرمة بالدولة العثمانية -قبيل فترة البحث- وكذلك تطرق الحديث عن علاقة ولاية الدولة العثمانية بإمارة مكة المكرمة قبيل فترة البحث.

وفي الفصل الأول تناول البحث الحديث عن الشريف عون الرفيق ونسبه، ونشأته، ومدحه، وحالته الاجتماعية، وحياته، والأعمال التي قام بها، ووفاته.

وفي الفصل الثاني استعرض البحث علاقة الشريف عون الرفيق بالدولة العثمانية وبوجه الخصوص عن علاقته بالسلطان عبد الحميد الثاني، كما تحدثت عن الأوضاع الأمنية في إمارة الشريف عون الرفيق، والعوامل التي أثرت على إمارته، وكذلك الإنجازات الحضارية التي ظهرت في إمارته، ودراسة الأوضاع الصحية في الحجاز والأمراض والأوبئة التي ظهرت فيه، والجهود المبذولة في مكافحة تلك الأمراض.

وفي الفصل الثالث قام البحث بدراسة علاقة الشريف عون الرفيق بولاية الدولة العثمانية في الحجاز، واستجلاء آثار تلك العلاقة الإيجابية والسلبية مع بعض الولاة،

وتوضيح أثر تلك العلاقة على أوضاع إقليم الحجاز.

ثم جاءت الخاتمة لتحتوي على أهم النتائج التي توصل لها البحث.

ثم ملحقين، الأول للوثائق، والثاني للخرائط، والصور.

ثم عرض للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

والله تعالى أسأل أن يجنبني الخطأ والزلل، فما في هذا البحث من مواطن صواب أو

قوة، فيعود الفضل فيه لله تعالى أولاً وآخراً، ثم للأستاذ الدكتور / عمر سالم بابكور، وأما

في هذا البحث من مواطن خطأ أو زلل، فمن نفسي، ومن الشيطان.

والله تعالى أسأل الهداية والتوفيق والرشاد،

إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث

سمير بن حمدي الحسني

التمهيد

أولاً: إمارة مكة المكرمة

أولاً: إمارة مكة المكرمة:

خضع الحجاز لحكم الأشراف في عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م^(١)، بعد أن استطاع كبير الأشراف الحسينيين جعفر بن محمد^(٢) تأسيس إمارته في مكة المكرمة^(٣)، وقد عرف هذا النظام باسم (شرافة مكة)^(٤). وبمقتضاه كان يتولى حكم مكة، أحد الأشراف الذين ينتسبون إلى آل بيت الرسول ﷺ، وكان مقره مكة المكرمة، وكان يلقب باسم شريف

(١) تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص٣٠٧؛ عبد العزيز بن عمر ابن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهم شلتوت، دار المدني، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج١، ص٤٨٢؛ عبد الله غازي المكي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، تحقيق عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٣، ص٧٥؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة "دراسات في السياسة العلم والاجتماع والعمران"، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٢٢٠.

(٢) هو جعفر بن محمد بن الحسين، وقيل جعفر بن الحسين بن محمد التأثر ابن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. عاتق بن غيث البلادي: الإشراف على تاريخ الأشراف، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص١١.

(٣) عبد العزيز ابن فهد: المصدر السابق، ج١، ص٤٨٠-٤٨٢؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج٣، محمد لبيب البتوني: الرحلة الحجازية، ط٢، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ، ص٧٤؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج١، ص٢٢٠.

(٤) جار الله بن العز ابن فهد: نيل المنى بذيبل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص٧٨-٨٠؛ محمد بن علي الطبري: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٤٨٦؛ علي الوردني: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، "قصة الأشراف وابن سعود"، أمير - قم، إيران، ١٤١٣هـ، ج٦، ص١٤؛ عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ج١، ص٦٥-٦٦؛ نبيل عبد الحي رضوان: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس (١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م)، تهامة، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٥؛ حمد محمد القحطاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز (١٢٩٧-١٣٢٣هـ/١٨٨٠-١٩٠٥م)، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م، ص٣٨، ٤٠.

مكة المكرمة وأميرها^(١).

وعندما خضع الحجاز للحكم العثماني - في عهد السلطان سليم الأول^(٢) - في عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م^(٣)، قنع العثمانيون بالسيادة الاسمية على الحرمين الشريفين، التي تمثلت في الدعاء لهم في خطب المساجد^(٤)، وأبقوا على نظام الشرافة الذي كان قائماً، وبموجبه كان يتولى حكم الحجاز أحد كبار الأشراف الحسينيين، إلى جانب تعيين

(١) فائق بكر الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين (١٢٩٣-١٣٣٤هـ / ١٨٧٦-١٩١٦م)، سجل العرب، القاهرة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٤٨؛ عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي (١٥١٦/١٩٢٢م)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ٩٧؛ سحر علي دعدع: ولاية الحجاز في العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٨٧هـ / ١٥١٧-١٨٧٠م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص ٣٢-٣٣؛ وليم أوكسنولد: الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب " الحجاز تحت الحكم العثماني "، ترجمة: عبد الرحمن العراقي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ٨.

(٢) سليم الأول: هو سليم الأول ابن بايزيد الثاني ابن مراد الأول ابن أورخان الغازي ابن عثمان ابن أرطغرل، ولد سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م، وتولى الحكم سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م، وهو تاسع السلاطين العثمانيين، وأول من لقب بخادم الحرمين الشريفين، توفي في سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م. سالنامه ولاية الحجاز، المطبعة الميرية، مكة المكرمة، ط ٢، ١٣٠٣هـ، ص ١٥؛ أحمد محمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، الرقم ١٢٣ / تاريخ، ج ٢، ق ٣٢؛ يوسف آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ط ٣، تحقيق: بسام الجابي، دار البصائر، دمشق، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٦٧؛ علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط ١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ١٧٦.

(٣) محمد أحمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط ٢، تحقيق: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م، ج ٥، ص ١٩٣؛ أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق: محمد أمين توفيق، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٤؛ عبد الله محمد عبد الشكور: تاريخ الأشراف وأمراء مكة المكرمة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، الرقم العام: ٢/٣٤٥٥ تاريخ، ق ٩؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٤) جار الله ابن فهد: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥-٣٦؛ أحمد دحلان: المصدر السابق، ص ١٦؛ محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٤٢.

سنجق^(١) عثماني يقيم في جدة ويتلقى أوامره مباشرة من إسطنبول^(٢).

ومنذ ذلك الحين أصبح الحجاز مستقلاً - ذاتياً - تحت التبعية العثمانية في ظل نظام الشرافة^(٣)، التي عرفت أيضاً باسم إمارة مكة المكرمة^(٤).

وقد حرصت الدولة العثمانية على أن تتعامل مع الأشراف بشيء من الرقة واللطف، كما حرص السلاطين العثمانيون على أن يظهروا قدراً كبيراً من التسامح تجاههم، حتى وإن بدر منهم بعض الشوز أو التعصب فانتسابهم إلى آل بيت النبي ﷺ كان يشفع لهم تلك الزلات، وقد حاول العثمانيون المحافظة على تلك المعاملة لأشراف مكة حتى أواخر أيام حكمهم^(٥).

(١) سنجق: كلمة تركية معناها بالعربية العلم، ثم أصبحت رتبة عسكرية، وتطلق على الحاكم الذي يحكم منطقة إدارية من الولاية، فيقال "سنجق بكى جدة". أحمد شلي المصري: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات "التاريخ العيني"، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١١٧؛ زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط ١، دار الكتاب الحديث، مصر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) حسين نصيف: ماضي الحجاز وحاضره، ط ١، مكتبة ومطبعة خضير، مصر، ١٣٤٩هـ، ج ١، ص ٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٥؛ جلال يحيى: العالم العربي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٥٧؛ نبيل رضوان: مرجع سابق، ص ٢٥؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٤٨؛ عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

(٣) فاطمة عبد الله الشهري: الحياة العلمية في مكة المكرمة (١٢٥٦-١٣٣٤هـ/١٨٤٠-١٩١٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٩-١٠.

(٤) أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة: أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسى، دار الرياض، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٥؛ نبيل رضوان: مرجع سابق، ص ٢٥؛ دائل الخالدي: الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١٢٢؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٨.

(٥) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ١٦؛ جيمس موريس: الملوك الهاشميون، المكتب العالمي للتأليف والترجمة، بيروت، د.ت، ص ١٧؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٤٩؛ صابرة مؤمن إسماعيل: جدة خلال الفترة =

وكان أمير مكة المكرمة يتمتع بمكانة سامية، لدرجة أن السلطان كان يقف له احتراماً؛ لقربته من الرسول ﷺ، كما كان يتمتع بنفس المكانة لدى الصدر الأعظم^(١) في الباب العالي^(٢)، ووالي مصر، وترتب له الخلع والعطايا من قبل السلطان^(٣).

أما عن الطريقة التي كان يتم بها اختيار شريف مكة المكرمة - بعد خضوع الحجاز للحكم العثماني - فقد كانت تتم بعدة وسائل مختلفة؛ إما أن يتمكن كبار الأشراف من اختيار أحدهم لمنصب إمارة مكة، ومن ثم الكتابة إلى الباب العالي باختيارهم؛ لاستصدار قرار التعيين^(٤)، وفي بعض الأحيان كان ينشب الصراع حول المنصب^(٥)،

-
- (١) = (١٢٨٦-١٣٢٦هـ / ١٨٦٩-١٩٠٨م)، دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٨هـ، ص ٤؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٩.
- (٢) الصدر الأعظم: نائب السلطان العثماني ورئيس الوزراء، وله السلطة العليا في شؤون السلطنة، وهو منصب رفيع يأتي من حيث الترتيب في المقام التالي للسلطان وهو رئيس الحكومة في الدولة العثمانية. وقد ألغي هذا اللقب في عهد السلطان محمد الثاني عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م، وحل محله لقب باش وكيلى. أي رئيس الوزراء. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٣٥٣.
- (٣) الباب العالي: مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية، وقد أنشأه السلطان محمد الرابع سنة ١٦٥٤م، وأطلق فيما بعد اسم المكان على ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم. وكان للباب العالي أهمية كبيرة في القرن التاسع عشر الميلادي وعلى وجه الخصوص في عهدي السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٤٩.
- (٤) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٤١؛ حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٤١-٤٢.
- (٥) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٧؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية (١٢٣٤-١٢٥٦هـ / ١٨١٩-١٨٤٠م)، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٧٦؛ يحي جلال: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٧؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٦؛ سحر ددع: مرجع سابق، ص ٣٦.
- (٥) كرستيان سنوك هورخرونييه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، دار الملك عبد العزيز الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٢٦؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٩، ٥١٨-٥١٩؛ عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٧٦.

وفي تلك الحالة كانت الدولة العثمانية تصدر فرماناً^(١) باسم الشريف الذي يستطيع أن يحسم الأمور لصالحه^(٢).

وفي حالة عدم حصول الاتفاق بين الأشراف على انتخاب أميراً لمكة، فإن الحكومة كانت تدرس التقارير المرفوعة من قبل والي الحجاز، والقضاة، والأئمة الأربعة في المسجد الحرام، وترجع واحداً من اثنين من المرشحين^(٣).

أما إذا كان المرشح لمنصب أمير مكة المكرمة، من الأشراف المقيمين في اسطنبول، أو أماكن قريبة منها مثل أدرنة^(٤) وبورصة^(٥) - فكان بعض الأشراف يخرجون من مكة المكرمة، بسبب خلافاتهم معهم، ويذهبون إلى مصر أو بلاد الشام أو اسطنبول- ويمثل المرشح للمنصب في حضرة السلطان، حيث توجه إليه إمارة مكة المكرمة ثم يرسل إلى

(١) فرمان: الحكم الذي يصدر من شخص عظيم ويسمى أيضاً برمان. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٤٠٣.

(٢) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٣) إسماعيل حقي جارشلي: أشراف مكة المكرمة وأمرؤها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٤٩؛ فاضل مهدي بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) أدرنة: هي إحدى مدن تركيا وتقع في الجهة الغربية منها في القسم الأوروبي، وانتزعها مراد الأول سنة ١٧٤٢هـ/ ١٣٦٠م من أيدي اليونان فكانت العاصمة الأوروبية للإمبراطورية العثمانية حتى تم فتح القسطنطينية، وظلت لبعض الوقت بعده مكان الإقامة المفضل لبعض السلاطين. وفي سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م احتلها الروس بموجب معاهدة أدرنة التي عقدت بين الروس والأتراك. س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام الشحادات، ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٥-٣٦.

(٥) بورصة: "بورصة" مدينة في تركيا الأسيوية "الأناضول" أسسها بروسياس الثاني، ملك بيثينية. لم تكن المدينة ذات شأن كبير في أول أمرها، ثم توسعت تحت حكم الأباطرة البيزنطيين وصارت المستودع التجاري للقسطنطينية، ولاحقاً نقطة استراتيجية ذات أهمية كبيرة في الدفاع ضد الأتراك. فتحها أورخان بن عثمان سنة ١٣٢٥م، وجعلها عاصمة ولاياته. أحرقتها تيمور سنة ١٣٧٧م، وأعاد بناءها محمد الثاني. موستراس: مرجع سابق، ص ١٥٧-١٥٨.

الحجاز (١).

وفي بعض الأحيان كان يتم تعيين أمير مكة المكرمة من قبل السلطان بناءً على رسالة يرسلها الشريف إلى صاحب مصر يطلب منه تعيينه على إمارة مكة المكرمة، ويتم له ذلك بموافقة السلطان (٢).

وقد كان بعض الأشراف المتصارعين على منصب أمير مكة يستعينون بالقبائل التي تعطي ولاءها لمن يدفع لهم الأموال، هذا بالإضافة إلى استعانة الأشراف بعيدهم، وخدمهم - حيث كان الأشراف يحرصون على الإكثار من شراء العبيد والخدم؛ ليكونوا لهم قوة وسندا في الصراع على المنصب - كما كان الشريف يضم إليه عددا كبيرا من الجند، وبعض المرتزقة من المجاورين وعامة الناس أثناء النزاع (٣)، كما لم يغفل المتنافسون على منصب شرافة مكة الاستعانة بولاية مصر، وجدة، وأمراء الحج الشامي والمصري (٤)، ولم يكن ذلك يخلو من بذل الأموال الطائلة لهم للحصول على مساعدتهم ومؤازرتهم فيما يهدفون له (٥).

وبعد أن يتم اختيار أحد الأشراف لمنصب أمير مكة، كان السلطان العثماني يرسل إليه فرماناً سلطانياً، أو ما يُسمى "منشور الإمارة" المتضمن تعيينه على إمارة مكة المكرمة (٦)، ويقراه "مكتوبجي الولاية" (٧) في المسجد الحرام بحضور الجمع الحاشد من

(١) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٥٤.

(٢) أحمد شلبي: مصدر سابق، ص ١٤٣-١٤٤؛ سحر ددع: مرجع سابق، ص ٤٣.

(٣) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢٢-٥٢٣.

(٤) حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ص ١٦٦؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٧.

(٥) إسماعيل جارشلي: المصدر السابق، ص ٤٩، ١٥٨-١٥٩.

(٦) جار الله ابن فهد: مصدر سابق، ج ١، ص ٧٨-٨٠؛ إسماعيل جارشلي: المصدر السابق، ص ٥٠.

(٧) مكتوبجي الولاية: هو رئيس التحرير العام في المسجد الحرام، وكاتب أسرار الولاية. حسين نصيف: مصدر =

الأشراف، والأعيان، والمشايخ، والموظفين^(١)، ثم تتم التهنئة العامة للأمير الجديد، ويعلن ذلك في المدن الحجازية بواسطة المندوبين، وبإطلاق تسع عشرة قذيفة مدفع، وتقرع الطبول أمام باب إمارة مكة المكرمة في عصر كل يوم. وطبقاً للقانون فقد كان يذكر اسم أمير مكة المكرمة بعد اسم السلطان في الخطبة، وكانت مرتبة أمير مكة المكرمة أعلى من مرتبة الوزير بمرتبة واحدة^(٢).

وإذا ما أراد السلطان العثماني تجديد تعيين أمير مكة المكرمة فإنه كان يرسل- في كل موسم حج - مرسوم التأييد والتجديد مصحوباً بالخلع والهدايا، حيث كانت تتم قراءته في ثاني أيام النحر - ١١ ذي الحجة- في منى، وكان يحضر تلك المراسم والي الحجاز، وأميراً الحج المصري والشامي، وأمين الصرة والضباط، وكبار رجال الدولة، وكبار الشخصيات من الحجاج^(٣).

وكان الفرمان السلطاني يتضمن عبارات الثناء والمديح للشريف^(٤)، وتعريف الشريف بالوظائف والمهام التي ينبغي عليه القيام بها، وكانت تأتي على شكل توصيات عامة، وتتركز تلك التوصيات حول ما يلي:

-
- =سابق، ج ١، ص ١١؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٣٨.
- (١) حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ١١؛ نجاة عبد القادر الجاسم: الأشراف والعثمانيون في الحجاز في نهاية القرن التاسع عشر، ط ١، الناشر المؤلف، د.م، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٧.
- (٢) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٥٤؛ فاضل بيات: مرجع سابق، ص ٥٤.
- (٣) محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير: محمد همام فكري، دار بدر للنشر، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٤٢؛ أيوب صبري: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥؛ إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤هـ، ج ١، ص ٤٩؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٢٠٠؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ١٠.
- (٤) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٥١؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٢٠٠-٢٠١.

- ١) العمل على إنجاح موسم الحج، وذلك عن طريق تقديم المساعدات للحجاج، وتأمين الطرق لهم، وحماية أرواحهم، وأمواهم من تعديات العربان والقبائل، وتوفير وسائل النقل والمواصلات لهم، من الجمال وغيرها.
- ٢) العمل على إرساء قواعد الأمن في الحجاز عن طريق إدارة القبائل، والضرب على أيدي الخارجين منهم على القانون، ومنعهم من السلب والنهب.
- ٣) توزيع الصرة والأموال المرسلّة إلى الحرمين الشريفين على أصحابها بالعدل والمساواة.
- ٤) تسهيل عمل مأموري وموظفي الدولة الرسميين من المدنيين والعسكريين، ومساعدتهم على أداء وظائفهم.
- ٥) عدم الطمع في أموال التجار أو غيرهم، والاكتفاء بما يحصل عليه شريف مكة من رواتب وعطايا، وكذلك منع باقي الأشراف من التعدي على حقوق الآخرين.
- ٦) الاهتمام بالنظر في أمور وشؤون البادية والقبائل^(١).
- ٧) حل المشاكل والمنازعات التي تحدث بين الأشراف بعضهم بعضاً^(٢).
- ٨) الإشراف على الكعبة المشرفة، وتعيين نقيب الأشراف^(٣)، وكذلك تعيين

(١) عماد عبد العزيز يوسف: الحجاز في العهد العثماني (١٨٧٦-١٩١٨م)، الوراق، بغداد، ٢٠١١م، ص ٧٣؛
فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٣٠٨؛ حمد
القحطاني: مرجع سابق، ص ٤٢، صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ٥.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٧٦.

(٢) نقيب الأشراف: الشخص المعين من قبل الدولة والمتفق على منصبه في الإشراف على الأمور المتعلقة بالسيادة والأشراف المنتسبين للسلالة النبوية الشريفة من ذرية الحسن والحسين. وكان يقيم في العاصمة وله وكيل ناحية يسمى قائمقام، كما كان يحافظ على السجلات الخاصة بأنسابهم وحقوقهم والامتيازات الممنوحة للسيادة من لدن الدولة. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٥٢٩؛ سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٢٤.

المحتسب^(١)، وشيوخ الطرق الصوفية، وشيوخ النقابات الحرفية والحارات، وكذلك تعيين نواب شريف مكة في المدن (القائمقام)، وتعيين مفتي المدينتين المقدستين، مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما كان يحق له فرض الضرائب، وممارسة القضاء، وتنفيذ أحكام الشريعة^(٢).

وفيما يتعلق بالمخصصات المالية التي كان يحصل عليها أمير مكة المكرمة، فإنه كان يعطى للأمير مبلغ ٢٥,٠٠٠ قرشا^(٣) سنوياً^(٤). إضافة إلى حصة معلومة من إيرادات ميناء جدة، هذا بالإضافة إلى العوائد السنوية، والمرتببات، والهبات التي كان يتلقاها من جهات عدة^(٥). كما كان يحصل أمير مكة على حصة معلومة من عائدات تأجير

(١) المحتسب: شخص يقوم بالإشراف على الأسواق وطوائف الحرف والمعاملات التجارية لمراقبة انتظامها وسلامتها من الغش والتدليس. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٤٧٦.

(٢) محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ط ١، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣١١هـ، ج ٥، ص ١٤؛ عبدالرؤوف سنو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية (١٨٧٧-١٨٨١م) (بلاد الشام-الحجاز- كردستان-ألبانيا) بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٨م، ص ٨٧-٨٨؛ ابتسام محمد كشميري: مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (٩٢٣-١٠٠٠هـ / ١٥١٧-١٥٩١م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٧١.

- AL-Amr, Saleh Muhoumed, The Hijaz Under Ottoman Ruie 1869-1914 Othoman Vale, The Sharif of Mecca, and the Growth of British Influence , Riyadh University , Riyadh , 1978, p. 112-113.

(٣) قرش: وحدة نقدية، واصل كلمة قروش مأخوذة من كلمة Groschen الألمانية وهي تعني البياستر أي النقد الإسباني الفضة. وكان القرش والبارة وحدة العملة المصرية، وقد أخذت مصر القرش عن تركيا فقد ضرب النقد في تركيا لأول مرة في عهد السلطان سليمان الثاني ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٤٢٢.

(٤) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٥٥.

(٥) ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة: حاتم الطحاوي، مراجعة: عمر الأيوبي، دار المدار الإسلام، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ١٦٣.

الجمال في موسم الحج^(١)، ومن بيع المواشي، وإصدار تصاريح المطوفين إضافة إلى بعض الضرائب والرسوم التي كان يفرضها في مواسم معينة^(٢). كما كان يشارك بعض الأشراف في التجارة البحرية^(٣).

هذا بالإضافة إلى حصة معلومة كان يتحصل عليها من أموال الزكاة والضرائب البسيطة التي كان يفرضها على الأغنام والماشية، وعلى الحجاج وقوافلهم^(٤)، وعلى رؤساء حلقات بيع المنتجات الزراعية^(٥).

وقد جرت العادة على إعطاء بدل إعاشة (معاش تقاعد) من إيرادات مصر، للأمير الذي يعزل من إمارة مكة المكرمة، كما كانت الدولة العثمانية تمنح أشراف مكة المتقاعدين -سواء الذين يفضلون الإقامة في اسطنبول، أو المأمورين بالإقامة الجبرية في محل ما- مسكناً وراتباً كبيراً، كما كانت الدولة تحرص على أن تؤمن للرجال الذين بمعيّتهم مخصصات أخرى، لتوفير الراحة والرخاء لهم ضماناً لولائهم^(٦).

أما مصارف إنفاق أمير مكة، فقد اقتصر على صرف مرتبات حرسه الخاص، أو تمويل الحملات التي يقوم بها، إضافة إلى ما يدفعه من أعطيات وهدايا لبعض القبائل

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٥؛ عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ٨٨؛ AL-Amr, OP.CIT, P.113 .

(٢) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٥؛ نبيل رضوان: مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥؛ عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٧٧؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٤) صبري فالح الحمدي: أشراف الحجاز في القرن الثامن عشر، ط ١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٣١؛ حافظ وهبه: مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٥) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٥؛ نبيل رضوان: مرجع سابق، ص ٢٧.

(٦) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٥٦-٥٧.

لكسب ولائهم، والحصول على اعترافهم بسلطته وحكمه^(١).

ونظرا لأهمية منصب الشرافة وامتيازاته، المادية والأدبية، فقد نشبت الخلافات والصراعات الدموية بين أشرف الحجاز للحصول على هذا المنصب، مما أدى إلى زيادة التدخل العثماني في إقليم الحجاز، وفقدانه لاستقلاله الذاتي^(٢).

وقد استطاعت الدولة العثمانية إعادة فرض سيطرتها على إقليم الحجاز في عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م^(٣)، بعد القضاء على نفوذ محمد علي باشا^(٤)، حيث بدأت مرحلة جديدة في التاريخ السياسي لإقليم الحجاز بصفة عامة، وتاريخ مكة المكرمة بصفة خاصة، تمثلت تلك المرحلة في محاولات التدخل-بشكل واسع ومباشر-من قبل الحكومة

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥؛ عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ٨٨.

(٢) صبري الحمدي: مرجع سابق، ص ٥٢؛ حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٤٢؛ نجاة الجاسم: مرجع سابق، ص ٣٥.

(٣) كان الحجاز قد خرج من السيطرة العثمانية منذ عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، عندما تمكنت الدولة السعودية الأولى من السيطرة عليه، فلجأت الدولة العثمانية إلى الاستعانة بوالي مصر محمد علي باشا من أجل استرداد الحجاز، ونجح محمد علي باشا في ذلك، واستقل بحكم الحجاز منذ عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م. وفي ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ/ ١٥ يونيو ١٨٤٠م، عقدت "اتفاقية لندن" بين الدولة العثمانية وروسيا وبروسيا والنمسا وبريطانيا وفرنسا والتي كان الهدف منها الحد من توسع محمد علي باشا ومصر سيطرته على مصر والسودان فقط، ونتيجة لذلك انسحبت قوات محمد علي باشا من إقليم الحجاز. جورج أنطونينوس: يقظة العرب "تاريخ حركة العرب القومية"، ترجمة: ناصر الدين الأسد - إحسان عباس، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٦٩؛ فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ١١-١٢.

(٤) محمد علي باشا: هو محمد علي باشا ابن إبراهيم أغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل. ولد عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م، تعلم الفروسية واللعب بالسيف والتحق بالخدمة العسكرية في الجيش، وتولى عدة مناصب حتى أصبح نائبا للسلطان العثماني، تولى ولاية مصر عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م)، كان له أطماع توسيعه وتكوين إمبراطورية عربية مستقلة عن الحكم العثماني بسيطرته على الحجاز والشام ومصر، وقد أجبر على العودة إلى حدوده القديمة في مصر إثر معاهدة لندن عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م). خير الدين الزركلي: الأعلام" قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين"، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٦، ص ٢٩٨-٢٩٩.

العثمانية في الشؤون الداخلية للحجاز^(١).

وقد أحكمت الدولة العثمانية فرض قبضتها وسيطرتها على ولاية الحجاز^(٢). من خلال استحداثها لنظام حكم مدني جديد عرف باسم "سنجقية بكي"، في عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م بجانب نظام الشرافة الذي كان قائما من ذي قبل، فأنشأت في جدة "سنجقية بكي"، وقد كانت رتبته -في أغلب الأحيان- "سنجق بكي"، وفي أحيان أخرى كانت رتبته باشا^(٣).

ثم ما لبث أن تحول لقب "سنجق جدة" إلى لقب "والي جدة"، وكان مقره مدينة جدة، ثم انتقل مقر السنجقية، أو الولاية، إلى مكة المكرمة سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م^(٤)، وأصبح مقرا للولاية العثمانيين، في دار الحميدية^(٥)، بالقرب من الحرم^(٦).

وما لبث أن أصبح منصب الوالي من أهم مناصب الجهاز الإداري الحكومي في الولاية^(٧)، وكان يتم تعيينه بفرمان سلطاني، ويُعد هو المسئول الأول في الولاية، والمخول

(١) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٤٧؛ فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) AL-Amr, OP.CIT, P.116

(٣) محمد البتنوني: مرجع سابق، ص ٣٨؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٤٨؛ شارل ديدييه: رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤هـ، ترجمة: محمد خير البقاعي، دار الفیصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٩٧.

(٤) محمد البتنوني: مرجع سابق، ص ٣٨؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٥.

(٥) الحميدية: هي دار الحكومة، وتنسب للسلطان عبد الحميد الثاني، بناها عثمان نوري في عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م لتكون مقراً لولاية الحجاز. محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ٣، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج ٦، ص ٣٣٧؛ محمد البتنوني: مرجع سابق، ص ٥٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٢٣. انظر ملحق رقم (١٦).

(٦) حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٦٩.

(٧) جميل موسى النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد "من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩-١٩١٧م)"، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٦٣؛ حمد القحطاني: =

بتنفيذ جميع أوامر السلطنة^(١)، ويتم اختيار الوالي من كبار رجالات الجيش ليجمع في يده بين سلطة الولاية المدنية، مع قيادة الجيش. لتتم له السيطرة المدنية والعسكرية في الولاية^(٢). وكانت تضاف لبعضهم مشيخة الحرم المكي^(٣).

ومن أهم الأعمال التي يقوم بها والي الحجاز، ما يلي:

(١) الإشراف على القوات العسكرية العثمانية المرابطة بين مكة، وجده، والطائف.
(٢) إعداد تقرير عن شريف مكة المكرمة، وولاية الحجاز، وإرساله إلى العاصمة العثمانية.

(٣) إدارة المحاكم، وأموال الدولة، وكل مصالح الحكومة النظامية.
(٤) إدارة أمور جمارك جدة، وحفظ الأمن، بالتعاون مع شريف مكة، وكذلك تأمين سلامة وصول قوافل الحجاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.
(٥) تعيين نائب الحرم، أو ما يُسمى "قائم مقام" شيخ الحرم.
(٦) التدخل أحياناً في حل النزاعات بين الأشراف^(٤).

=مرجع سابق، ص ٤٤.

(١) نوفل أفندي نعمة الله نوفل: الدستور، مراجعة: خليل أفندي الخوري، المطبعة السورية، بيروت، ١٣٠١هـ/١٨٨٤م، ج ١، ص ٣٨٢-٣٩٧؛ عماد عبد العزيز: مرجع سابق، ص ٧١؛ نوال سراج ششه: الحجاز تحت حكم محمد علي (١٢٢٦-١٢٥٦هـ/١٨١١-١٨٤٠م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٥.

(٢) محمد الطبري: مصدر سابق، ج ٢، ٧٤، ٩٠؛ حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٤٥؛
AL-Amr, OP. CIT, P.70

(٣) شيخ الحرم: الشخص المسؤول عن إدارة الحرم الشريف بمكة المكرمة، المعين من لدن الخليفة، وهو اللقب الذي أطلق على ولاية الشام، نظراً لمسئوليتهم عن وصول قافلة الحج إلى الحجاز سالمة، بسبب وقوعها على طريق الحج. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٢.

(٤) جار الله ابن فهد: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦، ٢٣٥؛ حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٥؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٠-١٢؛ حمد القحطاني: =

(٧) حضور مراسم تنصيب الشريف، وتقديم الهدايا له (١).
(٨) تعيين وعزل المحافظين ونوابهم بالإيالة (٢)، وأحياناً تعيين وعزل شريف مكة، ثم يرفع بذلك للسلطة العثمانية، وتلقى تعليماتهم وتنفيذها في هذا الشأن (٣).
(٩) تعيين من ينوب عن أمير مكة في حال غيابه أو سفره (٤).
وكان الوالي يتحمل المسؤولية الكاملة في تنفيذ أوامر الإدارة المركزية، ويحقق معه إذا ما تأخر في تنفيذ تلك الأوامر (٥).

ومنذ عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، لجأت الدولة العثمانية إلى تقليص صلاحيات شريف مكة، من خلال تعيين والياً عاماً على الحجاز، تكون ولايته على الحجاز بأسره (٦). وبذلك أوجدت الدولة العثمانية حكماً ثنائياً في مكة المكرمة، يتكون من منسبي الوالي والشريف، تمكنت بواسطته من الحد من نفوذ شريف مكة، والتدخل في شؤون مكة عن طريق واليها (٧).

وهذا النظام الثنائي في الحكم، لم يكن يوجد إلا في إقليم الحجاز بسبب خصوصية إقليم الحجاز من الناحية الدينية، حيث يمثل مركز العالم الإسلامي، وتتجه إليه قوافل

=مرجع سابق، ص ٤٥-٤٦.

(١) سحر ددع: مرجع سابق، ص ٩٩.

(٢) الإيالة: يقصد بها الولاية. والولاية هي وحدة إدارية يرأسها الباشا أو الوالي وهو من رتبة وزير، والولاية بدورها كانت مقسمة إلى عدة سناجق، والسناجق مقسم إلى قائمقاميات والقائمقامية مقسمة إلى عدة نواحي.
زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٩٨.

(٣) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ٦؛ فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ٢٥.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 492/9؛ سحر ددع: مرجع سابق، ص ١٠١.

(٥) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٦) أوليا جلي: الرحلة الحجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٤٤؛
أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٥.

(٧) فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ١٣.

المسلمين من شتى أقطاب الأرض لأداء فريضة الحج^(١).

علماً بأن السياسة التي انتهجتها الدولة العثمانية في إقليم الحجاز-التي تمثلت في إقامة سلطة ثنائية طرفها شريف مكة، والوالي العثماني بهدف تقليص سلطة أمراء مكة وإحكام قبضتها على الحجاز - كانت وبالأعلى على عموم سكان الحجاز، وعلى الدولة العثمانية نفسها^(٢).

ومنذ عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، زاد التدخل العثماني في الشؤون الداخلية لإقليم الحجاز^(٣)، وبخاصة بعد افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، حيث أصبح هناك طريق مباشر بين اسطنبول وساحل الحجاز على البحر الأحمر، مما أدى إلى زيادة تدخل الدولة العثمانية في شؤون الشرافة، وإضعافها^(٤).

وكان من نتائج ازدواج السلطة في الحجاز، احتدام الصراع بين شريف مكة، والوالي العثماني-ومحاولة كل منهما-أن يستأثر بالسلطة الحقيقية في الإقليم^(٥). فقد كان كل من الوالي والشريف يتحملان المسؤولية عن حفظ الأمن والدفاع عن الحجاز، فإذا كان الشريف هو المسئول عن البدو وسلامة الحجاز بالدرجة الأولى، فإن الوالي يشاركه في المحافظة على الحجاز والدفاع عن المدن الرئيسية^(٦).

ولم تضع الدولة العثمانية حدوداً فاصلة بين سلطتي الوالي والشريف، وما هي

(١) جورج أنطونيوس: مصدر سابق، ص ١٣٣؛ Al-Amr, OP.CIT,P.116.

(٢) أوليا جلي: مرجع سابق، ص ٤٤؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٨.

(٣) جميل النجار: مرجع سابق، ص ٥١؛ نبيل رضوان: مرجع سابق، ص ٢٧.

(٤) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ٩١؛ نبيل رضوان: مرجع سابق، ص ٢٧؛ حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٣٩، ٤٧.

(٥) إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٦٢.

(٦) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ٣٠؛ جيمس موريس: مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

صلاحيات كل منهما، ومن هو صاحب السلطة العليا في إقليم الحجاز، وقد أدى ذلك إلى حدوث بعض القلاقل والاضطرابات للدولة العثمانية في الإقليم^(١).

ولإحكام السيطرة على إقليم الحجاز، عمدت السلطة العثمانية إلى تقليص نفوذ أمراء مكة المكرمة، وذلك من خلال إذكاء روح التنافس، وإثارة الخلافات بين أشرف مكة أنفسهم، وبين الولاة العثمانيين، مما أدى إلى توتر العلاقات- في بعض الأحيان- بين شريف مكة، والباب العالي، وانعكس ذلك التوتر على الأحوال الداخلية في مكة المكرمة، وظهور نزعة الاستقلال لدى بعض الأشراف، ومع استمرار المنافسة الشديدة بين فروع الأشراف، خسر الحجاز استقلاله الذاتي الذي تمتع به من قبل^(٢).

وللحد من نفوذ الأشراف، اقتضت التنظيمات العثمانية الجديدة أن يؤسس في كل مدينة من مدن الحجاز مجلسا خاصا؛ للبت في القضايا الإدارية للبلاد، ويكون أعضاؤه من الأفراد الحجازيين والأتراك، كما أنشأت مجلسا للتمييز تكون مهمته الفصل في قضايا الرعايا، وذلك منذ عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م^(٣). وبذلك خفت هيمنة الأشراف على إدارة البلاد، واستطاع العثمانيون أن يسيطروا نفوذهم على إقليم الحجاز، وأصبح بمقدور الوالي أن يستقل بمقدرات الإمارة، ويتصرف في تنصيب الأمير بعد الأمير في مكة، ثم يكتب رأيه إلى الإدارة العثمانية بإسطنبول ليتلقى تعليماتهم وأوامرهم^(٤).

غير أن موازين القوة بين أمير مكة والوالي العثماني في الحجاز، كانت تتأرجح بينهما بحسب مدى الدعم الذي تقدمه إسطنبول لوالي الحجاز، وبحسب ضعف

(١) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٩.

(٢) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٤٨؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٩؛ فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ٢٦.

(٣) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٧؛ فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٧.

السلطان العثماني أو قوته أو الدعم الشعبي للأمير أو الوالي، وكذلك مدى الانشقاق داخل عائلة الأمير الحاكم لمكة^(١). كما كان لإسطنبول أسلوباً خاصاً في الضغط على أمراء مكة بدلاً من عزلهم، فقد كانت تحتفظ ببعض أبناء أمراء مكة- المرشحين لخلافتهم في الإمارة- في إسطنبول نفسها، حيث كان يتم تدريبهم بالطرق العثمانية، واستخدامهم في المهام الحكومية، ثم إرسالهم إلى مكة المكرمة ليحلوا محل الأمير السابق^(٢). وواقع الأمر أنه كان كرهينة وورقة ضغط للشريف لأن قد يعزل ويرسل هذا من إسطنبول ليحل محله^(٣).

(١) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٦٢-٦٣؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٩.

(٢) محمد التونسي: مصدر سابق، ج ٥، ص ١٤؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ١١.

(٣) فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ٢٥.

**ثانياً: علاقة أمراء مكة المكرمة
بالدولة العثمانية قبيل فترة البحث**

ثانياً: علاقة أمراء مكة المكرمة بالدولة العثمانية قبيل فترة البحث:

الشريف عبد المطلب بن غالب^(١) (١٢٩٧-١٢٩٩هـ / ١٨٨٠-١٨٨٢م):

تولى الشريف عبد المطلب إمارته الثالثة لمكة المكرمة في عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م^(٢)، بعد أن تم ترشيحه من اللجنة^(٣) التي تم تشكيلها بقرار من السلطان عبد الحميد الثاني^(٤).

(١) هو الشريف عبد المطلب بن غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن حسن المثنى بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٣٤٩.

(٢) كان الشريف عبد المطلب قد تولى الشرافة قبل ذلك مرتين، الأولى كانت في عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م، وعزل عنها بعد خمسة أشهر، والثانية كانت في عام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م، واستمر بها إلى سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م. سالنامه ولاية الحجاز، ١٣٠٥هـ، ص ٩٠؛ ١٣٠٦هـ، ص ١٢٣؛ أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ٣٤٢، ٣٤٩؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٦٠؛ عبد الستار عبد الوهاب الدهلوي: تكميل وتذليل فيما يتعلق بأمراء مكة، مخطوط مصور في مكتبة الحرم المكي الشريف، الرقم العام (٢/٣٤٦٦) تاريخ، ق ٢٤-٢٧؛ إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢١٥-٢١٩؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ١٥٤؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٢؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٢، ص ٥٤٢-٥٥٣؛ سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) هذه اللجنة تكونت من سعيد باشا ومحمد نديم باشا وخير الدين باشا، وكانت مهمة اللجنة ترجيح - الشريف عبد المطلب أو الشريف عون الرفيق - لتولي منصب إمارة مكة المكرمة، وصدر تقرير اللجنة في ١١/٤/١٢٩٧هـ الموافق ٢٣/مارس/١٨٨٠م، والتي أوصت بترشيح الشريف عبد المطلب. إسماعيل حقي جارشلي: "والي وقائد عام الحجاز عثمان نوري باشا يعزل أمير مكة الشريف عبد المطلب بفرمان مزور، ترجمة: صالح سعداوي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات العدد الأول، المجلد الثامن، رمضان ١٤١٣هـ/ آذار ١٩٩٣م، ص ٩٨-٩٩.

(٤) السلطان عبد الحميد الثاني: ولد عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م وهو السلطان الرابع والثلاثون للدولة العثمانية، واجه في عهده تحديات كبيرة تمثلت في الشروط التي أجبر على تطبيقها وتتمثل في: =

كما كانت هناك أسباب أخرى وراء تعيين الشريف عبد المطلب منها تمتعه بأفضلية في أسرة زيد^(١)، وقدرته على السيطرة على البدو، فكان اختياره لإمارة مكة المكرمة، وسيلة لتأجيج نار التنافس والتناحر بين أسر الأشراف في الحجاز، وبخاصة بين أسرتي عون^(٢) وزيد، كذلك فقد كان الشريف عبد المطلب من المعادين للإنجليز، والكارهين للأجانب^(٣) إضافة إلى ذلك فقد كان الشريف عبد المطلب في سن الشيخوخة^(٤)، وبذلك تضمن الدولة عدم تمرده ضدها^(٥)، وأخيراً، انشغال السلطان

١= إعلان القانون الأساسي

٢- استشارة الوزراء في أمور الدولة.

٣- تعيين ضياء بك وكمال بك كاتبين لأتقما من الأمراء الحريصين على إجراء أحكام القانون الأساسي وقد حاول الوقوف في وجه الظروف العصيبة والأوقات الشديدة والتآمر العالمي على الدولة العثمانية من الداخل والخارج وأدت في النهاية إلى خلعه عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م ونقله إلى سالونيك. سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص٢٦؛ يوسف آصاف: مرجع سابق، ص١٥-١٧١.

(١) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج١، ص٢٩٤. أسرة زيد: تنسب إلى الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن محمد أبي نمي الثاني، ولد بمكة المكرمة سنة ١٠١٤هـ، وتولى إمارتها في عام ١٠٤١هـ، وظل بها حتى وفاته سنة ١٠٧٧هـ. محمد أمين بن فضل الله المحيي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص١٧٦-١٨٦.

(٢) أسرة عون: تنسب إلى الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي الثاني، تولى إمارة مكة في سنة ١٠٤٠هـ، واستمر في إمارته تسعة أشهر. وهو جد العبادة آل عون في الحجاز. الزركلي: مصدر سابق، ج٤، ص٧٨.

(٣) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص١٠٠؛ سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب بن غالب بن مساعد آل زيد أمير مكة المكرمة رؤية جديدة في ضوء الوثائق البريطانية، الموقع الرسمي لجامعة الملك عبد العزيز، http://salghalbi.kau.edu.sa/Show_Res.aspx?Site_ID=195&Lng=AR&RN=64115

(٤) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص٦٠، عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٤، ص١٢١؛ محمد أحمد المكّي الصباغ: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٢، ص٨٠٩؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج١، ص٢٩٤؛ جيرالد دو غوري: حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣١٠.

(٥) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص٢١٨.

عبد الحميد الثاني في تلك الفترة، بقضية التحقيق في مقتل عمه السلطان عبد العزيز^(١). وكان الشريف عبد المطلب من المعادين للمتهمين في تلك القضية^(٢)، وهذه العداوة للمجموعة التي غضب السلطان عليها، قربت الشريف عبد المطلب من السلطان عبد الحميد، وجعلته يفوز بثقته^(٣).

وكانت هناك ردود فعل قوية ضد تعيين الشريف عبد المطلب إذ أن اختيار هذا الشريف في منصب أمير مكة المكرمة، أغضب منافسيه من بني عون، فقرروا إرسال وفد إلى اسطنبول، يلتمسون من السلطان عبد الحميد عزل الشريف عبد المطلب، ونزع الشرافة من بني زيد وإعادتها إلى وضعها السابق في فرع بني عون، وكان من بين أعضاء ذلك الوفد الشريف الحسين بن علي^(٤)، غير أن مساعي ذلك الوفد في عزل الشريف

(١) السلطان عبد العزيز: ولد عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م، وهو السلطان الثاني والثلاثون للدولة العثمانية، تولى كرسي الخلافة عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م، سافر إلى أوروبا في عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م، ليحضر المعرض الباريزي، فاحتفلت به الدول العظمى في جميع الجهات التي مر بها، وأعدت لجلالته أبهر الزينات لكونه أول سلطان عثماني طاف عواصم الإفرنج ليرى رقيهم العصري، ويدخله في بلاده، ولما عاد من باريز أصدر أمره بترجمة جميع الأنظمة واللوائح المتعلقة بالدستور الفرنسي، فقامت البلاد وقعدت؛ لأن إدخال الدستور في تركيا يؤول إلى قلب البلاد واكتساح سلطة الفرد. وفي ١٧ جمادى الأولى لعام ١٢٩٣هـ الموافق ٣٠ مايو ١٨٧٦م، أصدر الدستوريين فتوى بخلعه، ونادوا بابن أخيه السلطان مراد سلطاناً على المماليك العثمانية، وبعد خمسة أيام من صدور الفتوى أشيع موته، واختلف فيه؛ لأنه قيل: إنه قتل عمداً، وقيل أيضاً أنه انتحر بقطع شرايين ذراعه بالمقص. سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص ٢٥؛ يوسف آصاف: مرجع سابق، ص ١٥٢-١٥٦.

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد، ط ٣، تقديم وترجمة: محمد حرب، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٩١؛ إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ٩٨.

(٣) صابرة إسماعيل، جدة، ص ١٧؛ إسماعيل جارشلي: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٤) الحسين بن علي: ١٢٧٠هـ - ١٣٥٠هـ / ١٨٥٤م - ١٩٣١م: من أحفاد أبي نمي بن بركات الحسيني الهاشمي، ولد في اسطنبول عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م، حيث كان والده منفيًا بها ثم انتقل معه إلى مكة المكرمة وعمره ثلاث سنوات ونشأ بها، وفي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، عين أميراً على مكة بعد الانقلاب الدستوري في الدولة العثمانية على يد جماعة الاتحاد والترقي. أعلن الثورة على الدولة العثمانية في عام ١٣٣٤هـ =

عبد المطلب، قد باءت بالفشل^(١).

وعلى الفور أدركت بريطانيا مخاطر تعيين عبد المطلب في منصب الشريف الأكبر، وتهديد ذلك لمصالحها في الحجاز، وذلك بسبب كراهية الشريف عبد المطلب لبريطانيا بصفة خاصة، وللمسيحيين بصفة عامة. وقد وصف السفير البريطاني في إسطنبول " لايارد **Layard**"، الشريف عبد المطلب بأنه صاحب "آراء متعصبة"، وأبلغ السلطان العثماني بأن تعيينه في منصب أمير مكة " قد يؤدي إلى حدوث اضطرابات خطيرة، ونزيف من حمامات دم في إقليم الحجاز"^(٢).

واتصل لايارد بالسلطان عبد الحميد؛ ليثنيه عن تعيين الشريف عبد المطلب، مقترحاً عليه تعيين الشريف عون الرفيق^(٣) بدلاً منه غير أن السلطان عبد الحميد رفض ذلك، وتمسك بتعيين الشريف عبد المطلب، لكنه وعد الإنجليز بأن يكون عون الرفيق الشريف الأكبر الثاني لمكة بعد وفاة عبد المطلب، وعندما وجد لايارد استحالة إثناء

= ١٩١٦م شن الملك عبد العزيز بن سعود الحرب عليه عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م وهزمه، فتنازل عن عرش الحجاز لابنه الشريف علي بن الحسين، وغادر إلى جزيرة قبرص وأقام بها. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٩؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، ط ١، دار البشائر، بيروت، ١٣٤١هـ / ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٨٤٢-٨٤٤.

(١) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٤.

(٢) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ١٠١؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨١-٢٨٢؛ سلوى الغالبي: الشريف عبد المطلب، ص ١٤-١٥.

(٣) عون الرفيق: ولد بمكة ونشأ بها، وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين ثم توجه إلى إسطنبول مدة من الوقت، ثم عين أميراً لمكة سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م، بعد انفصال الشريف عبد المطلب عنه. امتد سلطانه إلى الطائف، وكان ذو سطوة ونفوذ، وحصل على العديد من الأوسمة من الدولة العثمانية، منها رتبة أمراء الروملي سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م. عبد الستار عبد الوهاب الحنفي الدهلوي: فيض الملك المتعالي بأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ٢، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ج ٢، ص ١٢٥١-١٢٥٢؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٩٧-٩٨.

السلطان عن قراره بشأن عبد المطلب، نصح حكومته بأن تراقب أعمال الشريف عبد المطلب بتيقظ كبير، خاصة وأن تصرفاته يمكن أن يشوبها التآمر ضد إنجلترا بأوامر من السلطان؛ ولهذا اقترح لا يارد على حكومته البريطانية أن تعين عميلاً سرياً يندس وسط ركب الحجاج الهنود المسلمين، إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، ليراقب نشاطات وأعمال الشريف عبد المطلب، خلال موسم الحج^(١).

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة - داخليا وخارجيا- لتعيين الشريف عبد المطلب أميراً لمكة المكرمة، فقد تشبث السلطان عبد الحميد بقراره^(٢)، وأصدر قراراً بتعيين الشريف عبد المطلب أميراً لمكة المكرمة^(٣). وفور تكليفه بالمنصب أرسل برقية مستعجلة إلى مكة مخاطباً أعيانها، يخبرهم بأن قد تم تعيينه أميراً لمكة، وطلب منهم بذل الجهد في سبيل حفظ الأمن، لحين قدومه^(٤)، ثم توجه إلى الحجاز في باخرة سلطانية خاصة كلفت الدولة ما يزيد عن ١٧٠٠ جنية عثماني بالإضافة إلى ألفي جنية نفقات للسفر^(٥).

وصل الشريف عبد المطلب إلى مكة المكرمة في ليلة الجمعة ١٢ جمادى الآخرة ١٢٩٧هـ الموافق ٢٢ مايو ١٨٨٠م^(٦)، وقد استقبله معظم الناس بحماس منقطع

(١) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠١.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف: Y.E.E.88/55

(٤) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٢؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١١٦.

(٥) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٠؛ أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٢-١٣؛ محمد الصباغ: مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٠٨؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٦؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٢-٦١٣؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٠؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٢، ص ٥٥٢.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف: Y.E.E.88/55؛ أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٣؛ محمد=

النظير^(١) وكان برفقته الشيخ فضل الحضرمي^(٢). وفي يوم الاثنين نزل الشريف عبد المطلب إلى ساحة المسجد الحرام بالموكب الحافل، وقرأ على الناس فرمان السلطاني بتوليته إمارة مكة المكرمة^(٣).

وقد امتاز عهد الشريف عبد المطلب بالشدة والقسوة، فأثر ذلك سلباً على أمن البلاد واستقرارها. فقد اتخذ له بطانة فاسدة، استبدت بالحكم ومنعت عامة الناس من الاتصال به، كان من بينهم رجل من الشام يُسمى جمال أفندي، وآخر من اليمن يسمى محمد جابر^(٤)، عينه الشريف رئيساً لدائرته، وثالث يدعى ديوان أفندي، وآخر يُسمى حسين طلعت وهو رجل تركي ولد في المدينة المنورة^(٥).

واستغل الشريف عبد المطلب ثقة وتقدير السلطان عبد الحميد له^(٦). فانتهج

-
- =الصباغ: مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٠٩؛ ذكر أحمد دحلان أن وصول الشريف عبد المطلب لمكة المكرمة كان في ١١ من جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧ هـ ٢١ مايو ١٨٨٠ م. أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٠.
- (١) المصدر نفسه، ص ٦٠؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٣؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١١٨؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٤.
- (٢) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ١٠٢. فضل الحضرمي: عمل الشيخ فضل في السابق جاسوساً لبريطانيا في الهند، ثم اختلف معها، وانتقل إلى معسكر السلطان عبد الحميد الثاني، وأصبح من أنصار الجامعة الإسلامية. عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ١١٢.
- (٣) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٣؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٨.
- (٤) محمد جابر: أصله من الحديدية، كان يعمل مأموراً في جمرك الدولة العثمانية، ثم اعتقل وأرسل إلى مكة المكرمة في مدة إمارة الشريف عبد الله باشا بتهمة تبديد الأموال العامة، وبعد عدة مجالس عقدها الشريف لمحاكمته أرسله إلى اسطنبول ولكنه رجع مع ولاية الشريف عبد المطلب. أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٤.
- (٥) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٨؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٥؛ جيرالد دو غوري: مصدر سابق، ص ٣١١ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٣-٦١٤.
- (٦) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٢٦.

سياسة جائرة، أضرت بمصالح جماهير الشعب الحجازي^(١)، وذلك منذ الوهلة الأولى لتوليه المنصب، وكان من أبرز ما فعله - حتى قبل قراءة فرمان تعيينه أميراً لمكة - أن أمر بهدم دارٍ في القرارة^(٢) تعلو داره بناها الشريف مهدي بن أبي طالب العبدلي، فأمر بإحضار لجنة للإشراف على دعواه في الضرر فوافقتة اللجنة، فأحضر أبناء الشريف مهدي وقرر أن يدفع لهم أربعة آلاف ريال ثمناً للدار، فقبلوا مكرهين، فكتب صكاً بذلك ثم أمر بهدمها، ومثل ذلك التصرف أوغر صدور العامة، وبدأ استيائهم، وكثر لغطهم في شأن ذلك الأمير الجديد^(٣).

وقد كان الشريف عبد المطلب سيئاً في معاملته مع أعيان مكة والحجاز، حيث كان يخاطب بعضهم بخشونة في أثناء المقابلات الرسمية^(٤)، ويشتم البعض الآخر، بسبب علاقاتهم الحسنة مع القناصل الأجانب بجدة^(٥)، و لم يكن يسمح بالمعارضة السياسية، وبخاصة فيما يتعلق بسياسة الدولة العلية، وكان يأمر بالقبض على المعارضين له، كما فعل مع شيخ حارة الغزة محمد الهابط، وعبد الله بن قويحص، ومحمد تركي، وأمر بجلدهم حتى فقدوا وعيهم من التعذيب، ومات اثنان منهم ولم ينبج منهم إلا شيخ الغزة، واستمر الشريف عبدالمطلب في سياسة القمع، وإخماد أي صوت معارض له، حتى اشتد نفور الناس منه^(٦). غير أن ذلك لم يثنه عن سياسته، واستمر في القبض على كل معارضيهِ

(١) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) القرارة: هي حي من أحياء مكة، تقع شمال الحرم. عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ط ٢، دار مكة، مؤسسة الريان، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ج ٧، ص ١٣٦٢.

(٣) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٥؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ٢٩٤؛ جيرالد دو غوري: مصدر سابق، ص ٣١٠؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٢، ص ٥٥٣.

(٤) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٤؛ جيرالد دو غوري: مصدر سابق، ص ٣١٠.

(٥) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٤.

(٦) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٥؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: =

مثل، إبراهيم قاضي صاحب ينبع^(١)، وعائض بن هليل الثبتي شيخ السيل^(٢)، وابن جراثيم من أهل السيل أيضاً، وبعد القبض عليهم بعث بهم إلى اسطنبول مقيدين من طرفه^(٣).

وآثر بالمنافع بعض المقربين إليه في حلقات الخضار والفواكه فاستطاع دخيل الله العواجي أن يحتكر جميع حقوق الدلالة في الحلقة بموجب توصيه موقعة من عبد المطلب، وبذلك منع جميع المحترفين، ثم أباح لهم العمل لقاء مبالغ يحصلها لنفسه منهم، وفعل مثل ذلك في حلقات الفحم والخطب، فقد أقر فيها بعض الأشراف بموجب توصية خاصة تمنع غيرهم من مزاولة الدلالة إلا بعد دفع الرسوم الباهظة، وفعل مثل ذلك مع أصحاب الجمال الخاصة بالجاويين في بيوت معينة تتمتع بمصالحها وحدها^(٤)، كما قام الشريف عبدالمطلب بإلغاء جميع التصاريح السابقة الممنوحة لأعمال الطوافة، وقام بإصدار

=إفادة الأنام، ج ٤، ص ١١٩-١٢٠؛ جيرالد دو غوري: مصدر سابق، ص ٣١٠؛ عبد الفتاح حسن المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ط ١، الناشر المؤلف، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٢١٠؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٤؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٢، ص ٥٥٣.

(١) ينبع: هي محافظة من محافظات منطقة المدينة المنورة وتقع في إقليم تهامة تبعد حوالي ٢٠٠ كم غرب المدينة المنورة و ٣٠٠ كم شمال مدينة جدة. ويقدر عدد سكانها بـ ٥٠٠ ألف نسمة. وتعتبر ثاني أكبر مدينة على البحر الأحمر بعد مدينة جدة وتقسّم المدينة إلى ثلاث مدن هي: ينبع النخل، ونبع البحر، ونبع الصناعية. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٨٦٧-١٨٧٠؛ حمد الجاسر: بلاد ينبع، منشورات دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، د.ت، ص ٤٧-٥١.

(٢) السيل: بلدة بين نخلتين شامية واليمانية. يمر فيها طريق الطائف إلى مكة المار بنخلة اليمانية، المسمى (طريق اليمانية) تبعد عن مكة ٨٠ كم شرقاً، وعن الطائف ٥٣ كم شمال غربي. كانت تعرف بقرن المنازل. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ٨٦٣.

(٣) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٦؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٤؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٠.

(٤) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٧؛ عبد الفتاح المكي: المرجع السابق، ص ٢١٠؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨١.

تصاريح جديدة بيعت بمبالغ كبيرة^(١)، واستفاد من ذلك أقرباؤه وأصدقائه. كما فرض مبالغ كبيرة من المال مقابل إصدار الأحكام من قبل القضاة. وقد اعتبر الناس هذه الأمور أكثر سوءاً من أعمال العنف السابقة؛ لأنها ألحقت الأذى بقطاع كبير من سكان مكة^(٢).

ولم تكن تلك الأعمال والتصرفات التي قام بها الشريف عبد المطلب إلا حلقة متممة لسلسلة الاضطهاد التي أعلنها السلطان عبد الحميد في اسطنبول ضد خصومه من أنصار الاتحاد أو من يشتهبه فيهم، فقد كان تعقب من يشتهبه فيهم من أنصار الاتحاديين - خصوم السلطان - والقبض عليهم، وإرسالهم إلى اسطنبول، من أولى مهام وتكليفات السلطان للشريف عبد المطلب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد استغل الشريف عبد المطلب ثقة السلطان فيه، في تحقيق بعض المكاسب الشخصية له والتكليل بخصومه، بحجة القضاء على خصوم السلطان ودار الخلافة^(٣).

وقد ألقى الكثير من سكان مكة مسؤولية ما وقع لهم من ظلم واضطهاد، على عاتق مساعدي الشريف وليس الشريف نفسه^(٤)، وأرجعوا انفرادهم بالسلطة إلى عجز وضعف الشريف عبد المطلب عن القيام بأعباء الحكم؛ بسبب تقدمه في السن^(٥).

(١) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١.

(٢) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٥.

(٤) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٥.

(٥) عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، ج ٢، ص ٨٢٦؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٠؛ أريخ مسجل القنّامي: مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني (١٢٧٧هـ-١٣٣٤هـ / ١٨٦١م - ١٩١٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٤٤.

غير أن الدلائل التاريخية تشير إلى أن الشريف عبد المطلب كان يتمتع بإدارة قوية، كما تمتع بدرجة سياسية عميقة، وقدرة على إدارة الأمور^(١)، وذلك ما سيتم توضيحه في ثنايا الحديث عن علاقة أمراء مكة المكرمة بولاية الدولة العثمانية، وبالتحديد عن علاقة الشريف عبد المطلب بالوالي عثمان نوري باشا^(٢)، فلو كان الشريف عاجزاً لما تطلب الأمر كل تلك التدابير لتنحيته عن منصبه^(٣). كما سيعرض البحث فيما بعد.

نصف إلى ذلك حول ما ذكر عن نشاط الشريف وحيوته، والذي قارب التسعين عاماً، وكان محاط بالمشاكل والمخاطر، كما أنه فقد اثنين من أبنائه في عام واحد، وتعاني ابنته من مرض عضال، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يهجر مباحج الحياة، فقد تزوج في أواخر أيامه من فتاة صغيرة^(٤).

وجراء سياسة الشريف عبد المطلب في مكة والحجاز، نجمت ردود فعل عنيفة،

(١) بندر محمد العروي: سياسة الدولة العثمانية تجاه أشرف مكة المكرمة (١٢٥٦-١٣٤٣هـ / ١٨٤٠م-١٩١٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م، ص ١٤٦.

(٢) عثمان نوري باشا: (١٢٥٦هـ-١٣١٦هـ / ١٨٤٠م - ١٨٩٨م) ابن قائد البحرية أحمد شكري بك. تخرج من المدرسة الحربية عام (١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م) برتبة أركان حرب. عين قائداً للحجاز برتبة فريق عام (١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م). ثم والياً على ولاية الحجاز وشيخاً للحرم عام (١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م)، وبقي في هذا المنصب حتى عام (١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م). منح رتبة المشيرية عام (١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م) تقديراً للخدمات التي قدمها، وعزل في السنة ذاتها. ثم انتقل إلى حلب وبعدها بسنة إلى اليمن والياً، كما عين مرتين لولاية سوريا. وأعيد تعيينه لولاية الحجاز عام (١٣١٠هـ / ١٨٩٢م)، وحتى عام (١٣١١هـ / ١٨٩٣م) ثم عزل منها، فعاش في اسطنبول حتى وفاته، له عدة تقارير مهمة في الأرشيف العثماني عن أوضاع القبائل والعربان والأشرف في الحجاز واليمن. إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٧؛ سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ١٣٣؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٧؛ حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٤٠. انظر ملحق رقم (١٤).

(٣) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٤) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ٢٠.

فانتشر التدمير في طول البلاد وعرضها، وشقت القبائل عصا الطاعة، واضطرب جبل الأمن في كثير من الطرق^(١)، وتأزمت العلاقة بين الشريف عبد المطلب والأشراف من ذوي عون^(٢)، نتيجة لتضييقه عليهم، وقد أراد الشريف عبد المطلب من ذوي عون أن يرافقه إلى مكة؛ ولكنهم رفضوا، وأصروا على البقاء في الطائف. فتوعددهم بالتهديد لرفضهم الامتثال لأوامره، وذهب إلى مكة، بينما ظلوا في الطائف متجاهلين أوامره^(٣). وأصبح هؤلاء الأشراف ملجأ لكل الساخطين على الشريف عبد المطلب، والذين طاهم الضرر من سياسته؛ طلباً للحماية، وطلباً لاستعادة الحقوق^(٤)، فتوجه وجهاء مكة بمعرض موقع بأسمائهم إلى الحكومة في اسطنبول، تضمن التقرير ثبناً تفصيلياً بجميع الأفعال المرعبة التي ارتكبت، وأظهر مدى حالة اليأس التي أصابت نفوس المواطنين حتى أنهم باتوا يفضلون حماية القوى الأجنبية لأرواحهم، على استمرار الأوضاع الحالية التي لا تحتل. وذكر المعرض عدم نجاح كافة التوسلات التي قام بها الولاة العثمانيون لرفع هذا الحيف عن السكان، وانتهى المعرض بالمطالبة بعزله^(٥).

بيد أن السلطان عبد الحميد لم يعبأ بذلك المعرض، ولم يحقق في تجاوزات الشريف عبد المطلب، نظراً لانشغاله في تلك الفترة بالتحقيق في قضية مقتل عمه السلطان عبد العزيز، وكان الشريف عبد المطلب من المعادين للمتهمين في تلك القضية^(٦)، وهذه العداوة للمجموعة التي غضب السلطان عليها، قد قربت الشريف من السلطان، وجعلته

(١) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٢) الأشراف ذوي عون: وهم عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن عون؛ وحسين بن علي بن محمد بن عون، وعلي بن عبد الله بن محمد بن عون وأخيه محمد. أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١٥-١٦؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢٣.

(٤) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٥؛ بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٥) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٦) السلطان عبد الحميد: مصدر سابق، ص ٩١؛ إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ٩٨.

يفوز بثقته، حيث أوكل السلطان إليه مهمة حراسة المجموعة التي حكم عليها في قضية عزل السلطان عبد العزيز وقتله. وقد أرسلها السلطان إلى الحجاز، لتكون في عهدة الشريف عبد المطلب، وطلب منه أن يشدد الحراسة عليهم^(١) وكان عدد أفراد تلك المجموعة أحد عشر سجيناً. أهمهم الصدر الأعظم السابق، مدحت باشا^(٢)، وشيخ الإسلام^(٣) الأسبق حسن خير الله أفندي^(٤)، الذي أفتى بخلع السلطان عبد العزيز، وقد وصل أولئك السجناء إلى مكة، وظلوا بها يومين، ثم أرسلوا إلى السجن في إحدى قلاع

(١) إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢٢١-٢٢٢؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٥.
(٢) مدحت باشا: ولد في القسطنطينية سنة ١٨٢٢م، وتولى مناصب إدارية في الدولة إلى أن أصبح والياً على بلغاريا، ثم تولى ولاية بغداد عام ١٨٦٨م، ثم تولى منصب الصدارة العظمى في عام ١٨٧٣م، ولعب دوراً في إقصاء السلطان عبد العزيز من منصبه، وتعيين أخيه مراد الخامس سنة ١٨٧٦م. وشارك في تنصيب السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٧٦م، كما شارك في صياغة الدستور العثماني وإعلانه في بداية حكم السلطان عبد الحميد الذي عينه صدراً أعظم، ثم والياً على سوريا، ثم أزمير، وقدمه السلطان عبد الحميد للمحاكمة التي أدانته بالتخطيط والمشاركة في اغتيال السلطان عبد العزيز، وسجن بالطائف، وتوفي في سجنه سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٤م. فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٦٩؛ جلال يحيى: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ جميل النجار: مرجع سابق، ص ١٦٣؛ حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٤٩؛ قدري قلججي: مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨م، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) شيخ الإسلام: مفتي اسطنبول، رئيس الهيئة الدينية في الدولة العثمانية. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(٤) حسن خير الله أفندي: ولد في اسطنبول عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، تولى منصب شيخ الإسلام ومفتي الدولة العثمانية مرتين: الأولى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، وانتهت بعزله بعد شهر وثمانية أيام، أما الثانية: فكانت عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وشهدت مشيخته هذه ذروة الأحداث السياسية في الدولة العثمانية، والتي كان أهمها: خلع السلطان عبد العزيز ثم قتله، وتنصيب السلطان مراد الخامس ثم خلعه بعد ثلاثة شهور من سلطنته، ثم تنصيب السلطان عبد الحميد الثاني، وانتهت مشيخته الثانية بالعزل عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، وتعيينه على وظيفة شيخ بالحرم المدني، ثم عزل وأجبر على الإقامة في الطائف حتى توفي عام ١٢٧٩هـ/١٨٨٠م. أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (١٢٨-١٣٤١هـ/١٤٢٥-١٩٩٢م)، ط ١، مطبعة كنعان، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٢٤٤.

الطائف (١).

من خلال ما سبق يتضح لنا أن العلاقة بين السلطان عبد الحميد الثاني، والشريف عبد المطلب، كانت علاقة تسودها المودة والاحترام فالسلطان عبد الحميد منح الشريف إمارة مكة المكرمة رغم موجات الاحتجاجات العنيفة والمتعاقبة ضد تعيينه، وأنعم عليه بصلاحيات واسعة في إمارته، ومنحه ثقة كبيرة، حيث أوكل إليه مهمة حراسة المجموعة التي حكم عليها في قضية عزل السلطان عبد العزيز وقتله، وتعتبر تلك المهمة من المهام الكبيرة لدى السلطان. وفي المقابل نجح الشريف عبد المطلب في تنفيذ تلك المهمة على الوجه الأكمل.

(١) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج٢، ق١٦؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٤، ص١٢٢؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦١٥.

ثالثاً: بداية علاقات ولاية الدولة العثمانية

بإمارة مكة المكرمة قبيل فترة البحث

ثالثاً: بداية علاقات ولاية الدولة العثمانية بإمارة مكة المكرمة قبيل فترة البحث:

منذ عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م وقع إقليم الحجاز تحت نفوذ سلطتين متضادتين متناحرتين، هما سلطة أمير مكة من جهة، وسلطة الوالي العثماني من جهة أخرى، نشأ عن ذلك وجود ازدواجية في السلطة، بسبب عدم وضوح أو تحديد مهام وصلاحيات كل منهما تحديداً بيناً، مما أدى إلى وقوع التنافر والصراع فيما بينهما^(١) فعمت الفوضى والاضطرابات في سائر الإقليم، ونتج عن ذلك كثرة العزل والتبديل لولاية الحجاز^(٢). حيث تعاقب على منصب ولاية الحجاز - خلال إمارة الشريف عبد المطلب - أربعة من الولاة، هم:

أولاً: ناشد باشا (١٢٩٦-١٢٩٧هـ/١٨٩٧-١٨٨٠م)^(٣):

تقلد الوالي العثماني ناشد باشا، مناصب عدة في الدولة العثمانية، وخاصة فيما يتعلق بالشؤون المالية^(٤). وفي عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م، تم تعيينه والياً على حلب برتبة وزير، وبعد أربع سنوات نُقل إلى أضنة^(٥) ثم إلى أنقرة^(٦) ثم سوريا. وفي عام

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٢) سحر دعدع: مرجع سابق، ص ٥٢.

(٣) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠١هـ، ص ٣٩-٤٠؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٠.

(٤) محمد ثريا: سجل عثماني، مطبعة عامرة، اسطنبول، ١٨٩٧م، ج ٤، ص ٥٣٣؛ سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ٢٢٠؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٦.

(٥) أضنة: هي مدينة (أطنة وأدنة) تقع في تركيا الأسيوية "الأناضول" مركز لولاية ولولاء - يحملان الاسم ذاته على نهر سيحون، على بعد ٢٥ كم من البحر المتوسط سكانها (٤٠,٠٠٠) نسمة، مقر أسقفية يونانية تتبع بطرائية أنطاكية، موستراس: مرجع سابق، ص ٣٧.

(٦) أنقرة: مدينة في تركيا الأسيوية "الأناضول" تأسست في عام ٦٥ قبل الميلاد، ثم صارت عاصمة "الفلاطين"، ثم حكمها كل من الفرس والعرب والسلجوقيين، ثم الفرنجة الذين جاؤوا مع الحملة الصليبية الأولى وملكوها ١٨ سنة، أمام أسواها خسر السلطان العثماني بايزيد الأول معركته المشهورة أمام تيمورلنك ووقع في أسره وكان ذلك عام ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م، موستراس: مرجع سابق، ص ١١٥-١٢٦.

١٢٩٥هـ/١٨٧٨م عين رئيساً للجنة المهاجرين^(١).

تولى ناشد باشا ولاية الحجاز عام ١٢٩٦هـ/١٨٩٧م^(٢). وعندما صدر فرمان تعيين الشريف عبد المطلب على إمارة مكة المكرمة، لم يرحب به ناشد باشا، ولا ببقية الموظفين العثمانيين، بل أنهم أظهروا عدم رضاهم عن تعيين الشريف عبد المطلب^(٣)، واتصل كلاً من الوالي والقائم مقام وعدد من الموظفين والتجار بالقنصل البريطاني في جدة "جيمس زوهراب" James Zohrab وطلبوا منه أن يبذل ما في وسعه لمنع تعيين عبد المطلب^(٤). وكان ناشد باشا من أكثرهم حماسة في ذلك، إلا أنه لم يكن في مقدوره أن يعترض على رغبة السلطان؛ لأن ذلك سوف يؤدي إلى عزله، وتحقيره، ونفيه^(٥).

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا أن الوالي العثماني ناشد باشا قد ارتبط بعلاقة صداقة مع القنصل البريطاني في جدة^(٦)، وكان الشريف عبد المطلب يكره الأجانب وبخاصةً الإنجليز^(٧)، مما أدى إلى أن تكون العلاقة بين أمير مكة المكرمة الشريف عبد المطلب والوالي العثماني ناشد باشا علاقة سيئة منذ البداية^(٨).

وعندما قدم الشريف عبد المطلب إلى الحجاز، منحه السلطان عبد الحميد سلطة

(١) سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ٢٢٠؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٥، ص ٩٨؛ ١٣٠٦هـ، ص ١٣١؛ ١٣٠٩هـ، ص ١٢٩؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٠؛ AL-Amr, OP.CIT, P.119.

(٣) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨١؛ سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ٦.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨١-٢٨٢؛ سلوى الغالي: المرجع السابق، ص ٦.

(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٧) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ١٠١.

(٨) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ عماد عبد العزيز: مرجع سابق، ص ١٠٩؛ حمد القحطاني:

مرجع سابق، ص ٥٣. دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٢٦.

ونفوذاً واسعين، حتى أن الوالي ناشد باشا كان يخشى من النفوذ الذي تمتع به عبد المطلب لدى الباب العالي. كما استطاع الشريف أن يخلق حالة من الاستسلام لدى كبار الشخصيات من الوطنيين والمقيمين الهنود في جدة، وأصبح كل فرد لديه حالة من الخوف الدائم والترقب، حتى لا يتم استدعاؤه فجأة إلى الطائف أو مكة المكرمة للتحقيق معه في بعض الاتهامات^(١).

وفي أعقاب وصول الشريف عبد المطلب إلى الحجاز، أخذ يتدخل في شؤون الوالي ناشد باشا^(٢)، ويقلل من نفوذه وصلاحياته في الحجاز^(٣). وبدأ اتصالاته برؤساء القبائل في الجزيرة العربية كي يقطعوا علاقاتهم ببريطانيا، كما قام بعزل كل مؤيدي أسرة عون من مراكزهم ومناصبهم، وأقر مكانهم شخصيات من أنصاره دون أن يتوانى عن اضطهاد الأسرة نفسها^(٤)، إضافة إلى ذلك فقد أصدر أمراً بمنع "يوسف قدسي Yussaf Kudszzis" ترجمان القنصلية البريطانية في جدة من دخول مكة المكرمة. وفي حفلة عشاء في مكة يوم ١٨ ذي القعدة ١٢٩٧هـ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٨٨٠م، أقيمت على شرف حجاج هنود طالب عبد المطلب مسلمي الهند بالعمل معاً ضد بريطانيا، وفي أعقاب ذلك أرسل الشريف بعثة سرية إلى الهند للتحريض ضد بريطانيا^(٥).

ومن أبرز الأحداث التي أحدثت شقة، وصداما، وتنافرا بين الشريف عبد المطلب وناشد باشا، ما قام به الشريف عبد المطلب من إلقاء القبض على ثلاثة رجال في

(١) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ٧.

(٢) إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢١٨.

(٣) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٤) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٠٢؛ سلوى الغالي: الدور السري للقنصلية البريطانية في جدة من خلال الوثائق البريطانية، الموقع الرسمي لجامعة الملك عبد العزيز،

منتصف الليل لمجرد أنه ارتاب في أمرهم فقط، وبعد ذلك عاقبهم بالجلد حتى مات منهم اثنين^(١). وكذلك هدمه لدار الشريف مهدي الحمودي لأنها تلحق به الضرر^(٢)، وإسرافه في إصدار الأوامر بنفي الأشخاص ذوي النفوذ، الذين توجس منهم خيفة على مركزه^(٣)، وإيثاره أقاربه وبعض المقربين إليه بالمنافع العامة، حيث خصهم دون غيرهم باحتكار تجارة الفاكهة والخضار^(٤).

وعندما سافر بعض نساء الشريف عبد المطلب إلى الطائف في حراسة عسكرية، قام الحرس بأفعال وتصرفات عنيفة أثارت سخط قبيلتين من قبائل عتيبة^(٥) المرابطة على جانبي الطريق. فما كان من الشريف إلا أن جرد حملة على هاتين القبيلتين، استدعى

(١) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٥؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١١٩-١٢٠؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٤؛ جيرالد دو غوري: مصدر سابق، ص ٣١٠؛ عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢١٠؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٢، ص ٥٥٣؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٥؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٩؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٤؛ جيرالد دو غوري: مصدر سابق، ص ٣١٠؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٤؛ عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٥٣؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٠.

(٣) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٦؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٢؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٤؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٠.

(٤) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٧؛ عبد الفتاح المكي: المرجع السابق، ص ٢١٠؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨١.

(٥) قبيلة عتيبة: إحدى القبائل الكبيرة المنتشرة في شرق الحجاز ونجد، كانت ديارهم حرة الحجاز شمال مكة على مدركة ورهاط ممتدة شرقاً وجنوباً إلى الطائف وما حولها، وهي قبيلة ذات قوة ومنعة، وكانت ذات غلبة تخشاه كل القبائل، ومن تاريخ عتيبة: أنها كانت تساند الأشراف في مكة حيناً، وتزعجهم أحياناً، واشتركت عتيبة في ضم الطائف سنة ١٣٤٣هـ. عاتق غيث البلادي: معجم قبائل الحجاز، ط ٢، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣١٥ - ٣١٧.

إليها قبائل ثقيف^(١)، وهذيل^(٢)، وبعض البدو الآخرين، إضافة إلى ثمانين رجلاً من الطائف، ومائة رجل حضرمي من مكة، وكان هذا الحشد لتأديب تلك القبيلتين، لأنهم أبدوا بعض التذمر من معاملة الحرس لهم. مما دفعهم إلى طلب وساطة الوالي العثماني. غير أن الشريف لم يقبل هذه الوساطة، وأمضى حملته لتأديبهم، ولقد كان لهذا الموقف أثر كبير في زيادة أعداد المؤيدين للوالي من الضباط، والموظفين الأتراك^(٣).

وكان من آثار تلك الحملة التي قام بها الشريف عبد المطلب على قبائل عتيبة، حدوث تدمير في طول البلاد وعرضها، وشقت القبائل عصا طاعتها للشريف، واضطرب حبل الأمن في كثير من الطرق^(٤)، وانزعج تجار جدة والقناصل من غارات تلك القبائل^(٥). وعندما طلب الشريف عبد المطلب من الوالي ناشد باشا إمداده بالقوات اللازمة لإخضاع البدو رفض الوالي طلب الشريف^(٦). واستغل الوالي العثماني ناشد باشا

(١) قبيلة ثقيف: وهي إحدى القبائل الحجازية العريقة، ومساكنهم حول الطائف. ويتنسبون إلى قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وتنقسم ثقيف إلى سبعة بطون هم: طويرق، والنمور، وعوف، وبني سالم، وبني سفيان، والحُمدة، وثمالة. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٦٦-٦٩.

(٢) هذيل: قبيلة عظيمة من العدنانية لا زالت في ديارهم الأصلية، وهجتها أقرب اللهجات إلى الفصحى، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وانساح عدد من هذيل في الفتوحات الإسلامية، وهاجر بعضهم إلى أفريقيا وجاء لهم ذكر حول سليمة من بلاد الشام في القرن الثالث الهجري. وتنقسم هذيل اليوم إلى فرعين كبيرين، هما: المسودة، وجميل. عاتق البلادي: المرجع السابق، ص ٥٤٧-٥٤٩.

(٣) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٤.

(٤) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢١١؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٥) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٣.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

كثرة الاضطرابات القبلية في الحجاز للعمل على عزل الشريف^(١)، حيث سارع بإبلاغ اسطنبول بالتجاوزات والأفعال التي يقوم بها الشريف عبد المطلب وأتباعه^(٢). إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يستمع لتلك الشكاوي المرفوعة ضد الشريف عبد المطلب^(٣).

وفي المقابل، كان من الطبيعي أن يتحرك الشريف عبد المطلب ضد الوالي ناشد باشا، فكتب الشريف إلى الباب العالي مرتين يشكو من الوالي ناشد باشا، ويطلب عزله من المنصب، ولكن الباب العالي لم يبد أي اهتمام أو رضا عن طلب الشريف عبد المطلب هو الآخر. مما دفع الشريف عبد المطلب بالكتابة مباشرة إلى السلطان قائلاً: " أنه لن يستطيع الاستمرار في تصريف الأمور في ظل استمرار ناشد باشا في منصبه، وأنه في حالة عدم الاستجابة لطلبه في عزل ناشد باشا سيطلب إعفائه من منصب الإمارة"^(٤).

وبالفعل استجاب السلطان لطلب الشريف عبد المطلب، ورأى أن يتدخل لتسوية الموضوع تسوية تنطوي على المحافظة على كرامة الشريف، وتصحيح الأوضاع الجائرة التي أدخلها. فقرر السلطان عزل الوالي ناشد باشا^(٥).

(١) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٧؛ عبد الفتاح المكّي: المرجع السابق، ص ٢١١؛ مبارك محمد المعبدّي: النشاط التجاري لميناء جدة خلال العهد العثماني الثاني (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م - ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٠٧-١٠٨؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٥-١٦.

(٢) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨.

(٣) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٦؛ بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٤٥.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٢؛ سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ١١-١٢.

(٥) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣٠.

شكل قرار عزل الوالي ناشد باشا، خسارة فادحة بالنسبة للقناصل البريطانية في جدة، وذلك نظرا للعلاقة الحميمة التي كانت تربط بين الوالي العثماني ناشد باشا، والقناصل^(١).

على أية حال فقد أصدر السلطان قراره بعزل ناشد باشا من منصب الوالي، في ١/١٢/١٢٩٧هـ، الموافق ٤/١١/١٨٨٠م^(٢) وظل الوالي المعزول في مكة إلى أن قام بأداء مناسك الحج، ثم توجه إلى اسطنبول^(٣). وتم تعيينه بعد ذلك والياً على أزمير^(٤)، ثم والياً -للمرة الثانية- على سوريا، وفيها توفي سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م^(٥).

(١) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ١٢.

(٢) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٠؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١١٩-١٢١؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٢، ص ٥٥٣.

(٣) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠١هـ، ص ٣٩-٤٠؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢١.

(٤) أزمير: مدينة في تركية الآسيوية " الأناضول"، ينسب إنشاؤها إلى امرأة أمازونية اسمها "مسيرن" Smyrne، وقد أنشأتها في سنة ٦٨٨ قبل الميلاد، تمكن العثمانيون من فتحها في عهد السلطان مراد الثاني عام ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م، موستراس: مرجع سابق، ص ٥٢-٥٤.

(٥) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٤، ص ٥٣٣؛ سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ٢٢٠؛ صابرة إسماعيل: جدة، ص ١٦.

ثانياً: صفوت باشا (١٢٩٧-١٢٩٨هـ / ١٨٨٠-١٨٨١م)^(١):

أصله تتاري^(٢)، ومسقط رأسه الأناضول^(٣)، تخرج من المدرسة الحربية برتبة أركان حرب، وعمل معلماً فيها، كما عمل في مصلحة تسجيل الحدود. وفي عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م أصبح رئيساً لمجلس الشورى، وفي عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، ترقى إلى رتبة مشير^(٤)، وتقلد منصب الوالي في عدد من الولايات مثل كريت^(٥) وأدنة، وطرابلس الغرب^(٦)، وطرابزون^(٧). وتولى ولاية الحجاز لفترتين الأولى عام ١٢٩٧هـ-١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م-١٨٨١م، والثانية كانت في عام ١٣٠٤-١٣٠٦هـ / ١٨٨٧-١٨٨٩م^(٨).

تولى الوالي العثماني صفوت باشا ولاية الحجاز في فترته الأولى في غرة ذي الحجة

(١) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٩هـ، ص ٤٠؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢١؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨.

(٢) التتار، تتر: اسم عام أطلق على شعوب اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا بزعامة المغول في القرن ١٣م، ويرجح أن التتار الأصليين جاءوا من شرق وسط آسيا أو من وسط سيبيريا، وسيطروا على روسيا وسيبيريا تقريباً، وظلت إمبراطوريتهم "القبيلة الذهبية" حتى القرن ١٥م، حين تمزقت إلى خانات عديدة مستقلة سقطت في أيدي العثمانيين والقبصر إيفان الرابع، وهناك نحو ٥ ملايين تتر في جمهوريات الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وهم يتكلمون لغة من أصل تركي ويعتقون معظمهم الإسلام. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٣) الأناضول: المقصود بها تركية الأسيوية. موستراس: مرجع سابق، ص ٤٥.

(٤) المشير: المستشار: هو الناصح الذي يؤخذ رأيه، زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٤٩٤.

(٥) كريت: جزيرة في البحر المتوسط، تشتهر بكثرة الجبال، خضعت لحكم الرومان، ثم اليونان، ثم العرب والمسلمين، ثم الجنويين، ثم البنادقة، وأخيراً فتحها الأتراك في عام ١٦٦٩م، والجزيرة مسقط رأس العديد من العلماء والشخصيات المشهورة في العصور القديمة. موستراس: مرجع سابق، ص ٤٢١-٤٢٢.

(٦) طرابلس الغرب: المقصود بها مدينة طرابلس الليبية. موستراس: مرجع سابق، ص ٣٤٨.

(٧) طرابزون: مدينة في تركية الأسيوية "الأناضول" تقع على البحر الأسود وفتحها العثمانيون في عهد محمد الثاني عام ١٤٦٠هـ. موستراس: مرجع سابق، ص ٣٤٦.

(٨) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣١.

١٢٩٧هـ / ٤ نوفمبر ١٨٨٠م^(١). وكان صفوت باشا شهماً حازماً^(٢)، وسادت بينه وبين الشريف عبد المطلب علاقة طيبة - في أول الأمر - لكنها لم تدم أكثر من شهر واحد، فسرعان ما نشبت نار الخلاف بينهما، أكثر مما حدث مع الوالي السابق ناشد باشا^(٣).

تلقى الشريف عبد المطلب - في أول الأمر - نبأ تعيين الوالي صفوت باشا بالترحاب^(٤)، ولما وصل صفوت باشا إلى مكة المكرمة، قام بإلغاء التقارير التي أصدرها الشريف عبد المطلب والخاصة بالحد من حرية التجارة، حيث قام صفوت باشا بإفساح المجال لكافة التجار لممارسة مهنتهم بكل يسر وسهولة دون قصرها على فئة معينة^(٥)، غير أن تلك الإجراءات أغضبت الشريف عبد المطلب، واعترض عليها، كما قام صفوت باشا بتحديد صلاحيات الشريف عبد المطلب، وأخذ يتدخل في شؤون الإمارة - ورأى أن ذلك من صلاحياته وحقوقه الإدارية - مما أدى ذلك إلى توتر العلاقة بين الرجلين^(٦)، وقام الشريف عبد المطلب بإصدار قرارات فردية ضد رغبة الوالي ودون استشارته، من ذلك عزله لأفراد ومجموعات مختلفة في الحجاز^(٧)، واستبدلهم بأخرين موالين له^(٨).

(١) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢١؛ أحمد السباعي: مرجع

سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢١١؛ محمد علي مغربي:

أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية، ط ١، مطبعة المدني، القاهرة،

١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج ٣، ص ١٠٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٢) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧.

(٣) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٤.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف: Y.E.E.88/55.

(٥) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٦-١٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛

عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢١١؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٦) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٧) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٨) المرجع نفسه، ص ٢٨٣.

واضطهاده لعمر نصيف^(١) أحد كبار تجار جدة^(٢).

وقد أدت تلك القرارات التي أصدرها الشريف عبدالمطلب إلى اشتعال نار التوتر والخلاف بين الوالي صفوت باشا، والشريف عبد المطلب^(٣)، كما أثارت غضب الأشراف من ذوي عون، وتجار جدة ومكة المكرمة، والقناصل الأجانب، وبما أن القبائل لم تستلم مخصصاتها المالية انقلبت هي الأخرى ضد الشريف عبدالمطلب^(٤) فأدى ذلك إلى حدوث حالة من الانفلات الأمني، وكثر النهب والسلب في طريق الطائف وجدة، وصار الناس في ضيق^(٥)، كما اندلع - من جراء ذلك - شجار بين الأهالي في مكة المكرمة استمر خمسة عشر يوماً، انتهى بالقبض على مثيري الفتنة، حيث تم إرسالهم إلى جدة تأديباً لهم، وردعاً لأمثالهم، وبعد مدة أخلى سبيلهم بقرار من الشريف عبد المطلب، على الرغم من اعتراض الوالي صفوت باشا، والذي أرجع سبب وقوع مثل تلك الأحداث المؤسفة إلى قيام الإمارة، بعزل وتغيير شيوخ الحي الذين هم في منزلة أئمة الحي، دون علم الحكومة بذلك، مما أدى إلى وقوع مثل تلك الأحداث^(٦).

يتضح لنا -مما سبق- أن العلاقة بين الوالي العثماني صفوت باشا، والشريف

(١) عمر نصيف أفندي: هو عمر بن عبد الله نصيف ولد في جدة عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م، وتوفي بها عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، عينه الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون وكيلاً له في جدة، واستمر يشغل وكالة الإمارة في جدة، حتى أثناء فترة الشريف الحسين بن محمد بن عون، ولكن عندما آلت الإمارة إلى الشريف عبد المطلب بن غالب ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م، عزله وعيّن وكيلاً آخر هو حسن بن محمد الهزاري. ثم ما لبث وأن أعاد الوكالة إلى عمر نصيف. عبد القدوس الأنصاري: موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط ٢، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٣) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

(٥) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٥؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١.

(٦) أريج القنّامي: مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

عبد المطلب، كانت علاقة سيئة جداً، بعكس ما ذكره مترجم القنصلية البريطانية في جدة، والذي شبه الوالي العثماني صفوت باشا بالعبد، حيث قال: " يسترشد الحاكم العام صفوت باشا في كل عمل يقوم به بعبد المطلب، وقد أعلن للملأ أنه أكبر معاوني أتباعه، كما أنه لا يجلس مطلقاً في حضرته، ويظل واقفاً مثل العبد، ولم أر أي حاكم من أسلافه يقوم بما يقوم به ". وذكر أيضاً: " أن صفوت باشا كان يقيم في مكة، ولكنه كان غير قادر على القيام بأعباء ولاية الحجاز، ولا يتدخل في الأمور تجنباً للاصطدام بالشريف عبد المطلب. وعندما كان يحدث بينهما صدام، كان السلطان العثماني يسارع بالتدخل للصلح بينهما، وهكذا أصبح صفوت باشا يحيل جميع الموضوعات إلى الشريف عبد المطلب"^(١).

وتأزمت العلاقة بين الوالي العثماني صفوت باشا والشريف عبد المطلب، وازدادت حدة النزاعات بينهما^(٢)، فذهب الوالي صفوت باشا إلى جدة، ورفض العودة إلى مقر الولاية في مكة، إلا بعد الحصول على تعليمات واضحة من الباب العالي تحدد صلاحيات الشريف عبد المطلب، غير أن النتيجة جاءت مخيبة لآمال الوالي صفوت باشا^(٣)، فقد انحاز السلطان عبد الحميد للشريف عبد المطلب ومنحه فرصة أخرى لإصلاح ما فسد^(٤)، وأصدر قراراً بعزل صفوت باشا من ولاية الحجاز^(٥) في غرة ذي الحجة ١٢٩٨ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨٨١ م^(٦). ثم أعاده السلطان لولاية الحجاز مرة

(١) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ١٢.

(٢) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٣) AL-Amr, OP. CIT, P. 120-121.

(٤) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.E.E 88/79؛ إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ٩٩.

(٦) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٥ هـ، ص ٩٨؛ ١٣٠٦ هـ، ص ١٣١؛ ١٣٠٩ هـ، ص ١٢٩؛ أحمد دحلان: مصدر

سابق، ص ٦٢؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧.

أخرى في عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، واستمر في ولايته حتى عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م^(١).

ثالثاً: أحمد عزت باشا (١٢٩٨-١٢٩٩هـ / ١٨٨١-١٨٨٢م)^(٢):

ولد أحمد عزت باشا في مدينة أرزنجان^(٣) عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، وقد أرسل إلى أوروبا في بداية تكوين الجيش السلطاني، وتدرج في المناصب حتى أصبح أميراً للواء، ثم فريقاً^(٤)، وفي عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م عين والياً على "وان"^(٥)، ثم عزل عنها في عام ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، ثم عين والياً على جدة في عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م. واستمر بها حتى عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م^(٦).

ثم أصدر السلطان عبد الحميد الثاني قراراً بتعيين عزت باشا والياً على الحجاز في غرة ذي الحجة ١٢٩٨هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨٨١م^(٧)، وكان وصول عزت باشا إلى مكة المكرمة في غرة محرم ١٢٩٩هـ / ٢٣ نوفمبر ١٨٨١م^(٨)، وكانت هذه الولاية هي الثانية

(١) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣١.

(٢) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٥، ص ٩٨؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢٥؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٩؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، ج ٢، ص ٨٢٧.

(٣) أرزنجان: مدينة في تركيا الآسيوية (الأناضول)، تتبع ولاية ولواء أرضروم بالقرب من الفرات، موستراس: مرجع سابق، ص ٤١.

(٤) فريق: رتبة عسكرية في الجيش العثماني عمل بها منذ إنشائها عام ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م إلى عام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م، وكان لقب الفريق "سعادتلو أفندم حضرتلي". زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٤٠٤.

(٥) وان: مدينة في تركيا الآسيوية (الأناضول) تقع على الضفة الشرقية للبحيرة التي تحمل الاسم نفسه، يبلغ عدد سكانها (٣٠٠٠٠) نسمة. موستراس: مرجع سابق، ص ٤٨٦.

(٦) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٦٥.

(٧) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٦، ص ١٣١؛ أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٧؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٥.

(٨) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٧؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢.

للوالي عزت باشا، أما الولاية الأولى، فقد كانت أثناء شرافة عبدالمطلب السابقة^(١)، وفي الولاية الثانية كان عزت باشا قد شارف على التسعين من عمره^(٢)، إلا أنه كان قوي البنية^(٣)، ولديه لياقة بدنية عالية للقيام بأعباء ومهام منصبه، وقد احتفل الشريف عبد المطلب بقدوم عزت باشا، وأمر بأن تضاء مكة لمدة ثلاثة أيام، تعبيراً عن الترحيب بقدوم الوالي الجديد^(٤).

وكان السبب في اختيار السلطان لعزت باشا واليا على إقليم الحجاز، هو خبرته ومعرفته السابقة بشخصية الشريف عبد المطلب فاعتقد السلطان عبد الحميد أنه سيكون قادر على مسيرته وتجنب الخلافات معه^(٥)، إلا أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فبعد ثمانية أشهر من تعيينه في الولاية، سرعان ما نشب الخلاف بينه وبين الشريف عبد المطلب، نظراً لتدخل الشريف عبد المطلب في اختصاصات الوالي. فقد كان عزت باشا رجلاً ليناً، غير حازم، وكان الشريف عبد المطلب يسيره كيفما يشاء^(٦)، واستطاع أن يفرض سيطرته عليه^(٧)، فاختل ميزان الأمن، وساءت أحوال البلاد والعباد بسبب سوء تدبير عمال الشريف عبد المطلب، وسيطرة أعوانه على إدارة الإقليم، ومنع الأهالي

(١) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢٥؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٥١٢؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، ج ٢، ص ٨٢٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٥؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٨-٦١٩؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٣) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عارف عبد الغني: المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٢٧.

(٤) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ١٢-١٣.

(٥) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ١٠٧.

(٦) أريج القنّامي: مرجع سابق، ص ١١٩.

(٧) إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ٩٩؛ سلوى الغالي: المرجع السابق، ص ١٣٠.

من الوصول بمظالمهم للأمير، بسبب كثرة الحجاب^(١).

ونظراً لتردي الأوضاع في الحجاز، أرسل السلطان عبد الحميد الفريق عثمان نوري باشا قائداً للعساكر العثمانية في إقليم الحجاز^(٢). وكانت بمعيته -عندما قدم إلى مكة - قوات عسكرية إضافية ومدافع، لدعم القوات الموجودة في مكة، واستطاع عثمان باشا بعزمه وحزمه من ضبط زمام الأمور، وحماية الناس من بطش أعوان الشريف عبد المطلب^(٣).

وبمجيء الفريق عثمان نوري باشا إلى الحجاز، نشبت نيران الاختلاف مع شريف مكة، حيث بدأ الفريق عثمان يمارس صلاحيات إدارية واسعة، محاولاً تقليص نفوذ الشريف عبد المطلب، وتحجيم صلاحياته^(٤)، وفي المقابل أخذ الشريف عبد المطلب في التحرك بقوة لعزل الفريق عثمان نوري، فكتب إلى الباب العالي يشكو من تدخل عثمان نوري في كل أمر من أمور الحجاز، وطالب بعزله^(٥).

وقد آثر الوالي عزت باشا تجنب الدخول في صراع مع الشريف عبد المطلب، فأصبح الفريق عثمان نوري هو الحاكم الفعلي للحجاز^(٦)، وهو الذي يجتمع بالشريف عبد المطلب ويقوم بمراجعته في أحوال الرعية، ووقع الوالي عزت باشا بين شقي الرعي، حيث لم يكن يملك القدرة على الاصطدام بالشريف عبد المطلب وأعوانه، وفي الوقت نفسه لا يستطيع رفض أمر القائد العسكري عثمان نوري باشا، فأثر الوالي عزت باشا

(١) أريج القنامي: مرجع سابق، ص ١١٩.

(٢) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢٥.

(٣) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٥-١٢٦.

(٤) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٥) إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢١٨، إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ١٠٠.

(٦) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٤٨.

أن ينأى بنفسه عن هذا الصراع، فطلب الاستعفاء من ولاية الحجاز فأعفي^(١)، وكان ذلك في ٢٠ شعبان ١٢٩٩هـ / ٧ يوليو ١٨٨٢م^(٢)، حيث توجه عزت باشا إلى اسطنبول^(٣). وبقي فيها حتى وفاته في ١٤ شوال ١٣٠١هـ / ٧ أغسطس ١٨٨٤م^(٤).

وقد كان أحمد عزت باشا من أرباب الثراء والقدرة، وكان كاتباً وشاعراً وأديباً، أعطى اهتماماً كبيراً للشؤون العسكرية، ويعتبر عزت باشا من أصحاب الخيرات^(٥)، ومن حسناته في مكة المكرمة. قيامه بعمارة المسجد الحرام من الداخل والخارج، كما قام بطلاء مقام سيدنا إبراهيم بالذهب، وجدد فوانيس الغاز من الصفا إلى المروة^(٦)، ومن أعماله الخيرية أيضاً بناء مسجد كبير في مدينة أرزنجان^(٧)، التي ينتسب إليها^(٨).

(١) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧.

(٢) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٦، ص ١٣١؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ أحمد الحضراوي: المصدر

السابق، ج ٢، ق ١٧؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢٥؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢،

ص ٦١٩؛ إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ١٠٠.

(٣) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢.

(٤) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٦٥.

(٦) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ١٠٧.

(٧) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٦٥.

(٨) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٧.

رابعاً: عثمان نوري باشا (١٢٩٩-١٣٠٤هـ/١٨٨٢-١٨٨٧م) (١):

عقب إعفاء عزت باشا من ولاية الحجاز، أسندت الدولة العثمانية ولاية الحجاز للوالي عثمان نوري باشا في ٢٠ شعبان ١٢٩٩هـ/ ٦ يوليو ١٨٨٢م (٢). وكان عثمان نوري رجلاً عسكرياً قوي الشكيمة، وموضعاً لثقة السلطان عبد الحميد، حيث كان قد كلفه بحراسة مدحت باشا ورفاقه المنفيين في الطائف، بعد أن كانت هذه المهمة موكوله لشريف مكة عبد المطلب (٣)، وقد أثار تعيين عثمان نوري باشا والياً على إقليم الحجاز، غضب الشريف عبد المطلب (٤).

ولما رأى الشريف عبد المطلب تلك الثقة الكبيرة التي أولاها السلطان لخصمه عثمان نوري باشا سعى بقوة لعزله (٥)؛ لينفرد بالسيطرة على الحجاز، إلا أنه لم يستطع تحقيق ذلك بسبب منح السلطان عبد الحميد للوالي عثمان نوري سلطات واسعة تساعده على القيام بأي عمل يرى أن تنفيذه ضرورياً لتحقيق الأمن في الحجاز (٦). فبدأ الشريف عبد المطلب يكتب شكاوي مغرصة إلى السلطان في حق الوالي عثمان نوري،

(١) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٥، ص ٩٥؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧.

(٢) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٦، ص ١٣١؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٧؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢٥؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٦. ذكر هورخرونيه أن تعيين الشريف عبد المطلب كان في شهر رجب من عام ١٢٩٩هـ / يونيو ١٨٨٢م. كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ١٠٠.

(٤) AL-Amr, OP. CIT, P. 124.

(٥) إسماعيل جارشلي: المرجع السابق، ص ١٠٠، أريج القنّامي: مرجع سابق، ص ٤٦.

(٦) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٧؛ سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ١٢.

ويحرض أنصاره على الكتابة ضده^(١).

فكان من الطبيعي أن يتحرك الوالي بدوره، ضد الشريف عبد المطلب، وبدأ خطته بتقديم العديد من الشكاوي للسلطان عبد الحميد حول سلوك الشريف عبد المطلب، ولم يقتصر الوالي عثمان نوري على الشكاوي فقط، بل تعداها إلى تدبير مؤامرة تخلصه نهائياً من الشريف عبد المطلب، فألصق به تهمة الاتصال بالقنصل البريطاني في جدة، للحصول على الأسلحة بعد التنسيق مع شيوخ قبائل حرب^(٢)، وبعض الأشراف بهدف القيام بثورة ضد الدولة العثمانية^(٣).

وقبل توجيه التهمة للشريف عبد المطلب اجتمع كل من عثمان نوري، وعمر نصيف، والشريف عبد الإله بن محمد بن عون^(٤)، وحدث بينهم نوع من التنسيق

(١) إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ١٠٠، أريج القشامي: مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧؛

AL-Amr, OP. CIT, P. 123

(٢) قبيلة حرب: قبيلة يمانية النسب حجازية الوطن، هي: حرب بن سعد بن سعد بن حَوْلان، وخولان ينتهي نسبه إلى كهلان ثم إلى قحطان، كانت حتى أوائل القرن الثاني الهجري تقيم في اليمن حول صعدة، ثم حدثت حروب طاحنة بين بني سعد بن سعد والربيعة بن سعد، فجلت بنو سعد بن سعد بن خولان إلى الحجاز سنة ١٣١هـ فنزلت حرب وسط الحجاز، وسيطرت على مناطق واسعة من الحجاز من القنفذة جنوب مكة إلى حدود العراق. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١٠٧-١٠٨.

(٣) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٧؛ سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ١٣؛ أريج القشامي: مرجع سابق، ص ٤٧

(٤) الشريف عبد الإله بن محمد بن عبد المعين بن عون ولد عام ١٢٦١هـ-١٣٢٦هـ / ١٤٥٠م-١٩٠٨م، وهو الابن الأصغر للشريف محمد. وبعد عزل أمير مكة الشريف عبد المطلب عن إمارته الثالثة على مكة عين الشريف عبد الإله أميراً على مكة وكالة من قبل الوالي عثمان نوري باشا، ثم عزل وتوجه إلى اسطنبول وفي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرماناً بتولية الشريف عبد الإله بن محمد أميراً لمكة، وبينما كان الأمير الجديد يعد العدة للسفر من اسطنبول إلى مكة المكرمة، وافاه الأجل المحتوم، وصدر أمر السلطان عبد الحميد بتعيين الشريف الحسين بن علي. إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٧؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، ج ٢، ص ٨٤١.

للتخلص من الشريف عبد المطلب، وتعيين الشريف عبد الإله أميراً لمكة المكرمة^(١).

كما كان لبعض الأشراف من آل عون يدٌ في تليفق التهمة خاصة وأن عبد المطلب كان خصمهم اللدود^(٢)، وكانوا يسعون لعزله من منصبه، وإعادة الشرافة إلى فرعهم كما كان في السابق فأرسلوا وفداً إلى اسطنبول، كان من بينهم الحسين بن علي، ولجأ الوفد إلى تشكيك السلطان في نزاهة عبد المطلب، عن طريق تقديم الوثائق التي تثبت اتصاله بالإنجليز^(٣). وفي الوقت نفسه اتصل أعضاء ذلك الوفد بالسفارة البريطانية في اسطنبول، وحثوا السفير على وجوب اعتماد بريطانيا على ذوي عون -دون غيرهم- في اتصالات بريطانيا مع أمراء شبه الجزيرة العربية^(٤). كما تحدث الوفد مع السلطان عبد الحميد عن الصداقة الوثيقة التي تربط الشريف عبد المطلب ومدحت باشا^(٥)، ومما عزز تصديق السلطان لهذه التهمة، رفض الشريف عبد المطلب تنفيذ أوامر السلطان عبد الحميد بقتل مدحت باشا، مما أثار غضب السلطان^(٦).

كما لعب الإنجليز دوراً كبيراً في عزل الشريف عبد المطلب بسبب كراهيتهم الشديدة لسياسته^(٧)، والتي أصبحت تشكل تهديداً لمصالح بريطانيا في المنطقة، وتمثلت

(١) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ٢٠.

(٢) AL-Amr, OP. CIT, P. 123.

(٣) علي الوردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤١-٤٢.

(٤) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٤.

(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها؛ نجاة الجاسم: مرجع سابق، ص ٣٩؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٨؛
وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٥.

(٦) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٥؛ نجاة الجاسم: مرجع سابق، ص ٣٩؛ أريج القثامي: مرجع سابق،
ص ٥٠.

(٧) نجاة الجاسم: مرجع سابق، ص ٣٩؛ صالح العمرو: تقارير القناصل البريطانية في جدة كمصدر لتاريخ غرب
الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد
السابع، لسنة ١٩٧٨م، ص ١٠٥.

تلك السياسة في إقصاء الشريف عبد المطلب لكل مؤيدي أسرة آل عون من مناصبهم، وعين مكانهم رجالاً من أنصاره، كما منع الشريف عبد المطلب، يوسف قدسي مترجم القنصلية البريطانية في جدة من دخول مكة، إضافة إلى اتصالاته برؤساء القبائل في الجزيرة وحثهم على قطع علاقاتهم ببريطانيا، لذلك أخذت الدبلوماسية البريطانية تتقرب من الشريف عبد المطلب لإثارة شكوك السلطان عبد الحميد حوله، كما أنه زورت - عن طريق مساعدي الشريف - ثلاث رسائل متهورة بخاتمة^(١) موجهة إلى ابن الرشيد^(٢) وابن سعود^(٣) وإلى القنصلية البريطانية في جدة، تتضمن معلومات حول رغبة الشريف عبد المطلب في التخلص من الحكم العثماني، ووضع البلاد تحت السيطرة البريطانية، وقد نفذت الخطة المذكورة لتصل تلك الرسائل إلى يد والي الحجاز عثمان نوري باشا^(٤).

(١) ذكر الحضراوي أن مساعدي الشريف عبد المطلب كانوا يتصرفون بمهر الشريف يميناً وشمالاً. أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧٧.

(٢) ابن الرشيد: هو الأمير محمد بن بعبد الله رشيد، تولى الإمامة سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م، في فترة إمارته بلغ الخلاف بينه وبين أبناء الإمام فيصل بن تركي ذروته وهكذا تحميت الأسباب لذلك الأمير ليبدأ في تنفيذ ما كان يدور في ذهنه من أطماع لحكم نجد على حساب أولئك المتنافسين عليه من آل سعود، وقد كان له ما أراد في عهد الإمام عبد الرحمن بن فيصل عندما التقى الطرفان عند بلدة حريملاء، فانهزم الإمام عبد الرحمن وأتباعه سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م، وكانت هذه المعركة آخر معركة قادها أئمة الدولة السعودية الثانية، كما كانت بمثابة الإعلان بنهاية تلك الدولة. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ط ١٠، الناشر المؤلف، الرياض، ١٤٢هـ / ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٠٤-٣١٢.

(٣) ابن سعود: هو الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي من آل سعود بُويِع بالرياض بعد وفاة والده سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، وخالفه أخوه سعود فنشب بينهما معارك استمرت لعدة سنوات، انتصر في نهايتها أبناء سعود على عمهم عبد الله بن فيصل، حيث ظفروا به وحبسوه، ثم ما لبث أن قويت شوكة محمد بن رشيد (أمير حائل) فهاجم الرياض، وفر أبناء سعود، وأفرج ابن رشيد عن عبد الله واصطحبه معه إلى حائل فأقام إلى سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م، وأذن له ابن رشيد بالعودة إلى الرياض فلم يستقر غير يوم واحد ووافته منيته فيها، وتولى بعده أخيه الإمام عبد الرحمن بن فيصل والد الإمام عبد العزيز. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ١١٣.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.E.E.88/49؛ عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٣.

وبذلك اجتمع خصوم الشريف عبد المطلب، وتعاونوا لاتهامه بمسألة تؤلب السلطان عليه؛ حيث جمعت المصلحة المشتركة بين كل من عثمان نوري باشا، وبعض الأشراف من آل عون، والإنجليز، وكانت تلك المصلحة المشتركة التي جمعت كل هؤلاء، هي ضرورة التخلص من الشريف عبد المطلب وعزله من منصبه (١).

وعبئاً حاول الشريف عبد المطلب تبرئة نفسه من تلك الاتهامات المنسوبة إليه، فأرسل خطاباً إلى السلطان عبد الحميد الثاني بتاريخ ١٥ من شهر صفر من عام ١٢٩٩هـ / ٦ يناير ١٨٨٢م، أوضح فيه أن ما نسب إليه من تهم، ما هي إلا محض كذب وافتراء، وليس لها أي أساس من الصحة، وأن مدحت باشا محبوس في قلعة الطائف ولا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة (٢). كما كتب له عريضة قال فيها: " إن هناك محاولة حدثت من بعض الأجانب لتهريب مدحت باشا ومحمود باشا إلى مصر. وأن الشريف عبد المطلب هو الذي منع هذا التدخل " (٣).

غير أن اتصال شريف مكة عبد المطلب بالقناصل البريطانيين في جدة، كان يشكل خطأً أحمرًا بالنسبة للسلطان عبد الحميد الثاني حتى ولو كان ذلك من باب الريبة والشك، فقد كان السلطان عبد الحميد شديد الحساسية والقلق من زيادة التدخل البريطاني في دولته، ومن المؤكد أن تلك الشكوك كانت سبباً رئيساً في عزل الشريف عبد المطلب (٤).

على أية حال قرر الوالي عثمان باشا عقد اجتماع مع أركان الحكومة في منزل قائد

(١) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ٢٠.

(٢) أريج القناني: مرجع سابق، ص ٥٣.

(٣) السلطان عبد الحميد: مصدر سابق، ص ٩١.

(٤) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٢٩.

الحجاز عمر بك ليلة الاثنين ٢٦ من شهر شوال لعام ١٢٩٩هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٨٢م وذلك لاتخاذ القرار بعزل الشريف عبد المطلب من إمارة مكة، وتعيين الشريف عبد الإله بن محمد بن عون بدلا منه، وكان من ضمن الحضور محمد رشدي قاضي مكة، والدفتردار (١) حسني بك، ووكيل المكاتبات فكرت شريف، والشريف الجديد عبد الإله بن عون. واطلع الوالي عثمان باشا المجتمعين على الخطابات التي أرسلها شريف مكة، وأخبرهم باعتزامه عزل عبد المطلب، وتعيين عبد الإله مكانه بفرمان مزور يقومون بكتابته. وبالفعل بدأت الترتيبات بإرسال تلغراف من عدن، على أنه مرسل من الصدارة العظمى، وذلك في أول شهر شوال ١٢٩٩هـ / ١٦ أغسطس ١٨٨٢م. هذا نصه: "لقد تم منح إمارة مكة المكرمة إلى عبد الإله باشا بقرار من السلطان، وقد قرر السلطان عبد الحميد الثاني أيضاً تحديد إقامة الشريف عبد المطلب في اسطنبول" (٢)، وبموجب هذا القرار المزور تمت مدهامة قصر الشريف عبد المطلب في ليلة ٢٨ من شهر شوال ١٢٩٩هـ / ١٢ سبتمبر ١٨٨٢م، وطلبوا منه الامتثال للأوامر وعدم المقاومة، ولما رأى الشريف عبد المطلب عدم جدوى المقاومة، وعدم إمهالهم له قام بالاستسلام، وسار معهم. ثم نقل إلى "قلعة القشلة" (٣) في الطائف، وأحاطت العساكر بالقلعة لحراستها،

(١) الدفتردار: أي ممسك الدفتر: وهي تتكون من كلمتين: دفتر ودار ومعناها صاحب الدفتر، وكان الدفتر دار بمثابة وزير المالية فكان له سلطان واختصاصات كبيرة فهو مسؤول عن الخزينة وأراضي الدولة العثمانية وحاميها، وبعد إنشاء وزارة المالية في تركيا عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٨م، انتهت الدفترداريات، ولكن كلمة دفتر دار بقيت إلى أن ألغيت في تركيا نهائياً ١٨٤١م. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٢٤٠؛ سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١١٣-١١٤؛ مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية" دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧-١٩٢٤م"، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١١٧-١١٨.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.E.E.88/49؛ إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢١٩؛ إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ١٠٢؛ أريج القناني: مرجع سابق، ص ٤٧-٤٨.

(٣) قلعة القشلة: وتسمى سابقاً "قشلاق الطائف" وهي ثكنة عسكرية في الطائف، بناها الأتراك لجيشهم، وهي القلعة التي نفي فيها مدحت باشا ورفاقه. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ١٣٨٢.

ونودي في الطائف بأن الإمارة للشريف عبد الإله، وذلك لتطمين الناس، ولإبعادهم عن الشعب. ومالت الناس إلى السكنينة بعد أجواء التوتر التي سادت قبل ذلك، وبعد انتهاء موسم الحج نقل الشريف عبد المطلب إلى مكة. وأقام في داره تحت حراسة مشددة، إلى أن يتم نقله إلى اسطنبول، كما كان مخططاً له. لكنه ظل في مكة، حبساً في قصره المعروف بالبياضية^(١) بالمعابدة^(٢) تحت الحراسة المشددة إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠٣هـ/ يونيو ١٨٨٤م، عن عمر قارب المائة عام^(٣).

بعد عزل الشريف عبد المطلب قرر الباب العالي تعيين لبيب أفندي ليقوم بمهمة التحقيق فيما حدث في الحجاز، وأسفرت نتائج التحقيق على أن القضايا التي ألصقت بالشريف عبد المطلب لا أساس لها من الصحة بدليل أن السلطان أنعم بعدها على الشريف وأسرته^(٤)، ولا يفوتنا أن نذكر الحوار الذي دار بين عمر بك قائد المركز في الحجاز، والوالي عثمان نوري باشا عندما وصل لبيب أفندي إلى الحجاز، حيث قال له

(١) قصر البياضية: بناه الشريف غالب، ويُسمى اليوم بقصر السقاف، ويوجد حالياً في حي المعابدة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١، ص٢٤١.

(٢) المعابدة: حي من أحياء مكة يعرف بالأبطح، ويشمل أحياء كثيرة منها الخانسة، والجعفرية، والجميزة، كانت في القرن الثامن الهجري ضاحية من ضواحي مكة أو أحد أطرافها. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج٨، ص١٦١٧.

(٣) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص٦٣؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج٢، ق١٧-٢٠؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٤، ص١٢٧-١٢٨؛ عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل، ق٣٠؛ محمد الصباغ: مصدر سابق، ج٢، ص٨٠٩؛ عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق: إبراهيم دائل الخالدي، ط١، شركة المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٠م، ص٣٦٣-٣٦٤؛ إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص٢١٩-٢٢٠؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج١، ص٢٩٦-٢٩٧؛ عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص٢١١-٢١٣؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦١٩؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج٢، ص٥٥٣-٥٥٤؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص٨٥؛ إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص١٠٧.

(٤) إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص٢١٩-٢٢٠.

عثمان نوري: " أسعفني يا عمر باشا لقد وصل لبيب أفندي من الرتبة العالية لإجراء التحقيق، كما وصل الشريف عون الرفيق باشا، وعادل باشا، إن لبيباً يقوم الآن بتحقيقاته فماذا سيكون مصيرنا؟ فأجبتة خيراً إن شاء الله" (١). يتضح من الحوار السابق أن عثمان نوري باشا طلب من قائد مركز الحجاز أن يقدم له العون حتى لا تنكشف خيوط المؤامرة التي دبرها هو وأصدقائه من خصوم عبد المطلب (٢).

على أية حال لم يرض السلطان عبد الحميد الثاني عن التصرف المنفرد لوالي الحجاز عثمان نوري باشا؛ لأنه قد تجاوز صلاحياته وتصرف من تلقاء نفسه، ودون استشارة الحكومة، ودون إبلاغ الباب العالي (٣)، لذلك لم يقر السلطان عبد الحميد تعيين الشريف عبد الإله بن عون -الذي عينه الوالي عثمان نوري باشا- شريفاً لمكة المكرمة، وعزله من منصبه، ودعاه إلى اسطنبول، حيث منحه درجة الوزراء، وعينه عضواً في مجلس الشورى (٤)، وأسند إمارة مكة المكرمة للشريف عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين (٥).

(١) إسماعيل جارشلي: والي وقائد، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) سلوى الغالي: الشريف عبد المطلب، ص ٢٢-٢٣.

(٣) إسماعيل جارشلي: المرجع السابق، ص ١٠٦؛ أريج القنّامي: مرجع سابق، ص ٤٩.

(٤) إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢٢٠؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٨.

(٥) إسماعيل جارشلي: المصدر السابق، ص ٢٢٠؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٨، أريج القنّامي: مرجع

سابق، ص ٤٩.

الفصل الأول

الشريف عون الرفيق بن محمد

المبحث الأول

نسبه ومولده ونشأته

نسبه:

هو عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة بن أبي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين (١).

ولادته:

ولد الشريف عون الرفيق بمكة المكرمة في بيت بالشامية^(٢) يقال له دار الجيلاني^(٣)، وكانت ولادته في أواخر شهر ذي الحجة من سنة ١٢٥٦هـ / منتصف فبراير ١٨٤٠م، وسماه السيد اسحق^(٤) شيخ السادة بـ "عون الرفيق"، وعرف بهذا

(١) خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٩٧-٩٨؛ زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة للهجرة، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٣؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٨٥؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة، ج ٢، ص ٨٣٩.

(٢) الشامية: حي بمكة يشرف على المروة من الشمال. على جبل الديلمي، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٥، ص ٧٨٧.

(٣) دار الجيلاني: هي دار فخمة عظيمة البناء، واقعة بمحلة الشامية، بجوار بازان الماء، وبجوار جريدة البلاد السعودية، ولم يتم الوقوف على علة تسميته بيت الجيلاني، والظاهر أن الذي بناها كان يلقب بالجيلاني، وكان غنياً واسع الثروة؛ لبنائه هذه الدار العظيمة الكبيرة، وقد جعلها وقفاً على أمراء مكة، وفي عهد الدولة السعودية، أصبحت هذه الدار مستودع للكتب. عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ٤٨؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٩٧؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) هو إسحاق ابن عقيل بن عمر السقاف العلوي المكي، رئيس السادة العلويين بمكة المكرمة، كان فاضلاً من أعيانها، وتلقى العلم عن أفاضل علمائها، وله ذكر في حوادث الحجاز وحضرموت في عهد الشريف محمد بن عون أمير مكة المكرمة، وكان شاعراً وذا وجهة. توفي رحمه الله بالطائف مقتولاً عام ١٢٧١هـ =

الاسم^(١).

صفاته:

كان الشريف عون الرفيق أسمر اللون، صغير الجسم، ذا بنية قوية^(٢)، كما كان داهية بني حسن في عهده، حازماً، عاقلاً^(٣)، عالماً بارعاً في الفنون، متضلّعاً في أكثر العلوم^(٤)، كما كان قوي الإرادة لا يأبه بعزل أي شخصية كانت في مكة، وقد وصّف بأنه كان صديقاً وقيماً، وعدواً لدوداً^(٥).

نشأته:

نشأ الشريف عون الرفيق في مكة المكرمة^(٦) وأخذ العلوم عن أفاضلها^(٧)، وكان الشريف عون الرفيق محباً للعلم، والعلماء^(٨)، وكان يتتبع المشايخ قبل توليه الإمارة، ويقرأ

= ١٨٥٥ م. له كتاب تعطير الكون في التعريف بدوي عون. عبد الله مراد أبو الخير: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة" من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر"، تحقيق: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي الكاظمي، ط ٢، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٤١١ - ٤١٢؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٥؛ عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي: أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ج ١، ص ٥٠٨؛ محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٩٤ م، ص ٤١٨.

(١) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٢٩، عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ٨٤؛ أحمد السباعي: مرجع

سابق، ج ٢، ص ٥٩٧؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٦٤.

(٢) عماد عبد العزيز: مرجع سابق، ص ١١٠؛ AL-Amr, OP. CIT, P. 126.

(٣) عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٥٨٨.

(٤) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٢؛ علي الوردني: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٥.

(٥) عماد عبد العزيز: مرجع سابق، ص ١١٠؛ AL-Amr, OP. CIT, P. 126.

(٦) زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣.

(٧) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك، ج ٢، ص ١٢٥١.

(٨) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٢؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٣٥٥.

على هذا، ويأخذ من ذاك، وممن قرأ عليهم العلوم - من علماء مكة المكرمة ومدرسي المسجد الحرام - الشيخ محمد بسيوني الشافعي المكي^(١).

ولم يفتر الشريف عون الرفيق عن حب العلم والعلماء، حتى بعد أن تولى الإمارة، بل كان حريصاً على أن يقرب منه العلماء؛ على الرغم من انشغاله بأعباء الحكم والإمارة^(٢)، ومن أبرز العلماء الذين احتلوا منزلة قريبة من الأمير، وكانوا من جلسائه، الشيخ محمد منصور المالكى^(٣)، والشيخ أحمد بن عيسى^(٤)،

(١) آمال رمضان صديق: الحياة العلمية في مكة المكرمة (١١١٥-١٣٣٤هـ / ١٧٠٣-١٩١٦م)، مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ / ٢٠١٧م، ج ١؛ ص ١٤١. محمد بسيوني الشافعي المكي: أحد علماء مكة المشاهير. ولد بمكة المشرفة سنة ١٢٥٣هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وجد في طلب العلم، وتفقه على السيد أحمد دحلان، شيخ علماء مكة المكرمة، ولازمه ملازمة كبيرة، وكان يحضر دروسه كلها، وتخرج في العلوم على يديه، ثم أذن له بالتدريس فتصدر له بالمسجد الحرام، وكان ماهراً في علم النحو، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م. عبد الله محمد غازي: نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر على القرن الرابع عشر، مع ذيله المسمى "نثر الدرر في تذييل نظم الدرر، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص ٥٠٠-٥٠١.

(٢) آمال صديق: مرجع سابق، ج ١، ص ١٤١.

(٣) محمد منصور المالكى: قدم مكة في نيف وستين ومائتين وألف من الهجرة، وجاور بها، كان حافظاً للقرآن الكريم، عالماً فاضلاً، درّس بالمسجد الحرام، وتقرب عند أمير مكة المكرمة الشريف عون الرفيق، وصار من جلسائه، وفي عام ١٣١٠هـ ولاه الشريف منصب الإفتاء، ومكث فيه إلى أن توفي الشريف عون، وبعد عزله عن منصب الفتوى اشتغل بالتدريس إلى أن مرض، ولبث في بيته لا يخرج نحو سنتين، ثم مات بمكة المكرمة في سنة ١٣٢٨هـ، ودفن بالمعلاة. عبد الله غازي: المصدر السابق، ص ٤٩٢؛ عبد الله المعلمي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٩٢٩.

(٤) الشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى (١٢٥٣-١٣٢٩هـ)، قاضي الجمعية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، كان يشتغل على جانب عمله في القضاء بالتجارة، واغلب تجارته في الأقمشة القطنية، جالس أمير مكة المكرمة الشريف عون الرفيق، وأقنعه بهدم القباب المشيدة على قبور الصالحين في مكة وجدة والطائف. عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط ٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ، ج ١، ص ٤٤٠؛ عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط ٢، دار =

وأبو شعيب الدكالي^(١)، وإبراهيم الأسكوبي^(٢).

تواضعه:

كان الشريف عون الرفيق رجلاً رقيقاً دمث الخلق، متواضعاً، تبدو عليه أمارات الشرف والنبيل والشهامة^(٣)، ميالاً لارتداء الملابس العربية، بدلاً من الملابس الرسمية المرصعة بالأوسمة. لأنها كانت ثقيلة وغير مريحة. وكان لباسه العادي بسيطاً، عبارة عن جبة^(٤) رقيقة سوداء، ذات لون غامق، مع غطاء للرأس يعرف بالصمادة إضافة إلى الرباط المسمى بالعقال^(٥).

=اليمامة للنشر، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص ٢٦٠-٢٦٣؛ صالح بن عبد الله العبود: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ط ٢، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٩٢٩؛ محمد عبد الرحمن المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرناً، ط ١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ج ٩، ص ١٧٨؛ محمد سعد الشويعر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، ط ٣، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ، ج ١، ص ٢٩.

(١) أبو شعيب الدكالي: (١٢٩٥-١٣٥٧هـ/١٨٧٨-١٩٣٨م) هو أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي الدكالي رحل إلى مصر سنة ١٣١٤هـ، فجاور في الأزهر نحو ست سنوات، وسافر إلى مكة المكرمة، ولازم الشريف عون الرفيق. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ص ٣، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) إبراهيم الأسكوبي: (١٢٦٤-١٣٣١هـ / ١٨٤٨-١٩١٣م) هو إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأسكوبي المدني، فاضل، له نظم كثير، من سكان المدينة. الباني الأصل، نسبته إلى (أسكوب) وهي بلد في ألبانيا، انتقل جده حسين إلى المدينة، فولد وتعلم وتوفي بها. قام برحلات كثيرة إلى اليمن ونجد ومصر والشام والهند وتركيا، وطالت إقامته بمكة، فكان جليس أميرها الشريف عون الرفيق وأحد شعرائه. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٤٦-٦٤٧.

(٣) مؤلف مجهول: رسالة في مدح الشريف عون الرفيق، مخطوط مصور بمكتبة مكة المكرمة، الرقم العام ١٠ / كتب متنوعة، ق ٤-٦؛ محمد صادق: مصدر سابق، ص ١٨٥؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٨.

(٤) جبة: ثوب للرجل واسع الكُمَّين مفتوح من الأمام يلبس عادة فوق ثوب آخر. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج ١، ص ٣٤٠.

(٥) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٧.

وكان من عادة الشريف عون الرفيق أن يستقبل عموم الزوار في يوم الجمعة، غير أنه كان يميل إلى مجالسة عدد محدود ومخصوص من الناس. وكان يكره الحديث في الموضوعات التي تخص الأمور الإدارية في مثل هذه اللقاءات العامة^(١).

وذكر الرحالة محمد صادق باشا^(٢) أنه أمَّ مجلس الشريف عون الرفيق في ٢٧ ذي الحجة ١٣٠٢هـ/ ٧ أكتوبر ١٨٨٥م، فوجده جالساً يقضي حوائج العربان وغيرهم، ويسعى في مصالحهم، فهذا يكلم الشريف عون بصوت عالٍ، وآخرون يعرضون شئونهم معاً في آن واحد بأصوات مرتفعة، ويضيف الرحالة: "فتعجبت من جرأتهم عليه، وأفعالهم غير المرضية، أمامه فالتفت إلى، وابتسم وقال: "اكتب فعلهم هذا في الكتاب الذي تؤلّفه بخصوص الحج"^(٣).

عدله:

اتصف الشريف عون الرفيق بصفة العدل، وكان حريصاً على أن يشتهر بتلك الصفة بين الناس بدرجة عجيبة، حتى أنه كان -أحياناً- يأمر بحبس الحيوانات

(١) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٨.

(٢) محمد صادق: ولد سنة ١٢٣٨/ ١٨٢٢م في القاهرة، ونشأ بها، وتلقى العلم في مدرسة الخانكاء الحربية، ثم سافر في بعثة إلى فرنسا سنة ١٨٤٤م، ولما عاد إلى مصر، عين معلماً للرسم بالمدرسة الحربية بالقلعة، واشترك في حروب تركيا. وحرب الحبشة وامتاز بالشهامة، والبسالة، وعين رئيساً لقلم الرسم بمصلحة التاريخ، ثم تقلب في مناصب عسكرية ومدنية حتى حاز على رتبة اللواء. وفي سنة ١٨٦٠م رافق المترجم له والي مصر محمد سعيد باشا إلى الأقطار الحجازية، وزار المدينة المنورة. وفي سنة ١٨٨٠م عين أمين صرة المحمل، وهو أول من أتى بالصور الفوتوغرافية لمكة والمدينة، وهو أول من نبه الحكومة إلى الأخطار التي تهدد الحجاج في السفر بالبر، ومن هذا الوقت تقرر تسفير المحمل في البحر من السويس إلى جدة. من مؤلفاته: دليل الحج، كوكب الحج، مشعل المحمل، نبذة سياحية إلى الآستانة. زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٣١.

(٣) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٦٤؛ عاصم حمدان: كيف التقى أحمد شوقي وإبراهيم الأسكوبي شعرياً في نقد الوضع الحضاري المتأزم في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، جريدة المدينة، ملحق الأربعاء، العدد: ١٧٤٨٦، الأربعاء ٤ ربيع الآخر، ١٤٣٢هـ/ ٩ مارس ٢٠١١م، السنة ٧٧.

والجمادات إذا كانت سبباً في وقوع جناية على أحد، وحدث مرة أن سقط ديك على أخشاب لامرأة شامية، مما تسبب في جرح الديك، فأمر الشريف بحبس الأخشاب، ولم يطلق سراحها إلا بعد أن قدمت المرأة عريضة بذلك^(١).

كما كان يعاقب الأعيان بأسلوب طريف، فإذا غضب على أحدهم كان يأمر شيخ "الجعايدة" بتقييد الشخص المعاقب، في دفتر الطائفة، واعتباره من زمرةم، و"الجعايدة" كانت فئة تشبه العجر، يمتنون صنع زنايل الخوص^(٢)، وبذلك يصبح المغضوب عليه موسوماً بين الناس بأنه "جعيدي"^(٣).

مدحه:

ومن الذين امتدحوا الشريف عون الرفيق، الأديب أحمد حمدي أفندي^(٤)، في معرض وصفه لموقعة المثناة - أثناء عزل الشريف عبد المطلب - في قصيدة مطولة جاء فيها:

بشراك عون الرفيق بشرى بالفخر قُيِّدت لك الأمور
فدم ملكياً أخا نوال برغم ضدّ به غرور

(١) علي الوردي: مرجع سابق، ج٦، ص٤٣-٤٤.

(٢) زنايل: جمع مفردا زنبيل وهو قفة كبيرة "وعاء" من قصب - يجعل فيه الطعام. أحمد مختار: مرجع سابق، ج١، ص٥٥٠، ج٢، ص٩٧٢.

(٣) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط١، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤) أحمد حمدي أفندي: أصله من بلاد الأكراد، هاجر والده إلى مصر في عهد محمد علي باشا، ولد المترجم له في مصر، ونشأ بها، وتلقى العلم، وتخرج من المدرسة الحربية برتبة ملازم، وصار يترقى إلى أن نال رتبة فريق. انتدب في عهد الخديوي إسماعيل لوضع خرائط السودان. توفي سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م في مصر. ركي مجاهد: مرجع سابق، ج١، ص١٨١.

ما لاح في روضة التهاني مخضل غصن به زهور

أو أحمد قال فيك شعراً زهت به في الوري الثغور^(١)

وعندما تولى الشريف عون الرفيق إمارة مكة المكرمة في عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، نظم الشعراء قصائد الشعر في تهنئته، ومدحه، وكان في مقدمتهم، أديب الحجاز الشيخ حسن وفا^(٢)، الذي قال في الشريف عون:

روض السرور بطيب الأنس قد نفحا وصادح اليمن في حي الصفا صدحا

وافتر ثعر التهاني من ترنمنا وطاب صدر كرام الحي وانشرحا

فكل شهم بحانات السرور غدى بالصفو مغتبقاً منه ومصطبحا

سرّ القلوب بما أبداه من فرح بمدح أعظم من في الكون قد مدحا

سلطاننا الأمر الناهي الجليل ومن في ملكه بملوك الأرض قد رجحا

بررّ رءوف عـادل ورع من آل بيت جليل فضله وضحا^(٣)

كما مدحه الرحالة محمد صادق باشا، فعندما قام برحلة إلى بلاد الحجاز في عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، تقابل مع الشريف عون في منزله، وقال فيه:

نعم عوّناً من الإله تجلّى لأهالي الحجاز حيث أقاموا

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٤، ١٢٨-١٣٠؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص١١٧.
(٢) حسن وفا: هو حسن بن أحمد بن محمد المصري، الشهير بوفاء، شاعر الحجاز، وأحد النجباء الأفاضل، والنبغاء البلابل. أحمد محمد الحضراوي: نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، مخطوط بدار الكتب القومية، القاهرة، برقم (١٩٧٠) تاريخ تيمور، ج٤، ق١٢٧؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج٢، ق١٧١.
(٣) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص١١٣؛ عاتق غيث البلادي: هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص٤١٤.

هُوَ يُمْنٌ وَحَاتِمٌ ثُمَّ يُسْرٌ وَرَفِيقٌ فِي حَبِّهِ الْكُلُّ هَامُوا^(١)

وفي عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م، نظم الشاعر عثمان الراضي^(٢) قصيدة تقع في (٣٣) بيتاً، مدح فيها الشريف عون الرفيق - حينما عاد من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة - قال فيها:

بشائر النصر مقرون بها الظفرُ فليهنك الملك لا خوف ولا حذرُ
هذي العناية قد جاءت على قدر بما تشاء وهذا الدهر يعتذر
دانت لخدمتك العلياء طاعة وطالما خدمتها الجن والبشر
سستَ الأمور بأراء مسددة من دونها الماضيات البيضُ والسمُرُ
فحزت مجدداً أثيلاً قد سما فغدا بكم النيرات السبع يفتخر
يمت أشرف من يدعى وأقرب من يرجى وأعظم من يسطو ويقتدر
وعدت يأبن رسول الله فانتدبت لنا السعادة لا بؤس ولا ضجر
وأصبح الناس في أمن وفي دعة لما قدمت فلا ضير ولا ضرر
لو لم تعد لطوانا الدهر عن نصب والنبت يهلك لولا الماء والشجر
جاءت تسابقك البشر على فرح حتى تباشرت الأعراب والحضر

(١) محمد صادق: مصدر سابق، ص ١٨٥.

(٢) عثمان الراضي: هو عثمان بن محمد بن أبي بكر بن محمد الراضي المكي، ولد سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م في مكة المكرمة، ونشأ بها، وتلقى العلم فيها، كان أديب الديار الحجازية وشاعرها في عصره، ويكثر الإقامة في مدينة الطائف، توفي سنة ١٢٣١هـ / ١٩١٣م، في مكة المكرمة، من أشهر مؤلفاته: ديوان شعر في مجلدين، والأنوار المحمدية، وهي شرح بديعية لأحد معاصريه، ونقد الرحلة الحجازية للبتوني. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ٢١٤؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٤٩؛ مجلة المنهل، المجلد ١٧، العدد ١٠، ذو الحجة ١٣٧٦هـ / يوليو ١٩٥٧م، ص ٥٩٨-٦٠١.

وأم أم القرى الإسعاد وابتهجت بك المشاعر حتى الحجر والحجر
بشراك أم القرى قد عاد سيدنا عون الرفيق فعاد الخير والمطر^(١)

كما امتدحه الشيخ محمود بيت المال^(٢)، بقوله:

حباك إلهي بالقبول وبالأجر ومن جدك المختار أيدت بالنصر
وأكرمك المولى بأشرف خلقه ملاذ الملا حقاً وأولاك بالبشر
فأم القرى لما قدمت تباشرت لأنك بالإجلال تربية الحجر
وحامي حماها من أذى كل فاجر ومن كل باغ بالثقفة السمر
فبشرى لنا دامت سعود مليكنا وسيدنا عون الرفيق مدى الدهر
وحقا علينا والمحين مثلنا وناج الذي أولاه بالحمد والشكر
هو الملك الشهم الذي عم فضله وسارت به الركبان في البر والبحر
مليك سما بالعلم والحلم والتقى وبالخزم والعزم الشديد بلا نكر
مليك إذا استمطرت نائل جوده وإحسانه أغناك من لوعة الفقر^(٣)

(١) أحمد أمين بيت المال: النخبة السنوية في الحوادث المكية، تحقيق: حسام مكاوي، د.ن، د.م، د.ت، ص ٢٣٤؛ حسين محمد بافقيه: بدايات النهضة الأدبية الحديثة في مكة المكرمة، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٥٧، الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ / ٢٨ أبريل ٢٠٠٥ م، مجلة المنهل، مج (١٧)، ع (١٠)، ذو الحجة ١٣٧٦ هـ / يوليو ١٩٥٧ م، ص ٦٠١؛ آمال صديق: مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٤٠.

(٢) الشيخ محمود بيت المال: هو محمود بن الشيخ أمين ابن الشيخ محمد سعيد العطار، الشهير ببيت المال. أحمد بيت المال: المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٣-٢٣٤.

عقيدته:

كان الشريف عون الرفيق يميل في عقيدته إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١)، ومما يؤكد ذلك، أنه أمر بهدم بعض القباب والمباني الموجودة على القبور المقدسة، مثل قبر عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، وقبر حواء في جدة^(٢)، واعترضت قناصل الدول الأجنبية على الشريف عون الرفيق عندما أمر بهدم قبر حواء، وقالوا له: "لك ما تشاء في الأولياء، ولكن حواء أم للناس أجمعين، ونحن نحتج على هدم مقامها"، فافتنع الشريف عون بما قالوا، وترك هدم ذلك القبر^(٣).

وقد كان للشيخ أحمد بن عيسى الأثر البالغ على ما اتخذه الشريف عون الرفيق من قرارات، حيث أقنعه بهدم القباب والمباني التي تعلو القبور والمزارات، وشرح له أن هذه الأعمال مخالفة للإسلام، وأنها غلو وتعظيم للأموات، وتتسبب في فتنة الأحياء، وبث الاعتقادات الفاسدة فيهم، فما كان من الشريف عون إلا أن أمر بهدم القباب التي تعلو القبور، عدا قبة القبر المنسوب إلى خديجة رضي الله عنها، والقبر المنسوب إلى حواء في جدة، فأبقاهما خشية حدوث الفتنة^(٤).

(١) محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٧٩؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣؛ أمين الريحاني: ملوك العرب، ط ٨، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٥٩؛ علي الوردی: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٤؛ نجاته الجاسم: مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٧٩؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٣؛ علي الوردی: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٤؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣.

(٣) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ١٢٦؛ أمين الريحاني: مرجع سابق، ص ٥٩؛ علي الوردی: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٤.

(٤) عبد الله آل بسام: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٤٠.

على أية حال وبصرف النظر عن أثر في الشريف عون الرفيق وأقنعه باتخاذ تلك القرارات^(١). فإن هدم القباب والمباني التي تعلو القبور والمزارات، ومنع التمام، تصادف صحيح العقيدة الإسلامية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بطمس القبور المشرفة، فعن أبي الهياج الأسدي^(٢)، قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ " أن لا تدع تمثالاً إلا طمستهُ ولا قبراً مشرفاً إلا سَوَّيْتَهُ " رواه مسلم^(٣).

والغريب في الأمر، إن الشيعة كانوا يظنون أنه ينتمي إليهم. فقد كان الشيخ باقر التستري^(٤)، مقرباً من الشريف عون الرفيق، يفد عليه ويقضي الأعوام عنده، وكان هذا الشيخ واثقاً من تشيع الشريف عون^(٥).

ويستدل الشيعة على تشيع الشريف عون بعدة أمور، منها: أنه أبطل مظاهر الفرح الذي اعتاد عليها أهل الحجاز في يوم عاشوراء، ومنها أنه نظم قصيدة طويلة في رثاء فاطمة الزهراء وذم من آذاه، وألقاها بنفسه على الحجاج في الحرم عام ١٣٢٢هـ

(١) عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٥.

(٢) هو حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي، وهو تابعي ثقة. أحمد بن علي العسقلاني: تهذيب التهذيب، ط ١، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ، ج ٣، ص ٦٧.

(٣) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٦٦٦؛ محمد رشيد رضا: مستقبل الحجاز وأمير مكة المكرمة، مجلة المنار، مج (٥)، ربيع الأول ١٣٢٠هـ / ٧ يونيو ١٩٠٢م، ص ١٩٦.

(٤) باقر التستري: (٠٠٠ - ١٣٢٧هـ / ٠٠٠ - ١٩٠٩م) هو باقر بن غلام علي التستري النجفي. عالم فقيه، أديب من علماء الشيعة. جاور بمكة، وتوفي بمي. من تصانيفه: تحديد الأماكن الشريفة التي بمكة، وتعليقات على الفوائد الرجالية الخمس. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين " تراجم مصنفي الكتب العربية "، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤٢١.

(٥) علي الورددي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٤.

١٩٠٤م. والواقع أن هذه القصيدة اشتهرت لدى الشيعة في العراق، وما زال قراء التعزية يتلونّها في مجالسهم الحسينية، وهم يرددون منها البيت التالي بوجه خاص:

بنت من؟ أم من؟ حليلة من؟ ويل لمن سن ظلمها وآذاها^(١).

ويصفه أحد الذين خالطوه وعرفوه بقوله: " أنه كان يجاري كل طائفة بأكمل ما عندهم؛ حتى يستطلع ما في خواطرهم، وينفذ فيهم سياسته وإرادته، ويستجمع من كل ذلك قلوب الطوائف الإسلامية قريبا وبعيدها. حيث كان الشريف عون الرفيق عالماً بارعاً في الفنون، متضلعا في أكثر العلوم لا يدخل عليه عالم إلا ويخرج معتقداً أنه دون علم الشريف، وكانت كل طائفة من المسلمين تحج وتعتقد أن أمير الحرمين أحد أفراد طائفتها"^(٢).

تلك السياسة الغربية التي سار عليها الشريف عون الرفيق، كان لابد وأن يرضى عنها قوم ويغضب منها آخرون. حيث كان العامة -في الغالب- راضين عن تلك السياسة، ومعجبين بها، أما الخاصة فكانوا ناقمين عليها^(٣).

ومن الأعمال الدينية التي قام بها الشريف عون الرفيق، توسيعه لباب غار ثور^(٤)، وكان الباب لا يتسع إلا لنفر واحد يدخل منه زاحفاً على بطنه، حتى ساد الاعتقاد بين

(١) علي الوردي: مرجع سابق، ج٦، ص٤٤-٤٥.

(٢) المرجع نفسه، والجزء نفسه، ص٤٥.

(٣) المرجع نفسه، والجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) غار ثور: هو ذلك الغار المبارك الذي لجأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عزمه على الهجرة إلى المدينة، وكان معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأختبأ فيه حتى توقف طلب قريش لهما، ثم غادره إلى المدينة المنورة، ويقع غار ثور في جبل ثور جنوب مكة المكرمة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٦، ص١٢٣٩.

الناس أنه لا يدخله إلا السعيد، وأما الشقي فلا يستطيع دخوله. فأراد الشريف توسيع ذلك الباب لإزالة ذلك الوهم الفاسد لدى الناس^(١).

وكان الشريف عون الرفيق يميل إلى الرفاهية بجميع أنواعها، حيث كان يجمع حوله الكثير من المطربين، والطبالين^(٢)، كما استقدم أتوموبيلاً^(٣) من أوروبا، كان يركبها في طريق الطائف، وكانت سيارة الشريف عون الرفيق هي أول سيارة دخلت الحجاز^(٤)، بل الجزيرة العربية بأسرها، وما شاعت إلا بعد موته بنحو ثلاثين سنة^(٥).

حالته الاجتماعية:

تزوج الشريف عون الرفيق من السيدة فاطمة بنت جاري العسيري^(٦) وأنجبت له ابنه الوحيد "محمد عبد العزيز"^(٧)، وكان ولداً ضعيف الإدراك والعقل^(٨)، غير أنه تحصل

(١) محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨٠؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١٣؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣.

(٢) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٦٢-٣٦٣؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨٠؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣.

(٣) أتوموبيلاً: المقصود بها السيارة. عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٩٣.

(٤) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١٣؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨٠؛ عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٠٤؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣.

(٥) عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٠٤.

(٦) كانت السيدة فاطمة حظية عند الشريف عون الرفيق، وذات يوم سجن أحد الأشراف، فما بقيت شخصية إلا توسطوا بها، فلم يطلقه، فلجأوا إلى السيدة فاطمة، فأطلقه لها. ثم عرف أن كبار الأشراف والوجهاء سوف يصبحون غضاباً، فعصب على إصبعه الشاهد، وجاء إلى المجلس، فوجد القوم في غاية الخلق، فذكر لهم قصة إصبعه، التي تدل على أنه لاحق لهم في الغضب عليه، فما كان من القوم إلا أن انفجروا ضحكاً. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٠٥.

(٧) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٥٨؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١١١. انظر ملحق رقم (١٣).

(٨) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

على العديد من الأوسمة من السلطان عبد الحميد الثاني، منها نيشان (١) الدرجة الأولى، والنيشان العالي (٢)، كما منحته دولة إيران نيشان شير وخورشيد من الدرجة الأولى (٣).

وتزوج الشريف محمد عبد العزيز من السيدة فاطمة بنت أحمد أسعد (٤)، وأعقب منها أربعة بنين هم: أحمد، وعبد الحميد، ويوسف، وعلي. فأعقب عبد الحميد ابنته " دينة "، والتي تزوجت من الحسين بن طلال (٥)، وأنجبت له "عالية"، ثم انفصلت عنه، وسافرت إلى مصر حيث عملت أستاذة في كلية الآداب بالقاهرة (٦). وأعقب يوسف بن محمد عبد العزيز ابناً سماه عون الرفيق (٧).

(١) نيشان: لفظ فارسي معناه الوسام، وتطلق على الفرمان أو ما يصدره السلطان من أوامر. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٥٢٦-٥٣٢.

(٢) الأرشيف العثماني: تصنيف Y.PRK.UM 45/11,I.TAL 118/31.

(٣) الأرشيف العثماني: تصنيف I.TAL 138/29.

(٤) أحمد أسعد: من مستشاري السلطان عبد الحميد، كان مولده في المدينة المنورة، وقد شغل كناساً، كمنصب شرفي في القبة النبوية، كما كان رئيساً لإحدى الفرق الصوفية في المدينة المنورة، تولى الصدارة العظمى مرتين: الأولى كانت في ١٧ ذي الحجة ١٢٨٩هـ، والثانية كانت في ٢٤ رجب ١٢٩٢هـ. سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص ٥١؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦؛ محمد حسين زيدان: ذكريات العهود الثلاثة، ط ١، د. م، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٧١؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٥؛ إدوافون زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٢٤٨؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٢٦.

(٥) الحسين بن طلال: هو الحسين بن طلال بن عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين، ولد في عمان عام ١٩٣٥م، وتعلم فيها، كان مرافقاً لجده في القدس إبان اغتياله عام ١٩٥١م، ونودي به ملكاً عام ١٩٥٢م، بعد أن تخلى له والده عن العرش، إلا أنه بقي تحت الوصاية لصغر سنه حتى عام ١٩٥٣م، واستمر ملكاً للبلاد حتى توفي في عام ١٩٩٨م، إثر إصابته بالسرطان. أحمد العلوانة: ذيل الأعلام "معجم تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين والأعلام بما وقع في أعلام خير الدين الزركلي من الأوهام، دار المنارة، جدة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٥٤-٥٥.

(٦) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٥.

(٧) المرجع نفسه، والجزء نفسه، ص ٦٠٥.



المبحث الثاني

حياته ووفاته

اشتراكه في التدريب العسكري:

في عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، اشترك الشريف عون الرفيق في التدريب العسكري الذي أمر به أمير مكة المكرمة الشريف عبد الله بن محمد بن عون^(١)، حيث قال لأكابر مكة، وعلمائها: "قصدي تتعلمون حركات العساكر النظامية، وكيفية الرمي بالبندق"، فامثل الناس لذلك، وأحضر لهم الشريف عبدالله، البنادق، وتولى تدريبهم، العساكر النظامية الموجودة في مكة، فتعلم كثير من الناس تلك الفنون العسكرية في وقت قصير، واستمر ذلك التدريب نحو أربعة أشهر، وبذل الشريف عون الرفيق جهداً كبيراً في ذلك، وأنفق جملة من أمواله في كساوي المتدربين، الذين اتخذوا لباساً خاصاً، قوامه قميص وبنطلون من قماش كان يسمونه "ملا"، وجعلوا العقال فوق "الصمادة" البيضاء، غطاء لرؤوسهم، ثم تسابق الناس لتلقي تلك التدريبات، وسرى ذلك التعليم العسكري في سائر بيوت أكابر مكة، وعلمائها وأشرافها، إلا أناس قلائل^(٢).

الأعمال التي أشتهر بها:

١- الخزناوية:

أمر الشريف عون الرفيق بتكوين فرقة عسكرية خاصة به؛ لتكون بمثابة حرس خاص له، وأطلق عليها فرقة الخزناوية، يقوم أفرادها بتنفيذ أوامر الشريف بشكل مباشر.

(١) الشريف عبد الله بن محمد عون (١٢٣٧-١٢٩٤هـ / ١٨٢٢-١٨٧٧م)، هو أول شريف منح رتبة الوزارة ولقب باشا، تولى في اسطنبول وتعلم فيها العلوم الشرعية، والتفسير والحديث، وفنون الأدب، وكان من أعضاء مجلس الشورى، واشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير والحزم ومعرفة الأحكام. وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والأدب، ويحضر مجلسه كثير من العلماء والأدباء. أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٤٧؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٣٥٢-٣٥٤؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٠١؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ١٣٢؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٧٩؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة، ج ٢، ص ٨٣٥-٨٣٦.

(٢) أحمد دحلان: مصدر سابق؛ ص ٥٨؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ١٤٩-١٥٠؛ أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ٣٦٦-٣٦٨؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١١-١١٢؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٠٨؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٨٢.

وسرعان ما غدت تلك الفرقة مركز قوة، وسوط عذاب، ألهب ظهر الأهالي، فكان أفرادها يتسلطون، ويستغلون نفوذهم، في اضطهاد من لا يخضع لهم من الأهالي، كما كانوا يفرضون إتاوات على أي فرد تلحق به مظنة الثراء، وكان الشريف عون يختار أفراد هذه الفرقة العسكرية من أدنى الطبقات، ويتخذهم وسيلة لإذلال أعيان ووجهاء أهل الحجاز^(١).

وبعد وفاة الشريف عون الرفيق عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، اتفق أهل الحل بتنصيب الشريف علي بن عبد الله باشا^(٢) وكيلاً لإمارة مكة المكرمة إلى أن يصدر القرار بشكل نهائي من اسطنبول، غير أن علي بن عبد الله باشا، وبمجرد أن تم تنصيبه وكيلاً للإمارة، اعتقل الخزناوية، وحبسهم، واستردّ منهم ما كان موجوداً بأيديهم، وأمر ببيع أملاكهم، وأثاثهم؛ لقضاء حقوق الناس التي اغتصبوها بغير حق^(٣).

٢- فيل عون:

في عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٦م، أرسل السيد محمد السقاف^(٤) الذي كان ببلاد جاوة، فيلاً صغيراً من الهند، هدية للشريف عون الرفيق، وأرسل مع الفيل سايساً هندياً

(١) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٣؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٣٥٥-٣٥٦؛ عبد الفتاح حسين المكي: تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام "عصر النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحاضر" مكتبة المعارف الطائف، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٩٦؛ علي الوردني: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٣؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٩٩؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٨.

(٢) الشريف علي بن عبد الله باشا: هو الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون، تولى إمارة مكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، واستمر في إمارته حتى عزله في عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، فانتقل إلى مصر، وأقام بالقاهرة إلى أن توفي. عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٦٧؛ إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٦-٢٢٧؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٠٩؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة، ج ٢، ص ٨٤١.

(٣) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٦-١٦٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٨.

(٤) محمد السقاف: هو محمد بن حامد بن عمر سقاف، ولد سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م، في مدينة سيون، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ عبد الرحمن عبد الله الصبان، وتلقى العلم على والده والسيد علي =

يتولى شئونه، وذكر الشيخ حسن عشي^(١). أن قدوم ذلك الفيل كان في سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م، وكان مع الفيل سايس خاص به، وكان السايس يكلم الفيل باللغة الهندية، والفيل يفهم كلامه، وذات يوم دخل الفيل مطبخ الشريف عون بغتة، فكسر الصحون، وقلب القدور، وأكل ما وجدته في طريقه، وكان في المطبخ رجل هندي اسمه "فيروزدين" فضربه بطرف خرطومه فانفلج نصفه الأسفل^(٢).

وكان ذلك الفيل يمشي في الأسواق، حيث غالبية بضائع الناس من الحبوب التي يضعونها في زناويل ويعرضونها أمام محلاتهم التجارية فكان الفيل يختار ما يريد، ويأكل من تلك الحبوب حتى يشبع^(٣) دون أن يجزؤ أحد من التجار على التعرض له بسوء. وفي أحد الأيام وبينما الفيل كان يدور على المحلات، أطعمه بعضهم سمّاً فمكث الفيل مريضاً

=محمد الحبشي، وأخذ علم الفلك عن الشيخ محمد يوسف الخياط المكي بمكة، ثم أذن له مشايخه بالتدريس والإفتاء ونشر الرسالة المحمدية، واشتغل بالعلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتصوف وعلم الفلك، وكان من مشاهير رجال علم الفلك في القطر الحضرمي. زار بلاد جاوة وغيرها، واتصل برجال العلم فيها، وأخذ عنه كثير من علماء العصر من حضرموت واليمن والحجاز والصومال وجاوة، توفي في سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م بمكة، ودفن في المعلاة. من مؤلفاته: الفتاوى الكبرى، في مجلدين، الإتحاف بتقرير مسائل الأزوار والانعطاف وغيرها. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج٦، ص٧٧؛ عبد الله المعلمي، مرجع سابق، ج١، ص٥١٥-٥١٦؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج١، ص٣٧٣-٣٧٤.

(١) الشيخ حسن عشي: من أعيان مكة المكرمة، ولد سنة ١٢٩٧ هـ، كان كثير الاتصال والاجتماع بالشريف عون الرفيق، والذي قام بتربية الشيخ حسن منذ صغره، واتخذه كابن له واعتنى به حتى صار رئيساً للطباخين، فكان الشريف عون يثق به ثقة عظيمة، ولا يأكل إلا ما يقدمه له بنفسه، وكان يتولى الطبخ للحفلات الرسمية التي يقيمها المرحوم الملك عبد العزيز، كما كان يتولى الطبخ في المناسبات الهامة، والتي يدعي فيها عند جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز، أو لمعالي الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية الأسبق. محمد علي مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط٢، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص٢٠٣، محمد الكردي: مرجع سابق، ج٦، ص٩١.

(٢) محمد الكردي: مرجع سابق، ج٦، ص٩١-٩٢.

(٣) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٦؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص٢٤٢-٢٤٣؛ عبد الفتاح المكي: تاريخ أمراء البلد الحرام، ص٣٩٧؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج٣، ص٦٠١.

لا يأكل، فأرسل الشريف عون في طلب الأطباء، وبعد الفحص عليه، تبين أنه تعرض لتسمم، وأخذوا يعالجونه حتى طاب، وشك سائس الفيل في أحد أصحاب المحلات، حيث قدم للفيل بعض الطعام، فأمر الشريف بطلبه، فسأله فأنكر، ثم قال السائس: قدمه للفيل ليتعرف عليه، إن كان هو الذي سممه، فقيده الشريف وقدمه للفيل، بعد أن أمر بعدم ذهاب السائس معه؛ لئلا يغريه عليه. فما قدموه للفيل، حتى جعل يشمه، ويجول وجهه عنه^(١).

وذات يوم تحمس أحد أهل مكة، فقال: يا قوم لا صبر لنا على هذا فتعالوا إلى سيدنا نطلب منه أن يكف عنا هذا الوحش، فتحمس عدد من أهل السوق فوافقوه على ذلك، فانطلق بهم، إلا أنه كلما التفت إليهم وجدهم قد نقصوا عدداً، وعندما ولج باب القصر، لم يجد معه أحداً، فتقدم إلى الشريف الذي سأله عن شكايته؟ فقال: يا سيدنا، هذا الفيل المسكين الذي يجوب الشوارع وحيداً، نطلب منك أن تحضر له فيلة ترافقه وتؤانسه! فتبسم الشريف، ووعدته بذلك، فعاد الرجل، وهو يرى أنه قد انتصف من الذين خذلوه^(٢).

وفي أحد الأيام اعتدى الفيل على أحد الأشخاص، فجذبه بخرطومه وغرز نابه في فخذ الرجل فمات، فلما بلغ الشريف عون ذلك الخبر أمر بقطع ناب الفيل، وأمر سايسه أن يكلمه بالهندية في ذلك جزاء له على ما فعل، فرفض الفيل لقص نابه، ونام على الأرض فجاء النجار وقص الناب بالمنشار^(٣). ودفع

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٢) عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٣.

(٣) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٩٢؛ ذكر عاتق البلادي أن الشريف عون الرفيق أمر السائس أن يخرج

الفيل إلى جرول، ويطلق عليه الرصاص. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٠٣ - ٦٠٤.

الشريف عون لأهل القتييل الندية^(١).

لبث ذلك الفيل حياً، حتى سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م، حيث قام جماعة من العربان برمي الفيل ليلاً بالرصاص، وقد أرسل خلفهم، ولم يقع على أثرهم^(٢).

وفي رواية ثانية أن الفيل لبث حياً، إلى عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، ثم قتل بالطائف، والذي أمر بقتله هو الشريف زيد بن فواز^(٣) أمير الطائف، حيث أمر أربعة من العبيد فضربوه بست رصاصات بالبندق، فلما سمع الشريف عون بذلك، غضب غضباً شديداً، فخاف الشريف زيد، وهرب منه، ثم مات الشريف عون بعد ذلك في نفس السنة المذكورة^(٤).

٣- علي البو^(٥):

اصطفى الشريف عون الرفيق لنفسه جليساً مجذوباً يسمى "علي البو"، كان يتجول في الطرقات عارياً، فأمر بتنظيفه وتدريبه على ارتداء الملابس الفاخرة، ثم أمر كبار أهل

(١) عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٤.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٨.

(٣) الشريف زيد بن فواز بن ناصر: ولد بقرية رحاب من ضواحي الطائف، ونشأ نشأة صلاح وتقوى، وكان ذا علم ومعرفة في الشعر والأدب، تولى إمارة الطائف في عهد الشريف الحسين بن محمد عام ١٢٩٥هـ، وعزل عنها بعد عامين في عهد الشريف عبد المطلب بن غالب. وعندما نصب الشريف عون الرفيق أميراً على مكة المكرمة ولاة الطائف في عام ١٢٩٩هـ، واستمر في إمارته حتى عام ١٣٠٤هـ. وظل طيلة مدة الشريف عون بين توليه وعزل حتى توفي الشريف عون عام ١٣٢٣هـ، وفي عهد خليفته علي بن عبد الله ولاة إمارة الطائف واستمر بها كذلك في عهد الشريف الحسين بن علي حتى وافاه أجله عام ١٣٣٢هـ بمكة المكرمة. الشريف محمد بن منصور: قبائل الطائف وأشراف الحجاز، ط ١، الناشر المؤلف، د.ن، د.م، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٩.

(٤) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٩٢.

(٥) البو: أصل البو، كان إذا مات ولد الناقة المولود -يخلج قلبها عليه - ويغور حليبها، وقد تموت حزناً، فيعمدون إلى سلخ جلد الحوار الميت، ويحشونه، بحيث يعود إلى خلقته المولود عليها فتأثمهُ الناقة وتدر عليه، ولا تفارقه ليل نهار. ولما رأى المكيون ولع الشريف عون بعلي المذكور، شبهوا علياً بالبو، وشبهوا عوناً بأه الحوار التي لا تفارقه! وهكذا سمي علياً "علي البو". عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٤.

الحجاز بتقبيل يد ذلك المجذوب، وكان الشريف عون الرفيق يصطحبه معه في عربته الخاصة، ويجلسه إلى يمينه، وأفرد له عربة خاصة، حتى إذا ركبها ذلك المجذوب، أمر الناس بالوقوف له تحية وتقديراً. كما قرر الشريف أن يشيد للمجذوب قصراً فخماً، فابتاع له بعض الدور القريبة من المسجد الحرام في القشاشية^(١)، وأجبر أصحابها على إخلائها، ثم هدمها وبني القصر مكانها، كما عمد إلى قطعة واسعة أمام القصر كانت مكتظة بالبيوت، فحكم على أصحابها بإخلائها، ونقدم ثمنها، ثم أمر بدمها ليجعل منها حديقة يتمتع بها المجذوب بعده فيها^(٢).

والواقع أن تلك الرواية التاريخية -فكرة هدم الشريف عون للبيوت من أجل بناء حديقة لقصر المجذوب -يشوبها الكثير من عدم الدقة، ولا أساس لصحتها، فقد كان غرض الشريف عون من امتلاك تلك البيوت وهدمها، تشييد نزل متسع الأطراف للحجاج، تنفيذاً لرغبة السلطان عبد الحميد الثاني، الذي أوصى بتشيد ذلك النزل، وأرسل الأموال اللازمة لذلك، فتم الإخلاء والهدم^(٣).

أما عن سبب تشييد الشريف عون الرفيق بعلي البو، هو أن الشريف عون الرفيق كان جالساً في مشربية^(٤) له تشرف على السوق، وكان علي البو ماراً من أمام القصر، وفجأة اندفع إلى داخل القصر بسرعة، ولم يستطع الحراس منعه، حتى وصل إلى الشريف، وقبض على يده بشدة، وهو يقول: (قوم قوم قوم) وقام الشريف عون، وما إن

(١) القشاشية: حي وسوق بمكة، بين المسجد الحرام والغزة، تحيط به شوارع المدعى من الغرب، وسوق الليل من الجنوب، وشارع الغزة من الشرق. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٧، ص١٣٨١.

(٢) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص٣٥٦-٣٥٨؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٣-٦٢٤؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص٢٣٨؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج٣، ص٥٩٩-٦٠٠.

(٣) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٤.

(٤) مشربية: المشربية هي شرفة مغلقة بخشب معشّق بطريقة فنية تطل أو تشرف على الأماكن التي حولها. أحمد

مختار: مرجع سابق، ج٢، ص١١٨٢.

غادر الشريف تلك المشربية حتى انهارت على المكان الذي كان الشريف عون جالساً فيه، ومن حينها تشبث الشريف عون الرفيق بذلك المجذوب^(١).

ويميل البعض إلى أن إمعان الشريف عون الرفيق في الدهاء، سول له العمل على نكاية العظماء، باتخاذ هذا المجنون جليساً له، يقدمه عليهم، ويأمرهم بتعظيمه، وتقبيله يده. بينما يستدل فريق آخر من قصة "علي بو"، على شذوذ الشريف عون الرفيق وغرابة أطواره، بينما يفسر فريق ثالث ذلك التصرف، بأن عقلية الشريف عون الجبارة هدتته إلى أفضل طريقة تمكنه من أن يتقي بها كيد السلطان عبد الحميد، الذي كان يشك في جميع المستشارين من عماله وموظفيه فاصطنع الشريف عون هذه الأعمال، وأخذ يجالس المجانين، ليوهم السلطان، أنه أحد السذج الذين لا يعتد بهم^(٢).

ويرجح أحد الباحثين ذلك الرأي الأخير، نظراً لما كان يتمتع به الشريف عون الرفيق من سياسة، وحكمة، وقوة إرادة، ويسوق الباحث ثلاثة أدلة تأكيداً على ذلك:

أولها: أن الشريف عون الرفيق بعث إلى السلطان عبد الحميد يشكو إليه من تصرفات معينة بدرت من ابن أخيه الشريف الحسين بن علي فأنحاز السلطان إلى عون الرفيق، وأمر باستدعاء الحسين وأفراد أسرته؛ ليقيموا في الآستانة، وهذا التصرف من جانب السلطان، يدل على رضاه عن الشريف عون الرفيق، حيث نصره وآزره على ابن أخيه.

(١) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٤؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج٣، ص٦٠٤؛ عبد الفتاح

المكي: تاريخ أمراء البلد الحرام، ص٣٩٦؛ علي الوردی: مرجع سابق، ج٦، ص٤٣.

(٢) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٤-٦٢٥؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج٣، ص٦٠٠.

ثانيهما: أن السلطان عبد الحميد ترك الشريف عون الرفيق يرهق حجيج بيت الله الحرام من أمرهم عسراً، يبتز منهم الأموال بفرض ضرائب جزافية، ويفرض عليهم إجراءات تعسفية حتى ارتفعت أصوات الحجاج بالشكوى، إلا أن السلطان عبد الحميد التزم الصمت المطبق إزاء جور هذا الشريف، وظلمه.

ثالثهما: أن الشريف عون الرفيق ظل متقلداً منصب أمير مكة المكرمة وشريفها، حتى وفاته عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، دون أن يتعرض لفرمان سلطاني بعزله من منصبه^(١).

٤- بستان الشريف عون الرفيق:

في عام ١٣١٤هـ/١٨٦٦م^(٢)، أنشأ الشريف عون الرفيق بستاناً جميلاً شمال جرجول^(٣) بمكة المكرمة، وهو المكان الذي كان يخيم عنده المحمل المصري^(٤)، وجلب إليه أشجاراً كثيرة من مصر، والهند، والشام، وغيرها من البلدان، وساق إليه الماء من عين

(١) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٩.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٦.

(٣) جرجول: حي كبير من أحياء مكة، يقع غرب قعيقعان، ويمتد غرباً فلا تعرف حدوده الواضحة، ومن أحيائه: الزاهر، والزهران، والتنضباوي، وجل سكانه من قبيلة حرب. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٤) المحمل المصري: يرجع تاريخ إرسال المحمل المصري للحجاز إلى عهد " شجرة الدر" سنة ٦٤٨هـ، وأنه كان هودجاً لها حين حجت. وقد زينته بخمائل الحرير والتطريز البديع، من فوقه الأحجار الكريمة، وكانت تحمل معها هدايا للكعبة والحجرة الشريفة، ثم تتابع إرسال تلك الهدايا. والمحمل المصري من قديم الزمان تصحبه كسوة الكعبة، وما يلزم الحرمين، والصدقات التي توزع على فقرائها. وللمحمل المصري كسوتان: كسوته اليومية وهي من القماش الأخضر، وكسوته المزركشة، ولا يلبسها إلا في المواكب الرسمية، وبعد رجوعه من سفر الحج، تحفظ كسوة المحمل بمخزن في المالية، وهذه الكسوة تجدد بعد كل عشرين سنة مرة، وتبلغ تكاليفها نحو ألف وخمسمائة جنيه مصري، أما كسوته الخضراء فيكسى بها سنوياً. إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٨؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ١٩٦-١٩٧.

زبيدة^(١)، حتى أضحى ذلك البستان - في مدته - جنة من الجنات لم يسبق لها نظير في مكة^(٢)، وقد أنفق الشريف عون على إنشائه مائة وتسعة وستين ألف جنيه ذهبياً^(٣). وبعد وفاة الشريف عون الرفيق (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)^(٤)، أخذ الخراب يتطرق إليه إلى أن اضمحل، ولم يعد فيه عود أخضر^(٥)، ثم تمت إزالته تماماً في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، حيث قام الأمير متعب بن عبد العزيز، بشراء أرض البستان، وتحويلها إلى حلقة للخضار^(٦)، وبني على جزء منها مستشفى النساء والولادة^(٧).

وصف البستان:

وكان ذلك البستان عبارة عن قطعة مستطيلة الشكل، طول ضلعها البحري ٢٧٠ متراً، والغربي ١٨٠ متراً، وبلغ ارتفاع السور المحيط بها متران، وفي وسطها خزان للماء مربع الشكل، طول ضلعه ٦١ متراً، وسمك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار

(١) عين زبيدة: منسوبة إلى السيدة زبيدة زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكانت إلى عهد قريب تسقي معظم مكة. عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٢، ص ٢٨٧-٢٩٠؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٦، ص ١٢٣١.

(٢) محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨٠؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ١٣٣-٢٤١؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٦؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٩٣.

(٣) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٤) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٢٠؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٦؛ عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل، ق ٣١؛ حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٥؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨٠؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٧؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣؛ عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٠٥؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٣٢.

(٥) محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨٠؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٤١؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧١.

(٦) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧١؛ عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٥٩٤.

(٧) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧١. نقل مستشفى النساء والولادة حالياً إلى حي العزيزية بمكة، بجوار مدينة الملك عبد الله الطبية. (تعريف إجرائي من الباحث).

وربع، وارتفاعه أربعة أمتار، وهو مبني من الحجر الأزرق، وجداره من الداخل والخارج مجصصة بالجير المخلوط بمسحوق الآجر، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أولاً على أربع درجات، ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين، ومثلها على اليسار، فله سُلمان بعد الأربعة الأولى، وفي آخر السُّلم درجة كبيرة في مستوى أعلى الخزان، والسُّلم مصنوع من حجر متين، زادته الصنعة رونقاً وجمالاً، وفي زوايا الخزان الأربع من الداخل درج منتظم على شكل ربع الدائرة، كل زاوية فيها ١٤ درجة، طول العليا منها متراً، والسفلى ستة أمتار ونصف، وهذا الدرج للنزول منه على قاع الخزان، وفي منتصف كل جدار من جدران الخزان فتحتان بحذاء الأرض، ارتفاع كل فتحة منها ثلاثة أرباع المتر في عرض نصفه، وذلك لتصريف المياه منه إلى البستان، وهذا الخزان الكبير لا مثيل له في الأقطار الحجازية. وبالْبستان أيضاً خزانان بينهما أربعة أمتار، مساحة كل منهما ستة أمتار، وبأعلى كل منهما فتحتان تقذفان المياه إلى بركة يشرب منها الناس ويغسلون منها. والمزروع من أرض البستان نحو الربع، وفيه شجر الجوافة، والجوز الهندي، والبرتقال، والليمون، والنخيل، والعنب، والكادي، والورد، والبرسيم، والكرنب، والكراث، والبادنجان، والطماطم^(١).

٥- الضرائب التي فرضها الشريف عون الرفيق:

إن الذين نعوا على الشريف عون الرفيق قسوته في معاملة الحجاج ارجعوا ذلك إلى قيامه بفرض أجور باهظة على مواصلاتهم، مقارنة بمستوى الأسعار في ذلك العهد^(٢). ففي عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م كانت أجرة الجمل للشقدف^(٣) من مكة إلى المدينة ١٨ ريالاً^(١)، ومثلها كانت أجرة العصم^(٢) ١٧ ريالاً. ومن مكة إلى المدينة، ثم إلى ينبع

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٦-١٣٨؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٦.

(٣) الشقدف: عبارة عن سريرين من الخشب وقاعدتهما من الجبال، وعلى حافة كل سرير من الجنب الخارجي والخلفي شبكة من العيدان، إذا ضم السريران على ظهر الجمل بجبال متينة يكونان قبة تغطي بشيء، بقي =

البحر^(٣)، كانت أجرة الشقدف ٢٣، والعصم ٢٢ ريالاً، وكذلك من مكة إلى المدينة ثم إلى جدة، كانت أجرة الشقدف ٢٨، والعصم ٢٧ ريالاً، ومثلها من مكة إلى المدينة ثم إلى الوجه^(٤) حيث كانت أجرة الشقدف ٣٥ والعصم ٣٤ ريالاً^(٥).

وكانت العادة الجارية بمكة - آنذاك - أن يدفع المقوم^(٦) من أجرة جماله عن كل جمل يسافر إلى المدينة المنورة ريالاً للشريف، وريالاً للوالي، وثالثاً للمخرج^(٧)، ورابعاً للمطوف، فإن كان السفر إلى جدة كان يدفع ربع ريال فقط للميري^(٨)، وكذا على

=الراكب من الشمس والمطر، والشقدف، يسع نفرين، ويمكنهما أن يناما فيه، كما يمكن أن يجلس الراكب على راحته بواسطة مخدات صغيرة وخفيفة يضعها على ما يجب. عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٨؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(١) الريال هنا: هو الريال المجيدي العثماني الذي صدر في عهد السلطان عبد المجيد العثماني. عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٠. وهو نوع من النقد الفضي المضروب في عهد السلطان عبد المجيد كان يساوي خمس الذهب العثماني، وعشرين قرشاً. ضرب عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م بعد صدور قرار في تصحيح المسكوكات العثمانية في العام نفسه. كما سُكَّ من خلال القرار ذاته فئة العشرة قروش وسمي نصف مجيدي، والخمسة قروش وسمي ربع مجيدي والقرشين والقرش الواحد. وكان عيار المجيدي ٨٣٠ من الألف. وكان يطلق على الهوية الشخصية مجيدية أيضاً، نظراً لصدورها في عهد السلطان عبد المجيد. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) العصم: هي الراحلة التي يركبها شخص واحد. عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٨.

(٣) ينبع البحر: مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وتعتبر ميناء المدينة المنورة، تقع شمال جدة على بعد (٣٥٤ كم)، وتبعد عن المدينة المنورة حوالي (٢٥٠ كم)، أسست هذه المدينة في القرن الرابع الهجري تقريباً، في زمن الدولة الأيوبية. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١٠، ص ١٨٦٩-١٨٧٠.

(٤) الوجه: بلدة حجازية تمامية، عامرة، فيها قلعة من بقايا العهد العثماني، تقع شمال ينبع، وكانت ميناء لتصدير السمن والغنم والفحم إلى مصر. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٩، ص ١٧٩٨.

(٥) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٦٥؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٧.

(٦) المقوم: متعهد الجمال. عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٣.

(٧) المخرج: الذي يتولى إخراج القوافل. إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦.

(٨) الميري: أي لخزينة الحكومة العثمانية. أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٦.

القادم منها إلى مكة. أما من المدينة إلى ينبع البحر، فكان يدفع ريالاً للمزور^(١)، وآخر للميري^(٢).

وفي عام ١٣١٨هـ/١٩٠١م قام الشريف عون الرفيق بإعادة تقسيم بلاد مصر، وجاوة، والهند، والمغرب، وبلاد الأناضول، وغيرها أقساماً تسابق المطوفون إلى شرائها بأثمان ظنوها متناسبة مع أهمية المركز وثروة حجاجه، ولكن كثيراً منهم خسر في ذلك خسارة فادحة، وألزم كل حاج بتبعية المطوف الذي اشترى حقوق الطوافة للبلاد التي يتبعها ذلك الحاج^(٣).

وكانت العادة المتبعة قبل هذا التقسيم، أن يجبي -من كل مطوف- ريال للشريف عن كل حاج ينزل عنده، وبدوره يأخذ المطوف من الحاج أمثال هذه الضريبة، ولو كان الحاج في فقر مدقع، وقد كان بعض المطوفين يتحلون بالشفقة، فكانوا يتجاوزون عن تحصيل تلك الضريبة من الحجاج المعسرين، ويحصلون أضعافها من الموسرين، وكان الشريف عون لا يعفي أي مطوف من دفع تلك الضريبة -مهما قدم له من أعمار- فإما أن يدفع، وإما أن يزوج به في غياهب السجن^(٤).

وكان يؤخذ في جدة عن كل شقدف يباع، ستة قروش مصرية، ونصف روبية، وكانت تلك الضريبة تحصل من البائع، إلا أن المشتري هو الذي كان يتحملها في الحقيقة، حيث كان البائع يضيفها على الثمن الأصلي، كما كان يستقطع من أجرة الجمل الذي يقل الحاج من جدة إلى مكة ريالان للشريف، وخمسة قروش عثمانية للحكومة، وريال آخر لوكيل المطوف بجدة، وللمقوم، وقد كانت أجرة الجمل من جدة

(١) المزور: هو الذي يتولى مهمة زيارة الحجاج للمشاعر المقدسة (تعريف إجرائي من الباحث).

(٢) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٦٥؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٩.

(٣) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٢؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣-٦٤؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٧؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ١٧٠؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٣٦٢-٣٦٣؛ عبد الفتاح المكي: تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٣٩٨.

(٤) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٢؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

إلى مكة ٦ ريالات، وتم إقرار تلك القيمة في بدء موسم ١٣١٨هـ / ١٩٠١م، فإذا طرحنا تلك الضرائب من هذه الأجرة، فكان يتبقى للجمال - أجرة له ولجمله - ما دون ٣ ريالات، أي أقل من نصف الأجرة الفعلية، وكان ذلك يمثل ظلم بين، يحمل الجمال على أن يسلب من الحجاج ما يستطيع، وبالرغم من أن الأجرة كانت قيمتها في أول الموسم ٦ ريالات، لكنها كانت تصل إلى ١٢ ريالاً، عند وصول المحمل إلى جدة، ثم أخذت الأجرة تزداد حتى بلغت ٣٠ ريالاً، ثم تناقصت على ٦ ريالات كما كانت أولاً^(١). وكان السبب في ارتفاع الأجرة إلى ٣٠ ريالاً، أن الحجاج كثر ورودهم من جهات جدة، والمدينة، والجهات الشرقية، بحال لم يسبق لها مثيل، حتى أن الطريق لم تكن تخلو لحظة واحدة -ليلاً أو نهاراً- من مرور الحجاج بها، ونظراً لقلّة أعداد الجمال، فقد قدم من جدة إلى مكة ١٥٠٠ حاج، مشياً على أقدامهم^(٢).

كما كان يؤخذ بمكة عن كل رأس يباع من الغنم، خمسة قروش مصرية، وعن كل جمل خمسون قرشاً^(٣).

وكانت الأجرة من مكة إلى عرفات - ذهاباً وإياباً للجمال ذي الشداف - تصل إلى ٧ ريالات، وكانت الأجرة لذي الرحل الذي يركبه شخص واحد، ٦ ريالات، كان يستقطع منها ريال للشريف، وآخر للمطوف والمقوم، فيتبقى للجمال ٤ ريالات^(٤).

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٤٣؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥.

(٢) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٣؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥.

(٣) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٤؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥.

(٤) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٤؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

وكانت أجرة الجمل من مكة إلى المدينة إلى ينبع لذي الشقذف ٣٣ ريالاً مجيدياً، ويتبع ذلك نصف جمل لحمل المتاع، وكانت لذي الرحل ٣٢ ريالاً منها ١٢ ريال للشريف، وريال ونصف للمخرج، وريالان للمطوف، وريال للمقوم، وريال للحكومة، وربع ريال للرهيئة^(١).

وكان يؤخذ من الجاويين أربعة جنيهاً عن كل حاج، مقابل ما يقدمونه من تسهيلات بما يملكونه من نفوذ وعلاقات. وقد كانت للمتعهدين طريقة في التخلص من الضرائب التي تدفع عن كل جمل مؤجر، وذلك أنهم كانوا يتفقون مع كل حاج على عدد معين، ولكن عند الخروج من مكة، كانوا يحملون بعض العدد فقط أحمالاً فوق الطاقة، ويخرج باقي الحجاج غير حاملين شيئاً، فلا تؤخذ عليهم الضريبة، إذ يزعم المتعهد أنه غير مؤجر، وبعد الخروج من مكة كانت توزع الأمتعة على العدد المتفق عليه، وكثيراً ما كانوا يتفقون مع الحاج على عدد معين يقدمونه في أول الأمر له، ويتفقون على أجرته، حتى إذا ما رحلوا أخذوا منه بعض ما اتفقوا عليه، وأجروه لآخرين، فيؤجر الجمل مرتين، وبذلك يتقاضون الأجرين^(٢).

وفي نفس العام -١٣١٨هـ / ١٩٠١م- أمر الشريف عون الرفيق بجمع إعانة للسكة الحديدية، وقدر على كل حاج -غير معسر- ريالاً واحداً، فأخذ المطوفون يجمعونها، ويوردونها للشريف كل يوم. وقد أمر الشريف عون بعدم خروج أحد من

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٤، ص١٤٤. الرهيئة: كانت كل قبيلة تقدم واحداً من رجالها تجسه الحكومة العثمانية حتى يصل الركب بسلام إلى الجهة التي يقصدها وتأخذ الحكومة ربع الريال في نظير ذلك. إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج١، ص٦٦؛ عبد العزيز دولتشين: الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز سنة (١٨٩٨-١٨٩٩م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، ص١٥٧.

(٢) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج٤، ص١٤٤-١٤٥؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج١، ص٦٦.

الحجاج من مكة حتى تجبي تلك الضريبة بالكامل، وبالفعل حبس بعض الحجاج بمكة - بعد أداء الفريضة- سبعة أيام كاملة، والشريف يقول لهم: مكانكم حتى تدفعوا^(١).

كما فرض الشريف عون ضريبة - عن كل جمل يقوم من مكة إلى المدينة - بلغت قيمتها من جنهين إلى ثلاثة جنيهات، وكان يدفعها إليه المقوم، الذي يقوم بدوره بإضافتها على الأجرة في بداية الاتفاق مع الحجاج، أو يقوم بتحصيلها من الحجاج أثناء السير بالطريق، وكثيراً ما كان المقوم يحصل أضعاف تلك الضريبة من الحجاج، فإذا رفضوا الدفع، حبسهم في الطريق حتى يعطوها له ضيافة كما يزعم. مثلما حدث مع قافلة صغيرة، كان عددها ٤٠ شخصاً، مضى عليها أربعة أيام واقفة في بئر عباس^(٢)، لا لسبب إلا ابتزاز المقوم لأموالهم^(٣).

كما فرض الشريف ضريبة عن كل جمل يسافر من جدة إلى مكة ريالاً مجدياً، وفي بعض الأحيان كانت قيمة تلك الضريبة تتصل إلى ريالين، وكان يحصل نفس القيمة كذلك عن كل جمل يقوم من مكة إلى عرفات ذهاباً وإياباً. كما كان يأخذ عن كل جمل يباع نصف جنيه انكليزي، وعن كل رأس من الغنم ربع ريال مجدي، ولم يكن الشريف يأخذ مكساً على الجمال في ينبع، إلا أنه لما غير المحمل طريقه إلى المدينة، وأخذ يسلك طريق ينبع، قام الشريف بإرسال ثلاثة أشخاص - إلى ينبع - ليجمعوا له المكوس^(٤).

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٤٥؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٧١.

(٢) بئر عباس: بئر قديمة منسوبة إلى عباس أمير الظواهر، كانت المحطة الرئيسية قبل بلدة المسيجيد (تقع هذه البلدة بوادي الصفراء وهي تابعة لإمارة المدينة المنورة)، ثم انتقلت المحطة إلى المسيجيد وهجرت بئر عباس، وتبعد (٣ كم) تقريباً جنوباً غرباً من المسيجيد. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٥٤، ج ٨، ص ١٥٩٥.

(٣) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٥-١٤٦؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) المكوس: جمع، ومفردها المكس: وهي الضريبة التي تفرض على التجار. إبراهيم مذكور وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ٨٨١.

وهم: درويش الهباش، وصالح بن عاتق، وصالح باوزير، وجمعوا للشريف عون في تلك السنة - ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م، ٦٠٠٠ جنيه إنجليزي^(١).

وفي الثامن من ذي الحجة عام ١٣٢١هـ / ٢٥ فبراير ١٩٠٤م، قدر الشريف عون الرفيق أجرة نقل الحجاج من عرفة، بجنيهين كانت تدفع للشريف، وخمسين قرشاً للمطوف، وريالا مجيديا، إعانة للسكة الحديدية الحجازية، ومن لم يدفع من الحجاج هذا المبلغ للمطوف، كان لا يسلم إليه جواز السفر، حيث كان وكيله في جدة يتسلمه من رجال الحكومة، ويرسله إلى المطوف في مكة لهذه الغاية المتفق عليها بينهم، فيضطر الحجاج إلى دفع ذلك المبلغ رغم أنوفهم، عن يد وهم صاغرون، وإن تأخر الحاج عن الدفع، كان المطوف يفعل به كل ما يريد، من تهديد بالسجن، وغيرها من الأمور، التي لا يتحملها حرّ الضمير^(٢).

وكرّرت إهانات المطوفين، وأعوان الشريف، للحجاج، حيث كانوا يكرهونهم على دفع الإعانة للسكة الحديدية الحجازية، ويحبسون من يمتنع عن دفعها، مثلما حدث مع حاج مصري استأجر جمالاً من المحمل الشامي^(٣) فأمر الشريف بحبسه؛ بحجة أن ذلك يضرّ بمصلحة الشريف، حيث لم يكن له الحق في فرض ضرائب على الجمال التي تقل ركب المحمل الشامي، لأنها تأتي معه من الشام، وقد شكوا بعض الحجاج المصريين تلك المعاملة السيئة، إلى الشريف، والوالي، وأبدوا استيائهم من تلك الإهانات التي يتعرضون

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٤٦؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٨-١٤٩.

(٣) المحمل الشامي: ابتداء مجيئه إلى الحجاز في سنة ١٥١٧/٩٢٣م، زمن السلطان سليم الأول، وقيل أنه بدأ سفره إلى الحجاز قبل ذلك التاريخ، أي في سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م، واستمر المحمل الشامي يرد إلى مكة والمدينة حتى عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م. إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٩٥-١٩٦.

لها فما كان جواب الشريف إلا أن قال لهم: إنكم كاذبون، وأمرهم بألا يتدخلوا في شؤون الحجاج^(١).

والغريب في الأمر، أنه بالرغم من شيوع ذلك البغي، والظلم، والتعدي على الحجاج، ونهبهم، وفرض الإتاوات عليهم، وتدني العناية الصحية بهم، رغم ذلك كله فقد كان الحجاج يتوافدون على مكة بكثرة سنة بعد سنة^(٢).

والواقع أن كل تلك الضرائب والمكوس - التي فرضها الشريف عون - كانت ولاية الحجاز في أمس الحاجة إليها؛ للإنفاق منها على خط سكة حديد الحجاز، فلم تكن تلك الأموال تذهب لخزينة الشريف عون الرفيق، بل كانت توجه للإنفاق على مشروع سكة الحديد، الذي كانت ترعاه الدولة العثمانية - آنذاك - وكان الشريف عون مضطرا إلى فرض تلك الضرائب - التي أدت إلى تدمير الحجاج والأهالي - بسبب زيادة مصروفات الولاية، وأوجه الإنفاق؛ لتحسين الظروف الصحية للحجاج، خاصة وأن الخزينة العامة للدولة بدأت تعاني من نقص حاد في السيولة المالية المطلوبة لأداء تلك المهام. فقد أصبحت مكافحة الأوبئة في الحجاز، وكذلك تحسين الرعاية الصحية المقدمة للحجاج، من أهم أولويات السلطان عبد الحميد؛ للحفاظ على صورته لدى الحجاج، كخليفة للمسلمين، يهتم بشؤونهم، ويرعى مصالحهم، حتى يستطيع السلطان أن يروج لسياسة الجامعة الإسلامية^(٣).

وكم كانت الإدارة العثمانية - في هذه الفترة - من الذكاء بمكان حيث قد أوكلت للشريف عون الرفيق تحصيل هذه الرسوم والضرائب؛ لكي تنأى بالسلطان، وإدارته عن سخط الحجاج والأهالي في الوقت الذي أمرت الشريف عون الرفيق بألا يتساهل في

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٧١، ج ٢، ص ٧١-٧٢.

(٢) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(٣) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٦١-١٦٢.

تحصيل تلك الرسوم، وكانت تلك السياسة هي السبب المباشر الذي أدى إلى تدمير وتظلم الكثيرين من الشريف. حتى وصف عهد الشريف بالظلم والجور، واضطر الشريف عون إلى تأسيس فرقة شبه عسكرية لمساعدته في تحصيل تلك الرسوم، وعرفت هذه الفرقة بالخنزناوية^(١).

وليس ذلك دفاعاً عن الشريف عون الرفيق، فلا يمكننا نفي تلك التجاوزات التي وقعت منه، ولكن لا بد أن نأخذ في الحسبان احتياجات الدولة لموارد مالية جديدة؛ وذلك لتغطية نفقات الولاية على الحجر صحي، وتقديم رعاية صحية متميزة للحجاج، وهذه الأمور لم تكن موجودة في السابق، وقد واكبت الظهور المتوالي للأوبئة في مواسم الحج، مما لفت أنظار الدول الغربية، فأخذت تلك الدول تضغط على الإدارة العثمانية، من أجل تحسين الظروف الصحية للمقدسات والحجاج. فاضطرت الدولة إلى فرض تلك الضرائب في الحجاز لتغطية النفقات المستجدة في الولاية. خاصة مع العجز الشديد في الخزينة العامة للدولة العثمانية^(٢).

٦- مساوي الشريف عون الرفيق:

من أكثر الذين كتبوا عن سيرة الشريف عون الرفيق، اللواء إبراهيم رفعت^(٣) أمير المحمل المصري، وكان حاداً في نقده لشخصية الشريف عون الرفيق، حيث أورد في كتابه

(١) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) اللواء إبراهيم رفعت باشا ابن الشريف سويفي التاجر ابن عبد الجواد ابن مصطفى بن المليجي. ولد سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م في مدينة أسيوط، توفي والده قبل أن يولد، وتلقى العلم في مكتب بحمراء أسيوط، ومكتب الشيخ إسماعيل السراج، ولما أتم حفظ القرآن والقراءة والكتابة وبلغ الرابعة عشرة من العمر، أدخله خليل سرى بك مدرسة أسيوط الأميرية، ولما أتم علومه التحق بالمدرسة التحضيرية بدارب الجماميز بالقاهرة سنة ١٢٩٠هـ، وتخرج منها برتبة ملازم ثاني سنة ١٢٩٣هـ، وعين في حرس الخديوي بالإسكندرية، ثم صار يترقى إلى أن عين سنة ١٣١٧هـ ياوراً للخديوي عباس الثاني، ثم عين رئيساً لحرس المحمل، ثم أميراً للحج=

"مرآة الحرمين" إشارات عديدة حول ما أسماه بـ "فضائع الشريف عون"^(١).

كانت الإشارة الأولى: رسالة عنوانها "ضجيج الكون من فضائع عون"، كتبها السيد محمد الباقر بن عبد الرحيم العلوي^(٢) في ٢٩ ذي الحجة ١٣١٦هـ / ١٠ مايو ١٨٩٩م، يعدد فيها مثالب الشريف عون، ويستصرخ إلى السلطان عبد الحميد من ظلم هذا الأمير، وبغية^(٣).

وطبعت الرسالة المذكورة في بلاد جاوة^(٤) وترجمت، ووزعت في الأقطار، فكان لها تأثير عظيم بين البلاد والعباد، لدرجة أن بعض المساجد قطعت الخطبة لخليفة المسلمين، تحاشياً للكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين، وقد اغتتم بعض أعداء الدولة هذه الفرصة، وأخذوا يجوسون ويؤملون أن تجد الدول الأوروبية سبيلاً للتدخل في الحرمين^(٥)، وقد أرسلت تلك الرسالة إلى السلطان عبد الحميد، فلم يظهر لها أثر؛ لأن الشريف عون الرفيق كان محلاً لثقة السلطان عبد الحميد، الذي كان راضٍ عنه رضى كاملاً^(٦).

= سنة (١٣٢٠ هـ ، ١٣٢١ هـ ، ١٣٢٥ هـ) وكتب رحلته المشهورة "مرآة الحرمين"، توفي سنة (١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) بالقاهرة. له كتاب "مرآة الحرمين" أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية وهو يحتوي على وصف بلاد الحجاز وطرقها وأمراتها وولاتها. زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٧-١٧٨.

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٩٥؛ جريدة المدينة (١٧٤٨٦)، الأربعاء، ٤ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ / ٩ مارس ٢٠١١ م.

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٥؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٩٧؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٨٩.

(٤) تركي بن مطلق القداح العتيبي: من نوادر المخطوطات، جريدة الرياض، العدد (١٤١٦)، الجمعة، ٢٨ محرم ١٤٢٨ هـ / ١٦ فبراير ٢٠٠٧ م؛ مجلة المنهل، م ٧، ٤، ع ٩، ١٣٦٦ هـ، ص ٤٠٥.

(٥) مجلة المنار، مج ٢، ج ٢، ٩ صفر ١٣١٦ هـ، ص ٢٢٢.

(٦) مجلة المنار، مج ٥، ج ٥، ١ ربيع ١٣٢٠ هـ، ص ١٩٦.

ومما جاء في رسالة " ضجيج الكون من فضاء عون " ما يلي:

- خيانة الإسلام والدولة بمكاتباته السرية مع دول النصارى لتمشييه أغراضهم.
- أكله معظم الجرايات والمعاشات المقررة من الدول للبوادي والأهالي، مما دفعهم إلى العصيان وقطع السبل، وبذلك أصبح الحجاز من أخوف بلاد الله.
- تسليطه ندمائه وموظفيه، على أعراض الرعايا وأموالهم.
- إفساده لكثير من موظفي الدولة في مكة واسطنبول بالرشوة.
- تدخله في جميع دوائر الأحكام؛ حتى لا يصير نقص ولا إبرام إلا طبق غرضه، وبثمن ينقد إلى يده، وتركه لأحكام الشرع الحنيف والقانون وراء ظهره.
- بيعه للمناصب لمن يغالى بالثمن.
- اغتصابه مهور الأعيان، ووضعها على ما شاء من مزوراته تغريراً للدولة وغشاً لها.
- إهانة من عظم الله شأنه من علماء الحرمين، إذا لم يوافقوه على ثرثاته.
- إحداثه العشر على الفواكه والخضروات في مكة، وبيعه التزام ذلك لخواصه حتى عم الغلاء.

- تشريده بالتهديد والوعيد لأعيان مكة المكرمة وفضلائها^(١).

وعلى ما يبدو أن السيد محمد الباقر العلوي كان قد أغضبه ما تعرض له أقاربه العلويين من ضغط على يد الشريف عون الرفيق فأخذ يكيل له الاتهامات، فقد خصص الباقر في آخر رسالته لمدح السادة العلويين، ثم يبين للدولة العلية أن هذه الأمور من شأنها أن تزعزع ولاء شيعة وتلامذة العلويين المنتشرين في اليمن، والهند، وإفريقيا، وجاوة، وغيرها للسلطة المركزية في إسطنبول^(٢).

(١) محمد الباقر العلوي: رسالة ضجيج الكون في فضاء عون، مخطوط يمتلك الباحث نسخة منه، ق ١-٥؛

إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٦-٢٨٣.

(٢) أريج القثامي: مرجع سابق، ص ٦٠.

أما الإشارة الثانية: فقد كانت رسالة أخري عنوانها "خبينة الكون فيما لحق ابن مهني من عون"، كتبها الشريف محمد بن مهني العبدلي وكيل الإمارة بجدة، وأمير عربانها، وتتلخص فيما يلي: هي أن محمد بن مهني في فترة وكالته، كلف من قبل الشريف عون الرفيق بعدة أمور تخالف سياسة الدولة العثمانية، فماتل في تنفيذها حرصاً على مصالح الدولة - كما يذكر- إلا أن إصرار شريف مكة على إجرائها دفع ابن مهني إلى أن يتقدم باستقالته من منصبه في عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، وبعدها استأذن الشريف ابن مهني من عون الرفيق بإجراء حساب للمعاملات التي كلفه بها، إبراء لدمته، لكن شريف مكة رفض طلبه، وأمر بإيداعه السجن لكي لا يعاود الحديث عن الأمر فمكث فيه شهراً، وفي السجن تم تهديده بالقتل ليسلم ما كان بيده من حجج ووثائق تدين الشريف عون، وتتهمه بالعمل ضد الدولة العلية، وكذلك تقضي بحقوق مالية لابن مهني، وبعض الأهالي، اغتصبها الشريف عون، إلا أن وكيل جدة أصر على موقفه، ولم يستطع الأمير الحصول إلا على بعض منها، ثم يضيف محمد بن مهني أن الشريف عون لما أخذ هذه الحجج قام بإجراء الحساب الذي كان فيها وفق هواه، ووعده بدفعها عندما تسمح له ظروفه المادية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد واصل ابن مهني شكواه ضد كاتب الأمير، ويدعى محمد عبد الواحد، واتهمه بأنه مدين بمبلغ من المال، ورفع شكواه إلى الوالي العثماني - آنذاك- نافذ باشا^(١)، وقد امتثل الكاتب لشكوى الشريف محمد، على أن يتم إجراء الحساب بينهما بدار عمر نصيف أحد اتباع شريف مكة^(٢).

ويضيف: أنه ذهب في الموعد المحدد، ولاقي من أعوان الشريف كثيرا من الضغط لنهب ما بيده من الأوراق والحجج، غير أنهم لم يتمكنوا من ذلك، فرجع إلى الوالي

(١) نافذ باشا: تولى ولاية الحجاز سنة ١٣٠٦ - ١٣٠٧هـ / ١٨٨٨ - ١٨٩٠م. سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٩هـ، ص ١٣٠. انظر الفصل الثالث صفحة (١٩٧).

(٢) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٨٥.

العثماني، وأخبره بما حصل معه فنصحته بكتابة دعوى للحكومة، فحررها، وتم عرضها على مجلس إدارة الولاية، وفي اليوم المحدد لعقد المجلس جاء شخص من قبل الشريف يطلب حضور ابن مهني للمثول بين يديه، فتوجه إليه فقام بإيداعه السجن مدة يوم كامل، وبعدها أطلق سراحه، فذهب إلى جدة، وفيها أبلغه نائب الوالي أن سعيه باء بالفشل^(١).

فقصد ابن مهني الباب العالي، ليعرض شكواه عليه، طالباً إنصافه، وأخذ حقه من شريف مكة، ولما وصل الخبر إلى الأخير، أرسل إلى إسطنبول يطلب إرجاع وكيله السابق إلى جدة، بدعوى اختلاسه أسلحه أميرية، إلا أن محمد بن مهني استطاع تبرئة نفسه مما أسند إليه من تهم، ومكث في إسطنبول عاماً يرفع برفقيات، الواحدة تلو الأخرى إلى مقام السلطنة، لكن دون جدوى، فأثر الرحيل إلى مصر، بعد أن تعرض للتهديد من قبل أنصار الشريف، ومن هناك واصل إرسال مكاتيبه إلى الباب العالي^(٢).

وفي عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م وصله تلغراف من إسطنبول، يأمره فيه بالسفر مرة أخرى إليها، ولم يكن حاله فيها بأفضل مما كان، فلم يصل إلى ما يريد؛ بل استمر تهديده من قبل أعوان وأصدقاء الشريف في إسطنبول، ولذا قرر اتقاء شرهم، وترك إسطنبول، وتوجه إلى تونس عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، ومنها قام بإرسال سبع برفقيات إلى مقام السلطنة، فكان مصيرها مصير سابقاتها^(٣).

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٥-٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، والجزء نفسه، ص ٢٨٩-٢٩١.

(٣) المصدر نفسه، والجزء نفسه، ص ٢٩١-٢٩٣.

وكانت الإشارة الثالثة: هي قصيدة للشاعر أحمد شوقي^(١)، وهي قصيدة طويلة ذم فيها الشريف عون الرفيق ذمًا مقذعًا، وحث السلطان عبد الحميد على عزله، وقد رفع القصيدة إلى السلطان عبد الحميد في ٢٨ محرم ١٣٢٢هـ / ١٤ إبريل ١٩٠٤م^(٢).

(ضجيج الحجيج)

ضجَّ الحجازُ وضجَّ البيتُ والحرمُ
قد مسها في حماك الضرُّ فاقض لها
لك الربوغُ التي ريع الحجيجُ بها
أهينَ فيها ضيوفُ الله واضطهدوا
أفي الضحى - وعيون الجند ناظرة
ويُسفك الدم في أرض مقدّسة
يدُ الشريف على أيدي الولاةِ علتُ
نيرونُ" إن قيس في باب الطُغاةِ به
أدبه أدب - أمير المؤمنين - فما
واستصرخت ربّها في مكّة الأمم
خليفةَ الله، أنت السيدُ الحكم
ألشريفِ عليها أم لك العلم؟
إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
تُسبى النساءُ ويؤذي الأهل والحشم
وتستباح بها الأعراضُ والحرم
ونَعْلُه - دون ركن البيت - تستلم
مبالغ فيه، و"الحجاجُ" متهم
في العفو عن فاسق فضلٌ ولا كرم

(١) أحمد شوقي: هو أحمد شوقي بك علي بك بن أحمد، وينتهي أصل أسرته إلى الأكراد والعرب، ويلقب بأمرئ الشعراء، وشاعر الإسلام، وشاعر الشرق والغرب. ولد سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م بالقاهرة، ونشأ بها، وتلقى العلم بمدرسة الشيخ صالح، ولما نال شهادة الحقوق، سافر إلى فرنسا والتحق بجامعة مونبلييه، ولما عاد إلى مصر، عين رئيس القلم الإفرنجي، في عهد الخديوي عباس الثاني. وفي سنة ١٨٩٦م انتدب ليمثل مصر في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في سويسرا. وشوقي هو الشاعر الوحيد الذي درس تاريخ الدول، وصور طائفة من عظماء الشرق والغرب الذين سجل التاريخ أعمالهم العظيمة، وكان كثير السفر إلى سوريا ولبنان، حيث كان عضواً في مجلس الشيوخ، والجمع العلمي العربي بدمشق. توفي في ١٤ جمادى الآخرة / ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م. ومن أشهر مؤلفاته: الشوقيات، وأسواق الذهب، وعظماء الإسلام وغيرها. زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٥٨-٦٦٣.

(٢) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٩٧؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٩٢؛ علي الورد: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٦.

لا ترج فيه وقاراً للرسول، فما
ابن الرسول فتى في شمائله
ما كان طه لرهط الفاسقين أباً
خليفة الله، شكوى المسلمين رقت
الحج ركن من الإسلام نُكبره
من الشريف ومن أعوانه فعلت
عز السبيل إلى طه وترتبه
بين البغاة وبين المصطفى رجم
وفيه نخوته، والعهد، والشمم
آل النبي بأعلام الهدى حثموا
لسدّة الله هل ترقى لك الكلم
واليوم يوشك هذا الركن ينهدم
نعمى الزيادة ما لا تفعل النقم
فمن أراد سبيلاً فالطريق دم^(١)

ومن خلال استقراءنا لتلك الإشارات التي أوردها اللواء إبراهيم رفعت باشا في نقده الحاد للشريف عون الرفيق، نستطيع أن ندرك مدى التحامل الشديد، وغير الموضوعي، من قبل اللواء إبراهيم باشا، على الشريف عون، ونستطيع أن نعزو السبب في ذلك، إلى أن الشريف عون كان يعتبر رفعت باشا من عامة الناس، ولا يعيره أي اهتمام، الأمر الذي أوغر صدر رفعت باشا، وترك فيه شيئاً من الغيظ تجاه الشريف عون الرفيق.

ومما يؤكد ذلك الاستنتاج، ما حدث في عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، عندما تم الاحتفال بفتح المسافر خانة^(٢)، حيث أمر الشريف عون الرفيق بمنح أمير الحج المصري إبراهيم رفعت باشا الوسام المجيدي الثاني، وأمين الصرة الوسام المجيدي الثالث. غير أن الشريف مكة لم يُنفذ ما أمر به^(٣)، الأمر الذي أدى إلى غضب رفعت باشا من الشريف عون.

(١) أحمد شوقي: الشوقيات، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢١١-٢١٤؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٣-٢٩٥؛ حمد إبراهيم الحقييل: عبد العزيز في التاريخ، ط ٢، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٢٣٩؛ سعد الراداي: مرجع سابق، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) المسافر خانة: اصطلاح مكون من كلمة "مسافر" العربية و "خانة" الفارسية. ومعناه: منزل الضيف، دار الضيافة. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٤٨٧.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٥٤.

وكذلك ما حدث في عام ١٣٢١هـ/١٩٠٤م عندما قام الوالي أحمد راتب باشا^(١) باستعراض الجيش، وحضر اللواء إبراهيم رفعت باشا ذلك الاستعراض بدعوة من الوالي^(٢)، غير أن الشريف عون الرفيق لم يعر ذلك الاستعراض أي اهتمام، ولم يحضر للمشاركة فيه. وربما أوجد ذلك في نفس رفعت باشا شيئاً من الكراهية تجاه الشريف عون الرفيق، ودفعه إلى أن يذكر سيرته بذلك النقد الحاد.

وفاته:

كان الشريف عون الرفيق يعاني من حالات صرع كانت تصيبه من قديم الزمان، ففي عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م حج السلطان عون القعيطي^(٣) وزار الشريف عون الرفيق، فرد له الشريف الزيارة. فأدركته عنده نوبة صرع، فأزعج القعيطي وظنها القاضية، حتى هدأه أصحاب الشريف وقالوا له: إنما هي عادة تنتابه من زمان قديم^(٤).

وفي عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، أصيب الشريف عون الرفيق بداء السكري، واستمرت معاناته من ذلك المرض حتى وفاته^(٥) بالطائف، وكان ذلك في يوم الاثنين ١٤ جمادى

(١) أحمد راتب: ضابط عسكري أوكل إليه بعض المهمات التفتيشية لأحوال الجيش والبحرية، وقام بزيارة سياسية للهند لمدة ستة أشهر، وعين والياً للحجاز في الفترة (١٣١٢-١٣٢٦هـ / ١٨٩٤ - ١٩٠٨م). وكان قائداً للجيش فيها. سهيل صابان: مداخل بعض أعلام جزيرة العرب، ص ٨؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٦؛ AL-Amr, OP. CIT, P.127-128.

(٢) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٠.

(٣) السلطان عوض القعيطي: هو عوض بن عمر بن عوض القعيطي اليافعي الحضرمي، ولد في حيدر آباد الدكن بالهند، عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م، ونشأ طموحاً مقدماً، وهو أول من لقب بالسلطان من أمراء العائلة القعيطية في حضرموت. وكانت إقامة عوض على الأكثر في حيدر آباد في خدمة السلطان الآصفي، وفي عام ١٣٠٦هـ تمكن من السيطرة على الحكم، واستولى على "حجر" سنة ١٣١٠هـ، واستفحل أمره وهابته قبائل حضرموت. وفي عام ١٣١٧هـ أدى مناسك الحج، وتوفي بالهند عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م. عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ط ١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص ١٧٨-١٨٠؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٩٤.

(٤) عبد الرحمن السقاف: مصدر السابق، ص ١٧٩؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٥، ص ٩٧.

(٥) ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٣٢.

الأولى من العام ١٣٢٣هـ / ١٧ يوليو ١٩٠٥م^(١)، ودفن بقبة^(٢) الحبر عبد الله بن العباس^(٣)، واستمرت إمارته على مكة المكرمة ثلاث وعشرون سنة وأشهر^(٤)، وكانت وفاته عن عمر ناهز ٦٧ سنة^(٥).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 495/20؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٢٠؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٦٦؛ عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل، ق ٣١، حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٥؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٧؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٥؛ عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢١٨؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٣٢.

(٢) قد أزيلت تلك القبة. عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٦.

(٣) عبد الحفيظ بن عثمان القاري الطائفي: رسالة في أخبار الطائف، تحقيق: علي عمر، ط ١، شركة نوايغ الفكر، القاهرة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ٢٠؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٦، ج ٦، ص ٤٩٧؛ عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل، ق ٣١.

(٤) أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ٢٠.

(٥) عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢١٨.



الفصل الثاني

علاقة الشريف عون الرفيق

بالدولة العثمانية

المبحث الأول

العلاقة بين السلطان عبد الحميد الثاني

والشريف عون الرفيق

علاقة السلطان عبد الحميد الثاني بالشريف عون الرفيق:

كانت العلاقة بين السلطان عبد الحميد الثاني، والشريف عون الرفيق، علاقة حسنة، فقد كان السلطان عبد الحميد يَكُنُّ للشريف عون الرفيق، الكثير من التقدير والاحترام، ولطالما كان يقف إلى جانبه، ويخطب وده، لاعتبارات عديدة، كان من أبرزها:

- انتساب الشريف عون الرفيق إلى سلالة النسب الشريف (الأشراف)، وانتمائه إلى المجتمع المكي.

- أن الشريف عون الرفيق كان يحظى باحترام وتقدير السكان المحليين في إقليم الحجاز، مما مكنه من فرض النظام، والهدوء، وضبط الأمور في الأراضي المقدسة؛ فكان لا بد للسلطان من مجاراته، والرضوخ لمطالبه؛ حتى تتمكن الدولة العثمانية من بسط نفوذها على إقليم الحجاز^(١).

ومما يؤكد على تلك المكانة الرفيعة التي احتلها الشريف عون لدى السلطان عبد الحميد، قيام السلطان بمنحه العديد من الأوسمة، والمناصب - قبل توليه إمارة مكة المكرمة - حيث أنعم السلطان عليه برتبة أمير أمراء الروملي^(٢)، في عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، تقديراً وتكريماً له^(٣). كما أنعم عليه في عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م بالوسام

(١) أريج القثامي: مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢) أمير أمراء الروملي: هي من مراتب التشريف. ويقصد بالروملي: البلاد التي يسكنها العثمانيون في أوروبا. والمقصود بها بلاد الأناضول. زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص ٧٨، ٢٩٥؛ سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٢٩.

(٣) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٣٤؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ٨٦؛ سهيل صابان: مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (مكة المكرمة - المدينة المنورة) في الفترة من ١٢٨٣هـ إلى ١٢٩١هـ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٠٩-١١٠.

العثماني من الدرجة الثانية^(١)، كما منحه السلطان في عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م الوسام المجيدي من الدرجة الثانية^(٢).

وعندما توفي الشريف عبد الله بن محمد بن عون-أمير مكة المكرمة- في ١٥ جمادى الآخرة، عام ١٢٩٤هـ / ٢٧ يونيو ١٨٧٧م^(٣)، أقام الوالي التركي تقي الدين باشا^(٤) الشريف عون الرفيق وكيلا على إمارة مكة المكرمة، وقد تقبل السلطان عبد الحميد ذلك القرار الذي أصدره الوالي تقي الدين^(٥)، واستمر الشريف عون الرفيق في وكالة إمارة مكة المكرمة حتى ٢٥ شعبان ١٢٩٤هـ / ٤ سبتمبر ١٨٧٧م، إلى أن وصل أخوه، الشريف حسين بن محمد^(٦) من اسطنبول؛ لتولي منصب إمارة مكة المكرمة^(٧).

(١) سهيل صابان: مراسلات الباب العالي، ص ١٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤٣.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ١٥٢؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٠٨.

(٤) تقي الدين باشا: أول ولاية السلطان عبد الحميد الثاني في الحجاز، وقد تم تعيينه في عهد السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، كان مفتياً في حلب، ثم وقعت فتنة فيها وأتهم بالتسبب بها، فوقع بينه وبين أهلها تنافر، فعزل من الفتوى وتوجه إلى اسطنبول ودخل في سلك الملكية، وأعطى رتبة الوزارة، وترقى وولى عدة ولايات منها بغداد ثم عزل منها، وأعطى ولاية الحجاز، واستمر بها حتى عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م. أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٥٧ - ٥٨؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١١٣.

(٥) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٥٩؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٣؛ إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢٢٤-٢٢٦؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٠٢؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٥٨٤.

(٦) الشريف حسين بن محمد بن عبد المعين بن عون، المعروف بالشهيد، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٥٤هـ ونشأ بها وتولى إمارتها بعد وفاة أخيه الشريف عبد الله باشا في سنة ١٢٩٤هـ، فانتظمت له شؤونها، ودام فيها إلى أن قدم جدة يوماً، فهناك اعترضه رجل من الأفغان، فزاحم العسكر حتى اتصل به كأنه يريد تقبيل يده، وطعنه بسكين مسموم، فتوفي بعد يومين بجدة، وحمل إلى مكة وصلى عليه ودفن بالمعلاة، وذلك سنة ١٢٩٧هـ، وخلفه بعده في الإمارة الشريف عبد المطلب بن غالب. عبد الستار الدهلوي: فيض الملك، ج ١، ص ٥٠٣؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٧) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ١٥٥؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٠.

وفي ١٠ شوال، عام ١٢٩٤هـ / ١٨ أكتوبر ١٨٧٧م توجه الشريف عون الرفيق إلى اسطنبول، حيث عينه السلطان عبد الحميد، نائباً في مجلس الدولة، وعضواً في مجلس الشورى، كما أنعم عليه برتبة الوزارة، وذلك في عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م^(١). وبعدها بسنة قلده السلطان النيشان^(٢) العثماني من الصنف الأول^(٣)، ومكث الشريف عون في إسطنبول حتى تم تعيينه أميراً على مكة المكرمة^(٤).

١- تعيينه أميراً على مكة المكرمة:

تقلد الشريف عون الرفيق إمارة مكة المكرمة في الرابع والعشرين^(٥) من شهر ذي القعدة لعام ١٢٩٩هـ / ٧ أكتوبر ١٨٨٢م^(٦)، وكان مقيماً - وقتها - في اسطنبول،

(١) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٣٤، ٥٩؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ١٥٦؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ٨٦، ١١٣؛ إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص ٢٢٦؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١٠؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٨٠.

(٢) النيشان: هو الوسام العثماني الذي استحدث في عهد السلطان محمود الثاني عام ١٨٣٢م. وكان على أربع درجات: الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة. واستحدث في عهد ابنه السلطان عبد المجيد الوسام الذي سمي باسمه عام ١٨٥٢م وعام ١٨٦٢م وكان على ست درجات: المرصع، والأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة. وفي عهد السلطان عبد العزيز أنشئ الوسام العثماني وكان على خمس درجات: المرصع، والأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، واستحدث في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وسام آل عثمان، وكان على أربع درجات: وسام آل عثمان، ووسام أرطغرل، ووسام الشفقة الخاصة بالنساء، وبعد عام ١٩٠٨م استحدث وسام المعارف. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٢٥.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ١٦٧.

(٤) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٥٩؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ١٥٦؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٣.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف I.DH 875\69860؛ حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٤؛ عبد الفتاح المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢١٥.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.E.E 88\49.Y.A.RES17\40,17\39.Y.PRK.BSK 6\79

أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٤؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٢٠؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣١. انظر وثيقة رقم (٢) بالملاحق.

فتولى الشريف عبد الإله وكالة الإمارة، لحين قدوم الشريف عون. وقد وصل الشريف عون الرفيق إلى جدة في ٩ ذي الحجة من نفس العام. وكان في استقباله، كثير من الأشراف والأعيان، كان من أبرزهم، الشريف الحسين بن علي، والشريف علي بن عبد الله^(١). بينما تحلف الشريف عبد الإله عن الحضور لاستقبال أخيه، نظراً لرئاسته موسم الحج في عرفات. وفي اليوم التالي وصل الشريف عون الرفيق إلى مكة، ثم توجه إلى منى، حيث التقى هناك بالوالي عثمان نوري باشا، وأمراء الحج، وقرئ فرمان الولاية بتعيين الشريف عون أميراً على مكة - وكان ذلك التقليد من المراسم المعهودة في تنصيب أمير مكة - ثم أقاموا جميعاً بمنى، حتى انقضاء أيام التشريق، ثم رجعوا إلى مكة، وحصل للناس غاية الأمن والفرح والسرور^(٢).

واستمرت إمارته لمكة المكرمة ثلاث وعشرون سنة، وقد اختلفت الروايات التاريخية في وصفها لفترة إمارة الشريف عون الرفيق لمكة المكرمة، فقد وصفه أحد المؤرخين بأنه " كان مأمون عصره ورشيد مصره " ^(٣). غير أن أغلب تلك الروايات تواترت عن سوء سياسته الإدارية، وشناعة أعماله^(٤)، وإرهاق الحجاج، وانتشار الجور، وإهمال مرافق

(١) الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عون (أبن أخ) الشريف عون الرفيق، تولى إمارة مكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، ولم تدم إمارته لمكة سوى عامين، وتم عزله في عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، فانتقل إلى مصر، وأقام بالقاهرة إلى أن توفي عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٠٩؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة، ج ٢، ص ٨٤١؛ عاتق البلادي: تاريخ الأشراف، ج ٣، ص ٦٠٥-٦٠٨؛ الشريف مساعد: مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠.

(٢) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٤؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٢٠؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٠٨؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣١؛ عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل، ق ٣٠؛ إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٦؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٠.

(٣) علي الوردني: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٢.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.MK 4/42؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣-٦٧، ٧١-٧٢، ج ٢، ص ٧١-٨٥؛ سهيل صبان: تقارير أحمد مختار باشا العثمانية عن الجزيرة العربية، مجلة الدارة: ٢٤، ص ٢٩، ٤٢٤هـ، ص ١٨١-١٨٢.

البلاد وشؤون العربان والبادية، فساء الأمن، وعم القلق، وانتشرت الفتن^(١). وربما كان لعلاقته السيئة مع الإنجليز دور في انتشار مثل هذه الأقاويل، وذلك لتنفير الأهالي منه^(٢)، فلقد حاول القناصل البريطانيون في جدة، إزاحة الشريف عون الرفيق من منصبه، إلا أنهم فشلوا في تحقيق ذلك^(٣).

وكان الشريف عون الرفيق يدرك مدى كره السلطات التركية للقنصلية البريطانية، لذا فقد حرص على الابتعاد عنها، أو التعامل معها؛ خوفاً من أن يتهمه الباب العالي، بأنه على صلوات بها^(٤).

بينما أكد أحد الباحثين على وجود علاقة بين الشريف عون الرفيق، وبريطانيا، اعتماداً على رسالة من سفير بريطانيا في إسطنبول "لايارد"، وجهها إلى وزير الخارجية البريطاني "ساليزبوري"، وجاء فيها: "أن الشريف عون الرفيق أبدى له استعداداً أن يحافظ على أقصى علاقات الود مع إنجلترا، وأن يواظب على سياسة أسرته التي كانت مرضية لمصالح بريطانيا على الدوام لو عين شريفاً أكبر"^(٥). وكان الشريف عون الرفيق يهدف من تلك الرسالة، مساعدة بريطانيا له في تقلد منصب الإمارة، لأن تاريخ الرسالة كان سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م، أثناء إقامته في إسطنبول -أي قبل تعيينه أميراً على مكة- فقد كان مدركاً لمدى التأثير البريطاني في القرار العثماني^(٦).

(١) محمد صالح الشبيبي الحجبي: إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، تحقيق: إسماعيل حافظ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٤٩؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج٢، ص٧١؛ فؤاد حمزة: مرجع سابق، ص٣١٥؛ نجاته الجاسم: مرجع سابق، ص٤٠؛ سعد بن عودة الراددي: أمن الحج قبل العهد السعودي، ط١، دار المآثر، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٨٤.

(٢) أريج القثامي: مرجع سابق، ص٥٥.

(٣) صالح العمرو: مرجع سابق، ص١٠٩.

(٤) المرجع نفسه، ص١٠٧.

(٥) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص١٠١.

(٦) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص١٣٧.

الا أن ما ذكره هذا الباحث، بحاجة إلى المراجعة والدقة التاريخية؛ لأنه لم يثبت أن الشريف عون الرفيق - خلال مدة إمارته الطويلة - قام بأية محاولة للخروج على الدولة^(١)، بل إنه طلب في إحدى رسائله إلى الباب العالي، سرعة إرسال المساعدات العسكرية إلى ابن رشيد؛ لسد الطريق أمام التدخلات الأجنبية في نجد، التي قد تؤثر سلباً على ولاية الحجاز^(٢).

فمن الثابت تاريخياً، أن علاقة الشريف عون الرفيق لم تكن حسنة بالقنصلية البريطانية في جدة، بدليل أن التقارير البريطانية دأبت على نقده^(٣).

٢- العوامل التي أثرت على إمارة الشريف عون الرفيق:

أ- تعديت القبائل:

واجه الشريف عون الرفيق في الأيام الأولى من توليه الإمارة اضطراباً في الأمن^(٤)، ففي شهر شعبان من عام ١٣٠٠هـ / يونيو ١٨٨٣م، أرسل الشريف عون الرفيق فرقة من العساكر العثمانية، ومثلها من رجال البادية إلى بني مالك^(٥)، كما أصدر أوامره إلى القبائل المحيطة بهم، للمشاركة مع قواته في إخضاع بني مالك، نظراً لكثرة إفسادهم في البلاد، والذي استمر نحو عشرين سنة، فدارت رحى المعركة بين الطرفين، هزم فيها بنو

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.RES 18\41, Y.A.HUS 483\110.

(٣) نجاة الجاسم: مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠.

(٤) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٦.

(٥) بني مالك: قبيلة سرورية تقع ديارهم شرق الليث وجنوب الطائف، بين ديار بني الحارث شمالاً وزهران جنوباً.

كانت تعرف باسم (بجيلة) أو هي بقايا منها، ولا زالت أرضهم اليوم يعرف فيها مكان باسم (بجيلة) وهي

نفس السراة التي كانت تعرف بسراة بجيلة. عاتق البلاددي: معجم قبائل الحجاز، ص ٤٦٢.

مالك، وقتل منهم خلق كثير، فلما رأوا ما حل بهم، طلبوا عفو أمير مكة، على أن يدفعوا ما عليهم من زكاة أموالهم، فعمت السكينة بعد الخوف^(١).

وفي شهر رمضان من العام نفسه هاجمت قبائل زُبيد^(٢)، وبِشر^(٣)، ومُعَبَّد^(٤)، وسَلِيم^(٥)، القوافل المارة على الطريق بين مكة وجدة، كما هجم جماعة منهم على جدة، فجهز الشريف عون الرفيق حملة عسكرية لقتالهم، وعندما وصلتهم أنباء تقدم قوات الشريف مكة نحو ديارهم، لم يروا بداً من الانسحاب إلى عسفان^(٦)، ولكن قوات الشريف أدركتهم، وتمكنت من إلحاق الهزيمة بهم، وأجبرتهم على الطاعة^(٧).

وكان السبب في قيام تلك القبائل بإثارة الفوضى، هو عدم دفع الولاية لمرتبات العربان، مما نتج عنه عرقلة نقل الحجاج من مكة إلى المدينة^(٨)، إضافة إلى سوء إدارة

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 6\129.

(٢) زُبيد: بطن كبير من مسروح من حرب بن سعد بن خولان، تسكن الساحل من جنوب جدة إلى ينبع، وتدخل في الأودية التهامية. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١٩٢.

(٣) بِشْر: بطن من ولد عبد الله من بني عمرو من مسروح من حرب، ديارهم بين مَرّ الظهران وعسفان، وقاعدة إمارتهم عسفان. عاتق البلادي: المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤) مُعَبَّد: بطن من بني عمرو من مسروح من حرب. يسكنون أعالي عُران وفروعه إلى زُهاط والخشاش بين جدة وعسفان، وديارهم تعرف بالمعبدية. عاتق البلادي: المرجع السابق، ص ٥٠٤.

(٥) بنو سليم: تنقسم بنو سليم إلى فرعين هما: حبش وفتية، ومنازل سليم واديا ساية وستارة - بين مكة والمدينة - وما والاها. عاتق البلادي: المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(٦) عسفان: بلدة عامرة تقع شمال مكة على ثمانين كيلاً على المحجّة إلى المدينة، على التقاء وادي فيدة بوادي الصُّغُو، فيها آبار عذبة قديمة مخصصة ومراقبة منها بئر التفلة، سكانها بِشْر من بني عمرو من حرب. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٦، ص ١١٥١.

(٧) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٦-٦٧؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٢-١٣٣؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

(٨) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 194\2-55؛ كرستيان هورخونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٣.

الوالي عثمان نوري باشا للحجاز، والتي ألحقت الضرر بكثير من العربان، والأهالي، والحجاج^(١).

وفي عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م، أرسل الشريف عون الرفيق مندوبا من قبله؛ ليكون في صحبة المحمل المصري؛ لحمايته من اعتداءات العربان، وأثناء سير المحمل اعترضه جماعة من قطاع الطرق، و سرقوا أربعة جمال بأحماها، وقتلوا آخر، لما تأخر عن الركب^(٢) فقد كان من عادة هؤلاء اللصوص عند مهاجمة ركب الحجيج، اقتفاء أثر القوافل والمحامل خفيةً، مدة خمسة أيام فأكثر، فيسلبون مال وجمال من يتأخر عن ركب الحجاج^(٣).

وفي العام نفسه، خرجت قافلة من مكة إلى المدينة، ولما وصلت وادي فاطمة^(٤) بلغها أن الطريق مليء بالأشقياء من العربان، وقطاع الطرق، فأرادوا الرجوع إلى مكة، فمنعهم المقومون، وأشاعوا أن الطريق قد سلكت، وأن العربان قد اصطلحت، وخدعوهم بهذا المقال لخشيتهم من أن يسترجع الحجاج أموالهم، ولما أطمأن الركاب إلى هذه الأقاويل، ساروا حتى وصلوا إلى وادي فاطمة، فأوقعهم الحصر بين الجبال، وتواترت الأخبار بأن التأخر والتقدم قد صار غير ممكنا فعند ذلك تشوّشت من الركب الأفكار، وتوقعوا حلول الأخطار فمكتوا على هذه الحالة ثلاثة أيام، ثم سمحوا لهم بالمرور، بشرط أخذ ريال عن كل جمل مما معهم، وكذا حصل منهم عند الوصول إلى عسفان، وأخذوا

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 196\32. انظر وثيقة رقم (٤) بالملاحق.

(٢) محمد صادق: مصدر سابق، ص١٩٨-١٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٥؛ عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص١٥٨.

(٤) وادي فاطمة: كان يعرف باسم مَر الظهران أو وادي الشريف، وهو أحد أودية خيبر، يقع غرب جبل عطوة (الصهباء) الجنوبي، فيه عيون وقرى يجتمع مع أودية خيبر في وادي الطبق على ٢٥ كم من طريق المدينة

غرباً. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٩، ص١٧٨١-١٧٨٢.

عن كل جمل نصف ريال، واغتصبوا - فضلاً عن ذلك - من أغنياء الركب نحو ستمائة ريال، مع ما كانوا فيه من الرعب وتشنت الجمال، وفقدتهم لغالب أمتعتهم، وتأخرهم أربعة أيام عن المواقيت، وسلب الذخائر^(١).

وعلى الرغم من توفير الحراسة لقافلة الحجيج من عرب البادية، إلا أن ذلك لم يمنع من وقوعهم ضحية لأطماع المقومين من جهة، وهجمات القبائل من جهة أخرى، وكان من الصعوبة بمكان على الشريف عون الرفيق، وغيره ممن تشرف بحكم مكة، القضاء على أعمال السطو والنهب تلك، أو اللحاق بمرتكبيها ومعاقبتهم، بسبب تعودهم على حياة السرقة، ثم الاختفاء بسرعة، ومعرفتهم الجيدة بمسالك الطرق^(٢).

وفي ٧ محرم سنة ١٣٠٤هـ / ٦ أكتوبر ١٨٨٦م خرجت قافلة من مكة إلى جدة، كان بها ٢٠٠ جمل، ومعها نحو ٥٠ نفرًا من العساكر لحراستها خوفاً من العربان، فلما وصلوا جدة بلغهم أن العربان هجموا في الليلة الماضية على قافلة قريبة من بحرة^(٣) فنهبوا منها نحو عشرين جملاً، وقتلوا منها شخصين، فلم يصددهم هذا القول عن استكمال المسير؛ لكثرة عدد من بالقافلة، ولوجود العساكر معهم فلما تجاوزوا بحرة، هجمت العربان عليهم، فتصدى لهم العساكر، وأطلقوا عليهم الرصاص فتفرقوا، وقدرت خسائر ذلك الهجوم، بثمانية قتلى من الحجاج، ومثلهم من الجمالة، وأعداد كثيرة من الجرحى، هذا فضلاً عن الأموال والجمال المنهوبة. وعندما وصلت تلك الأخبار إلى الشريف عون

(١) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٩٥-٣٩٦؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) أريج القثامي: مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣) بحرة: بلدة عامرة بين مكة وجدة، وسكانها بنو جابر والمعينة من حرب، وخليط من الناس، وكانت بحرة تعرف بالقرين عندما مر بها ابن جبير سنة ٥٧٠هـ، والقرين اسم الأكمة الصغيرة التي بطرف البلدة من المشرق، ولا زالت معروفة، لكن الاسم تغير بسبب حفر بئر غرب القرين، فظهرت البئر غزيرة لا تنزح فسميت بحرة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٧١-١٧٢.

الرفيق، أرسل من فوره قوة عسكرية لمطاردة اولئك الأعراب، الذين عاثوا في الأرض فساداً، وبالفعل أدركتهم قوات الشريف، وألحقت بهم الهزيمة، وقتلت منهم اثنين، وجاءت برؤوسهم إلى مكة ليكونوا عبرة لغيرهم^(١).

ولم يكتف عرب البادية بالهجوم على القوافل، بل تعدوا ذلك إلى مهاجمة مرافق الدولة العلية، حيث قام اولئك الأعراب بقطع التلغراف الموصل من جدة إلى مكة، وذلك بقصد الفساد^(٢)، كما قامت جماعة من بني إبراهيم^(٣) بالإغارة على سجن ينبع، وأطلقوا منه شخصين ينتميان إلى أفراد القبيلة، وقضوا على أربعة من عساكر الضبطية^(٤) في أثناء عملية إخراجهما من السجن، فوجهت لهم إمارة مكة -عن طريق البحر- خمسمائة جندياً، ومدفعاً واحداً؛ للقبض عليهم^(٥).

وقد أدت تلك الأعمال التخريبية، وثورات القبائل - التي كانت تحدث بين الحين والآخر في أماكن مختلفة من إقليم الحجاز- إلى تشتيت جهود الشريف عون الرفيق في القضاء عليها، مما ساعد اولئك الثوار على الاستمرار في عصيانهم^(٦)؛ لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم الأسياد الحقيقيين في مناطقهم، وأن لهم الحق في أن يجيزوا ويمنعوا ما يمر في أراضيهم من قوافل^(٧).

(١) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٢٢٦-٢٢٧؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٤١؛ أحمد السباعي:

مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٧.

(٢) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٢٢٧.

(٣) بنو إبراهيم: بطن من بني مالك من جهينة، وديارهم ينبع النخل وما حوله، ومن فروعهم: الصراصرة، والمسافرة، والشطارية، والشهابين. وغيرهم. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١١ - ١٢.

(٤) عساكر الضبطية: المقصود بها الشرطة العسكرية، ومهمتها المحافظة على الأمن في المدن. صابرة إسماعيل:

مرجع سابق، ص ٢٦؛ اريج القنامي: مرجع سابق، ص ٩٦.

(٥) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٢٤٢.

(٦) اريج القنامي: مرجع سابق، ص ٩٦.

(٧) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٦٠.

لذلك فقد لجأت الكثير من القوافل إلى التعامل مع تلك القبائل؛ لحمايتها في المناطق التي تمر بها لحمايتها، فاستخدموا أفراد تلك القبائل - مع جمالهم - في نقل الحجاج؛ حتى يضمنوا ولاءهم، وعدم الغدر بهم، إلا أن هذه الخطوة لم تأت بثمارها المرجوة^(١)، حيث قام ابن حذيفة - شيخ قبيلة الأحامدة^(٢) - المسئول عن أمن المحمل أثناء مروره بالطريق السلطاني^(٣)، بقطع طريق المدينة، حتى أن إحدى القوافل اضطرت للانتظار مدة طويلة في الصفراء^(٤)؛ خوفا من مهاجمة تلك القبيلة لهم، كما قام ابن عاصم^(٥) - شيخ قبيلة حرب^(٦) - بمهاجمة إحدى القوافل، التي كان من المفترض أن يقوم هو وجماعته بحراستها؛ وذلك لعدم حصول قبيلته على رواتبهم السنوية كاملة، فخرج الوالي عثمان نوري باشا في قوات كبيرة من العثمانيين، لقتالهم، وفتح الطريق أمام القوافل، وقد اعترض الشريف عون الرفيق على ذلك الأمر، حيث رأى في تحرك الوالي العثماني بمفرده، تعديا على شؤونه^(٧).

(١) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) قبيلة الأحامدة: هي بطن من ميمون من بني سالم من حرب ديارهم جبل الفقرة (الأشعر). وتخصر منهم كثيرون في مكة، والمدينة، وجدة، وينبع. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١٣.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٧٣.

(٤) الصفراء: هي قرية كثيرة النخل والزرع، تقع فوق ينبع مما يلي المدينة المنورة، وبينه وبين بدر مرحلة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٥، ص ٩٩٣.

(٥) ابن عاصم: هو الشيخ عبد المحسن بن عاصم، رئيس عشيرة العصوم وهي فرع من فخذ زيد من بطن مسروح محارب مرموق وحامل اللواء التقليدي لبني حرب. نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، ط ١، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٩٠.

(٦) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٢٤٤.

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 8\47؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٣؛ جيرالد دو غوري: مصدر سابق، ص ٣١٨.

وقام الشريف عون الرفيق باتهام الوالي عثمان نوري بالغدر، وتحريض القبائل على إثارة الفوضى في طرق القوافل^(١)، وفي المقابل حمل الوالي عثمان نوري، الشريف عون الرفيق، مسؤولية ذلك الانقلاب الأمني، وتعرض حياة الحجاج المسلمين للخطر^(٢).

ونلاحظ مما سبق، أن تلك الحادثة كانت هي البداية لنشوب النزاع بين الشريف والوالي، والذي انعكس سلباً - فيما بعد - على استقرار بلاد الحجاز، بسبب عدم تكاتف الجهود بين الطرفين في حل تلك الأزمة الأمنية.

وفي عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م قامت قبيلة حرب بالتمركز في عسفان، ومنها قامت بقطع الطريق بين مكة وجدة، وكذلك الطريق بين مكة والمدينة، وانعدم الأمن نتيجة لذلك. وكان السبب في تلك الأفعال، هو تحريض الأجانب للعبيد على الهرب والفرار من قبيلة حرب، وكان الهاربون منهم يمنحون وثيقة العتق من قبل الحكومة حال وصولهم إلى جدة، وذلك بضغط من ممثلي الدول الأوروبية في جدة، تنفيذاً للمعاهدة التي وقعتها الدولة العثمانية سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م، والتي حرمت بموجبها الرق في أراضيها، وقد أدى ذلك التحريض إلى هروب بعض عبيد القبيلة^(٣).

وقد قدم الشريف عون الرفيق الكثير من التنازلات لقبيلة حرب. حيث قام بتعويضهم عن عبدهم الهاربين، وخسائرهم في الحروب الأخيرة^(٤)؛ من أجل إحلال الأمن في طرق قوافل الحجيج؛ ولأنه كان يدرك مدى قدرة قبيلة حرب على إثارة الفوضى في الطرق الرئيسية لقوافل الحجاج، بين مكة، وجدة، والمدينة.

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف، ١٩٦\٩٧-١٩٤\٣٢، Y.A.HUS 194\2-55,196\97. Y.PRK.UM 73\53.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف، ١٩٦\٩٧-١٩٤\٣٢، Y.A.HUS 194\2-55,196\97. انظر وثيقة رقم (٣،١) بالملاحق.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٣؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٤؛ عبد الستار عبد الوهاب: نزهة الأنظار والفكر فيما مضى من الحوادث والعبير، مخطوط مصور بمكتبة الحرم المكي الشريف، الرقم العام ٣٢٥٨ / تاريخ، ق ٣٥٧.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٥.

وقد تفاقمت تلك الأزمات الأمنية في إقليم الحجاز، حيث تم الاعتداء على بعض القناصل والدبلوماسيين الأجانب، في عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م، مما تسبب في حدوث تصدع حاد في العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية، وبعض الدول الأوروبية، غير أن الدبلوماسية العثمانية نجحت في تطويق تلك الأزمة، ورأب ذلك الصدع^(١)، وهو ما ستحدث عنه -تفصيلاً- في الفصل الثالث -بإذن الله-.

ب-القرارات الحكومية:

كان لبعض قرارات الحكومة العثمانية دور كبير في إثارة الفوضى، واشتعال جمرتها، في إقليم الحجاز، فعندما اتخذت الحكومة العثمانية قرارا بعمل إجراءات الحجر الصحي على الحجاج، أدى ذلك إلى تدميرهم، وقيامهم بمهاجمة أطباء الحجر الصحي وتدميرهم أحد أجهزة التعقيم وكان ذلك في عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م، كما قام الحجاج بتدمير أجهزة التعقيم في جدة، مما اضطر الأطباء للهرب. كما اختفى طبيبان في الطائف خوفاً على حياتهما^(٢). كما قام سكان مكة -في العام نفسه -بهدم مبنى كان مُعداً للاستعمال كمحجر صحي^(٣).

وفي العام التالي قامت جماعة بمهاجمة المستشفى العسكري في ينبع، بسبب وجود جهاز تعقيم فيه، حيث اعتقدوا أن ذلك الجهاز قد صمم لقتل الناس، وفي عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م، تم مهاجمة مركز الحجر الصحي بجدة من قبل السكان، وأصحاب الجمال، وحتى النساء، واستولوا على البضائع الموجودة فيه، وكان ذلك بسبب قيام مركز الحجر الصحي -بجدة - باتخاذ إجراءات التعقيم ضد الأوبئة فخاف سكان جدة من أن

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٩.

(٣) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٤٦.

تؤدي تلك الإجراءات إلى تدمير موسم الحج، وبالتالي تدمير النشاط الاقتصادي في جدة، وعوائد أصحاب الجمال^(١).

كما كان قرار الدولة العثمانية بمد سكة حديد الحجاز في عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م^(٢) من أسباب تمرد القبائل، فقد ثارت القبائل المحاذية لخط السكة الحديد؛ لأنهم رأوا في إنشائه قطعاً لأرزاقهم. حيث كان عرب الحجاز المقيمين على طريق مرور القوافل يستفيدون من تأجير جمالهم للتجار، والزوار، والحجاج، في وقت ذهابهم لمكة^(٣)، إضافة إلى تخوف تلك القبائل من أن يؤدي مد خط السكة الحديد إلى فرض التجنيد الإلزامي، والضرائب، وفقدانهم للأفضلية العسكرية، ووقوعهم تحت الحكم العثماني المباشر^(٤). لذلك تعرض المشروع لهجمات البدو، وطالته بعض أعمال التخريب^(٥) حيث قام أفراد من قبيلة جهينة^(٦) بتخريب قسم من الخط الحديدي شمال ولاية الحجاز،

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٢) عبد اللطيف محمد الحميد: وثائق سكة حديد الحجاز في الأرشيف العثماني، مجلة الدارة، ع ٣، ص ١٨، ربيع الآخر، ١٤١٣ هـ، ص ٦٢.

(٣) خالد السعدون: مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز، أسبابها، وتطوراتها، مجلة الدارة، ع ٢٤، ص ١٤، محرم، ١٤٠٩ هـ / أغسطس ١٩٨٨ م، ص ٤٩-٥١؛ عبد المغيث مديرس النعماني: سياسة حكومة الحجاز تجاه الأقطار العربية المجاورة (١٣٣٤-١٣٤٣ هـ / ١٩١٦-١٩٢٤ م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م، ج ١، ص ٧؛ أريج القمامي: مرجع سابق، ص ٩٩.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٩٥؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٥) أريج القمامي: مرجع سابق، ص ٩٩.

(٦) جهينة: حي عظيم من قضاة، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سؤد ابن أسلم بن الحايي بن قضاة. كانت منازلهم بين ينبع والمدينة إلى وادي الصفراء جنوباً والعيص وديار بلي شمالاً، على الضفة الشرقية للبحر الأحمر، وأجازت منهم أحياء إلى العدو الغربية من هذا البحر، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكاثروا هناك سائر الأمم، وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم، وأزالوا ملكهم، وحاربوا الحبشة فأرهقوهم. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٩٥.

بالقرب من العلا^(١).

وقد بذل الشريف عون الرفيق جهداً بارزاً في تهدئة تلك الأوضاع الأمنية، حيث شرح لرجال القبائل أهمية ذلك المشروع الحديدي، من الناحيتين السياسية، والاقتصادية، والعوائد التي سينتفع بها سكان الحجاز، حال الانتهاء من المشروع، فساعد ذلك على امتصاص غضبهم، والتقليل من تمردهم^(٢).

ج- الإدارة المحلية:

كان لسوء الإدارة المحلية - في إقليم الحجاز - دور في إثارة الفوضى^(٣)، وإثارة الكثير من القلاقل، ففي عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م، طلب الشريف عون الرفيق من درويش الهباش - من كبار المقومين في قبيلة حرب - ستة عشرة ألف ريال مجيدي، فرضها عليه كزيادة في أجرة الجمال من جدة إلى مكة، فرفض الهباش دفع ذلك المبلغ، فقام الشريف عون الرفيق بتغيير القوامة في قبيلة هذيل، وأمر بعدم الانتفاع بخدمات الهباش وأتباعه^(٤).

وكردة فعل على قرار الشريف عون الرفيق، قام درويش الهباش بالهجوم على قافلة بمكة المكرمة - بعد منتصف الليل - كانت متجهة إلى المدينة المنورة، وأطلق عليها النيران

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٧٠ - ١٧١. العلا: مدينة تقع في غرب الجزيرة العربية، بين المدينة المنورة وتبوك، وتتبع إدارياً لمنطقة المدينة المنورة والتي تبعد عنها حوالي ٣٠٠ كم، نزل بها النبي ﷺ وهو في طريقه إلى غزوة تبوك، كما يمر بها طريق سكة حديد الحجاز. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٦، ص ١١٩١-١١٩٢.

(٢) عبد المغيث النعماني: مرجع سابق، ج ١، ص ٩.

(٣) آمال صديق: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٥.

(٤) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٤٧.

فُقْتِلَ من قُتِلَ، وَجُرِحَ من جُرِحَ، وَسُلِبَ من سُلِبَ، وَهَرَبَ من هَرَبَ، وَبَقِيَتْ مَكَّةُ فِي هِيَاجٍ عَظِيمٍ حَتَّى الْفَجْرِ (١).

وفي نفس العام سطا العربان على قافلة كانت ببحرة - بين جدة ومكة - فقتلوا من رجالها ونسائها، وجرحوا كثيرين، وسلبوهم المتاع، والنقود، والحلي (٢)، وكان السبب في هذا الهجوم، هو عدم دفع الدولة العوائد المقررة لهؤلاء العربان، وحين شكوا الحجاج الأمر إلى الوالي أحمد راتب، لم يفعل شيئاً؛ بل قال لهم: عليكم أن تحتسبوا ما تعاونوه من مصائب في سبيل الله، وعليكم التحلي بالصبر، ولكم الجزاء عند الله (٣).

د- العساكر النظامية:

كانت القوات العسكرية في الحجاز قليلة العدد (٤)، وضعيفة التسليح، وعاجزة - إلى حد ما - عن مواجهة اعتداءات القبائل بشكل حاسم (٥)، ويرجع السبب في ذلك إلى سياسة الحكومة العثمانية، حيث كانت تمدد فترة خدمتهم، وتتأخر في صرف رواتبهم، مما كان يدفعهم إلى عدم تنفيذ الأوامر، وأحياناً إلى التمرد، حيث كانوا يلجئون إلى المسجد الحرام، أو المسجد النبوي - إذا كانوا في مكة أو المدينة - أو إلى أحد مساجد الطائف، أو جدة، ثم يعلنون راية التمرد والعصيان، ويهددون بتركهم للخدمة العسكرية (٦).

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، والجزء نفسه، ص ١٥١؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) آمال صديق: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف، Y.PRK.UM 8\47.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 330\90؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٢١؛ دائل

الخالدي: مرجع سابق، ص ١٦١.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٧٢.

وهذا ما حدث في عام ١٣١٥هـ/١٨٩٨م، عندما لجأ بعض الجنود -ممن انتهت خدمتهم- إلى المسجد الحرام، بأسلحتهم، مستغلين فرصة وجود الوالي أحمد راتب باشا في جدة، وأعلنوا راية التمرد والعصيان، ورفضوا الخروج من المسجد، إلا بعد إنهاء خدمتهم في الجيش، ودفع رواتبهم المتأخرة. كما استولى بعض الجنود في الطائف على مسجد الحبر عبد الله بن العباس، وتترسوا فيه، وخرج بعضهم إلى السوق لنهبه، فحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين الأهالي، أسفرت عن مقتل اثنين من الأهالي، وواحد من الجنود، وعندما وصلت أنباء ذلك التمرد إلى الشريف عون الرفيق أمر الوالي أحمد راتب باشا بإنهاء خدمتهم، وتسليمهم رواتبهم، وتذاكر سفرهم^(١).

وفي العام نفسه استولى الجنود على أحد مساجد جدة، حيث رفعوا راية التمرد والعصيان، وطالبوا بدفع رواتبهم، وإنهاء خدمتهم العسكرية، وعودتهم لأوطانهم، وقد استجيب لطلباتهم، بعد وصول قوة جديدة^(٢).

ويبدو أن مسلسل معاناة الجند، وسوء الإدارة، والفوضى، لم يتوقف إبان إمارة الشريف عون الرفيق، ففي عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م استولى الجنود على المسجد الحرام بمكة، ومكثوا فيه لمدة شهرين كاملين، ورفعوا راية العصيان، احتجاجا على الظروف العسكرية الصعبة التي يعانون منها^(٣)، وحدثت مواجهات بين الجنود والأهالي أسفرت عن إغلاق المحلات، والأسواق، حيث رفض الجنود دفع ثمن مشترياتهم، وطالبوا بالتجار بأخذ الثمن من الوالي، وتسبب ذلك في حدوث مواجهات عنيفة، قُتل على إثرها ثلاثة من الجنود، وواحد من الأهالي، وحدثت الكثير من الإصابات في الجانبين، ولم ينته ذلك التمرد، إلا بعد أن حصل أولئك الجنود على رواتبهم، مع الوعد بنقلهم لبلدانهم^(٤).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٩.

(٢) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٢٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٢٢.

(٤) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٧٣ - ١٧٤؛ AL- Amr ,OP.CIT, P.106.

وفي جمادى الأولى ١٣٢٢هـ / يوليو ١٩٠٤م أرسل محافظ المدينة المنورة عثمان فريد باشا^(١) تلغرافاً عاجلاً إلى الباب العالي يخبره بتمرد العساكر العثمانية، وإثارتهم الاضطرابات في المدينة، وفرار مائة جندي، وذلك بسبب نقص المؤن، وتعرض الجنود للجوع، ويطلب من الباب العالي سرعة إرسال حوالة إلى المدينة المنورة، وتزويدها بالمؤن من الولايات المجاورة^(٢).

هـ- عساكر الشريف:

قام الشريف عون الرفيق بتكوين فرقة من العساكر غير النظامية، وكلفها بمهمة المرابطة جنبا إلى جنب مع الجنود الأتراك، وكان ذلك بهدف حفظ أرواح، وأموال الناس في الطرق المضطربة، لكن تلك الفرقة لم تؤد واجبها كما ينبغي، ولم تحسن أداء المهام التي أنيطت بها حيث تقاعسوا عن رد الغارات، وملاحقة قطاع الطرق، وإذا ما سئلوا عن سبب ذلك التقاعس؛ برروا ذلك بأن الأوامر لم تصدر لهم من الشريف عون بالتدخل والقتال^(٣).

هذا ما أكده رئيس حرس المحمل المصري في سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، حيث ذكر بأن الطريق بين جدة ومكة كان يوجد به جملة قلاع ذات اليمين، وذات الشمال، يقيم فيها جنود أترك، كما كان به أماكن أخرى يقطنها عساكر الشريف غير النظامية،

(١) عثمان فريد باشا: تولى منصب محافظ المدينة المنورة من عام (١٣٠٥-١٣١٨هـ/١٨٨٧-١٩٠٠م)، وأعيد لمنصبه مرة أخرى من عام (١٣٢٣-١٣٢٦هـ/١٩٠٥-١٩٠٨م)، وجمع بين مناصبي شيخ الحرم النبوي ومحافظ المدينة. وعندما أعلن الدستور العثماني في عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، عزل من منصبه. سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٥هـ، ص ١٨٣؛ سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية، ص ٢٥٠؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢٠.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣١١؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٣) أريج القثامي: مرجع سابق، ص ٩٨.

وهؤلاء العساكر إنما وجدوا للمحافظة على الأمن بالطريق، ولكنهم - كما سمعت - لا يفارقون أماكنهم لرد الغارات، والضرب على أيدي اللصوص، وقطاع الطرق، حتى لو حدث ذلك على مرأي منهم ومسمع، إلا إذا أمرهم الوالي بالتدخل، وأين هو منهم؟ وكثيراً ما سلب الحجاج أمتعتهم، إذا تأخروا عن القافلة؛ لإصلاح الأحمال، أو قضاء بعض الضرورات، وإذا ما سئل هؤلاء الحراس لماذا لا تقومون بالواجب، قالوا: "أمر يوك"، أي لم يصدر لنا الأمر"^(١).

وكانت أعمال اولئك العساكر - على الدوام - في منتهى الفتور والتردد؛ لذلك لم يكن البدو حيالهم ما يلزم من الخوف والاحترام لردع غاراتهم، ولعل تأخر صرف رواتب العساكر في موعدها المقرر، كان سبباً رئيساً في تقاعسهم عن أداء واجبهم الدفاعي المطلوب منهم؛ وحماية القوافل التجارية، وركب الحجيج السنوي^(٢).

٣- الأوسمة المقدمة من السلطان عبد الحميد الثاني للشريف عون الرفيق:

منذ أن تولي الشريف عون الرفيق إمارة مكة المكرمة، اجتهد في إظهار العدل، وتأمين الطرق، فحصل لسكان البلد الحرام كامل الراحة والاطمئنان، فأكرمه السلطان عبد الحميد بقفطان^(٣) ووسام، تقديراً لجهوده المبذولة في إقليم الحجاز، وحسن إدارته في الإمارة^(٤). كما أنعم عليه السلطان في عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م بنيشان الصداقة، وذلك لأنه استكمل الحصول على جميع الرتب المجيدية والعثمانية، فاستحدث السلطان عبد الحميد نيشاناً جديداً، وأطلق عليه نيشان الصداقة، وسمي أيضاً "النيشان

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥.

(٢) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٤٦ - ١٤٧؛ أريج القثامي: مرجع سابق، ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) قفطان: " قفتان " الاسم العام الذي يطلق على الملابس الخارجية وتسمى بالعربي الخلعة. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٨٣.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 234/45 , Y.PRK.UM 6/129 .

الحميدي" (١). كما استحدث السلطان نيشان الميدالية (٢)، ومنحه للشريف عون في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م (٣). وفي عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م تقلد الشريف عون النيشان العالي ودرجة الامتياز، وبذلك حصل على جميع نياشين الدولة العلية (٤).

وتوطدت أواصر العلاقة بين الشريف عون الرفيق، وبين السلطان عبد الحميد الثاني (٥). فكان السلطان يقف - غالباً - في صف الشريف عون على حساب الوالي العثماني (٦)، فعندما سافر الشريف عون الرفيق مع الحجاج إلى المدينة المنورة عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م، طلب من السلطان عبد الحميد عزل الوالي عثمان نوري باشا، فاستجاب السلطان لطلبه، وعزل الوالي (٧)، كما منحه السلطان نفقات سفره إلى المدينة المنورة (٨).

وفي عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م توترت العلاقة بين الشريف عون الرفيق، والشريف محمد بن مهنا - وكيل الشريف عون في جدة - وأرسل ابن مهنا برقية إلى السلطان عبد الحميد يتهم فيها الشريف عون بأن له علاقة مع القناصل البريطانيين في جدة، عن طريق يوسف قدسي مترجم القنصلية البريطانية (٩). إلا أن السلطان عبد الحميد لم يلق بالاً لتلك البرقية. بسبب ثقته الكبيرة في ولاء الشريف عون للباب العالي، ومما يؤكد ذلك

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢١٨.

(٢) نيشان الميدالية: هو وسام تمنحه الدولة لمواطنيها تقديراً لعمل متميز، وهو على ثلاثة أنواع، ذهبي وفضي وبرونزي ونحاسي. سهيل صابان: المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٢٩.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.AZJ 16/13؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٤.

(٥) نجاة الجاسم: مرجع سابق، ص ٣٩.

(٦) أريج القنماني: مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٧) الأرشيف العثماني: Y.A.HUS 194/2-122؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٣.

(٨) الأرشيف العثماني، تصنيف I.MMS 94/3998.

(٩) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.AZJ 16/13.

أن السلطان أرسل للشريف عون - في نفس العام - رسالة يشكره فيها، ويثني عليه^(١)، كما منحه السلطان وساماً مجيداً من الدرجة الأولى برتبة وزير، مكافأة له من الدولة العثمانية؛ تقديراً لجهوده التي يبذلها من أجل إحلال الأمن، والهدوء، وتوفير الراحة والرفاهية لحجاج بيت الكرام والزائرين لبيت الله الحرام^(٢). كما أنعم عليه السلطان عبد الحميد في عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م بالخلعة^(٣) السلطانية، تجديداً لمراسم الموالاتة، والاهتمام بشئون الحجاج، والمجاورين، والزوار، والعلماء، والفقراء^(٤).

وفي عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م أنعم عليه السلطان عبد الحميد بالوسام الذهبي، كما أنعم عليه في عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م بالوسام الفخري المرصع^(٥). وفي عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م أرسل السلطان عبد الحميد إلى الشريف عون الرفيق رسالة تتضمن عبارات الثناء والشكر على الخدمات الجليلة التي يقوم بها في خدمة الحجاج الكرام، وزائري بيت الله الحرام والمسجد النبوي، وكذلك على قيامه بتأمين قوافل الحجاج في ذهابهم وعودتهم، والحفاظ على الأمن والهدوء في الحرمين الشريفين، ومن أجل ذلك قرر السلطان توجيه أمره العالي، وفرمانه السلطاني بتكريم الشريف عون الرفيق، ومنحه سيف عثماني مرصع بالجواهر^(٦).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف، Y.PRK.NMH 4/81.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف 9/73، Y.PRK.NMH 6/13، 12/71، Y.PRK.A 7/48.

(٣) الخلعة: هي نوع من الملابس الخارجية أو ما يسمى بالبشت أو العباءة أو الرداء الذي كان السلطان يكسبه على موظفيه أو ولاته أو وزرائه إعراباً عن رضائه عنهم. ولهذه الخلعة درجات وأنواع كانت أعلاها ما تمنح للشريف وهي من " فرو السمور ". سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٠٣.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.A 11/27، I.DAH 12/S.1312.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف I.TAL1318/C-71، BEO 1167/87484؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠١. انظر وثيقة رقم (٦) بالملاحق.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.NMH 9/73، Y.PRK.A 12/71.

علاقة الشريف عون الرفيق بالسلطان عبد الحميد الثاني:

كان الشريف عون الرفيق حريصاً على كسب ثقة السلطان عبد الحميد، وفي سبيل ذلك قام بتوطيد علاقته بالأشخاص المقربين من السلطان، فقام بمصاهرة السيد أحمد أسعد، حيث زوج ابنه، الشريف محمد عبد العزيز، من ابنة السيد أحمد أسعد، وبذلك كسب حليفاً قوياً من أهم الشخصيات التي كانت مقربة من السلطان، وقد أتت تلك السياسة التي اتبعتها الشريف عون بثمارها المرجوة، حيث تمكن من تثبيت نفسه في منصب إمارة مكة المكرمة، ولم يتم عزله؛ رغم كثرة الشكاوي المرفوعة ضده إلى السلطان^(١). وكانت أغلب تلك الشكاوي كيدية، وكان الغرض منها عزل الشريف من منصبه، لكن السلطان لم يلق لها بالاً، بسبب ثقته في ولاء الشريف عون الرفيق للباب العالي^(٢).

كما حرص السلطان عبد الحميد من توطيد علاقته - هو الآخر - بالشريف عون الرفيق، وكسب ولائه، ويرجع السبب في ذلك إلى أن فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية كانت من أهم أولويات سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في الحجاز، ولم يجد السلطان شخصاً أفضل من الشريف عون، ليكون من أكبر دعاة هذه السياسة، والراعي لها في بلاد الحجاز والمقدسات الإسلامية، وبخاصة في موسم الحج. ولذلك عمد السلطان عبد الحميد في تأسيس خط سكة حديد الحجاز، كما عمل على بناء شبكة من التلغراف؛ لربط المدن الرئيسية في الحجاز ببعضها، وربط الولاية بالعاصمة. مما زاد من فعالية وقدرة الإدارة العثمانية في تلك الفترة، وقد وعى الشريف عون - بذلك - أهداف تلك السياسة العثمانية، فعمل على تجنب الصدام مع السلطان، الذي كلف

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٦؛ محمد زيدان: مرجع سابق، ص ٧١.

(٢) أريج القثامي: مرجع سابق، ص ١٢٨.

الشريف عون بتطبيق تلك السياسة في الحجاز والترويج لها، مقابل إطلاق يد الشريف عون في الإدارة فيما لا يتعارض مع السيادة العثمانية^(١).

هذا ما أكدته رسالة كانت موجهة من الوالي أحمد راتب باشا إلى السلطان عبد الحميد - عقب وفاة الشريف عون الرفيق بفترة وجيزة - يخبره فيها بأن الشريف عون كان قد أقدم على إعدام ١٢ شخصا، اتهموا بارتكاب بعض الجرائم، وطلب الوالي من السلطان. الصفع عن هذا التجاوز غير النظامي، نظرا لعدم قيام الشريف عون باستئذان السلطان في تنفيذ تلك العقوبة. وتعهد الوالي للسلطان بأن هذا التجاوز لن يتكرر مرة أخرى^(٢).

وبذلك يتجلى لنا أن تغاضي إسطنبول عن سياسة الشريف عون الرفيق - مع ما فيها من مساوئ - كان سببه حرص الدولة على ضمان بقاء الشريف عون ضمن دائرة نفوذها، وسلطتها^(٣).

١- المعسكر الحميدي:

في عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م^(٤) قام الشريف عون الرفيق ببناء المعسكر الحميدي في الطائف، وبذل في ذلك جهودا كبيرة^(٥)، وأسهم بمساهمات جلييلة لإمداد كافة القوات الهمايونية بمستلزماتها في المعسكر الهمايوني، وقرر صرف إعانة قدرها ٢٠٠٠ ليرة. لإتمامه^(٦)، كما شارك الوالي أحمد راتب باشا كبار رجال النظام، والأهالي، في حمل

(١) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 229/13. انظر وثيقة رقم (٧) بالملاحق.

(٣) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٦.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 53/7.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 54/5.

الأحجار، وأحضر كثيرا من المعلمين والعمال من مكة، وأرسل الكثير من الجنود إلى جدة لجلب الأخشاب منها، وقد تم الانتهاء من بناء ذلك المعسكر الحميدي في عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م^(١)، وهذا يدل دلالة واضحة على إخلاص الشريف عون الرفيق للسلطان عبد الحميد، هذا ما أكدته برقية الوالي أحمد راتب باشا إلى السلطان، حيث أكد فيها على مكانة الشريف عون، ودوره البناء المشهود للجميع^(٢).

٢- الاهتمام بالأعيان والعلماء:

اهتم الشريف عون الرفيق بالعلماء والأعيان، فقام بترقية عدداً منهم^(٣)، مثل علي بحري أفندي نائب رئيس أشرف مكة المكرمة، وهو أحد تلاميذ المدرسة الرشدية العسكرية، وتدرج في المناصب حتى أصبح نائباً لمحمد رشدي أفندي^(٤). كما قام الشريف عون الرفيق بترقية السيد رضا أفندي، الذي كان يعمل في حسابات ولاية الحجاز، وهو أحد المستخدمين القدامى، والمسئولين الماليين القديرين في الحجاز^(٥)، كذلك كان السيد عبد السلام فوزي أفندي كاتب الديوان، من الذين أنعم عليهم الشريف عون، وذلك لأنه كان رجلاً حسن السيرة، والسلوك، والاستقامة^(٦).

كما اهتم الشريف عون الرفيق بالقائمين على شؤون الحرمين الشريفين، والمشرفين عليه، هذا ما يؤكد الخطاب الذي رفعه الشريف عون الرفيق إلى السلطان عبد الحميد،

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٦، ٣٠٥.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 206/67.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.BSK 73/102, Y.MTV 182/71. 200/86, I.HUS 67/12

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 199/91. محمد رشدي أفندي: لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 290/112.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 197/37.

حيث طلب فيه مراعاة مدير الحرم الشريف، سليمان أفندي، الذي لم يحصل على مخصصاته التي قررت له، فقد تقرر صرف راتباً شهرياً له، مقداره ١٠,٠٠٠ قرشاً، فتم تخفيضه إلى ٣,٠٠٠ قرشاً فقط، وكان مدير الحرم النبوي يتقاضى - قبل ذلك - راتباً مقداره ٥٠٠٠ قرشاً، لذلك طلب الشريف عون من السلطان، مراعاة الصرة الهمايونية لشيوخ الحرم^(١).

كما أنعم الشريف عون الرفيق على السيد فوزي بك -الكاتب الفخري للحرمين الشريفين- بنيشان ورتبة من الدرجة الثانية^(٢). وقام بترقية السيد محمد نائب الحرم إلى درجة مدرس أول، وذلك بعد أن قضى فترة عشرين عاماً مدرساً في الحرم المكي الشريف؛ مكافأة له على حسن أدائه لوظيفته خلال تلك الفترة^(٣).

وكما كان الشريف عون الرفيق ينعم على المحسنين، ويكافئ المخلصين، من مسؤولي الحرمين الشريفين، فإنه كان - في الوقت نفسه - يحاسب المقصرين القائمين على الحرمين الشريفين، وهذا ما فعله مع مدير الحرم المكي الشريف السيد ثابت أفندي، في عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م، حيث كان يقوم بأعمال غير مرضية، ويتقاضى الرشاوي أثناء تأدية مهام وظيفته، كما كان يقوم بتأخير سائر الأوراق والشئون التي تتعلق بمصالح الأهالي، لدرجة أنه كان يقوم بسرقة مؤن وأقوات الفقراء، ولا يصرف مخصصاتهم من خزانة المديرية، ولا يصرف المعاشات إلا لمن يعطيه الرشوة والأموال، ويعامل الناس بحده وشدة غير معهوده، وتسببت تلك التصرفات في فتح السبيل أمام المفسدين والأشقياء لممارسة أعمالهم الفاسدة^(٤).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 194/73.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.M.HUS 451/19.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 207/133.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.BSK 71/111.

٣-المساعدات المقدمة من الشريف عون الرفيق للسلطان عبد الحميد الثاني:

في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م أرسل الشريف عون الرفيق تهنئة للسلطان علي استحداثه منصب قاضي عسكر^(١) الأناضول^(٢). وعندما وقع زلزال بإسطنبول في عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، وأسفر عن تدمر السوق الكبير فيها، ووقوع خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، اتفق الشريف عون الرفيق والوالي أحمد راتب باشا على جمع إعانة للمتضررين هناك، فطلب الشريف عون من القاضي تكوين لجنة لجمع تلك الإعانة، فجمع القاضي مشايخ الحرف، وأخبرهم بقرار الشريف عون، فقالوا: على الرأس والعين ثم قال لهم الشريف: اجمعوا منهم من غير جبر، ولا إكراه^(٣). كما أسهم الشريف عون بمبلغ ١٠٠٠ جنية، كإعانة للمتضررين^(٤).

وفي عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م حصلت نكبات وأضرار لبعض رعايا الدولة العثمانية من أهالي كريد^(٥) والدروز^(٦)، فطلبت الدولة من كل الولايات، جمع الإعانات

(١) قاضي عسكر: تتمثل وظيفته في إصدار الأحكام والفتاوي الشرعية. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٧٤.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 30/22.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

(٥) كريد: أو كريت، جزيرة في البحر المتوسط، وهي كثيرة الجبال، ذات طبيعة قاسية وأرض وعرة، كان فيها قديماً مئة مدينة ولهذا أطلق عليها اسم "ذات المئة مدينة". بعد أن حكم الجزيرة ملوك من أبنائها، خضعت على التوالي لحكم الرومان، ثم اليونان، ثم العرب المسلمين، ثم الجنويين، ثم البنادقة، وأخيراً فتحها الأتراك في عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م، بعد حصار دام سنتين وثلاثة أشهر وسبع وعشرين يوماً. والجزيرة مسقط رأس العديد من العلماء والشخصيات المشهورة في العصور القديمة. موستراس، مرجع سابق، ص ٤٢١-٤٢٢.

(٦) الدروز: فرقة باطنية تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، تنسب إلى نشتكين الدرزي، نشأت في مصر، لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها حتى لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع حماد الجهني، ط ٤، دار الندوة العالمية، الرياض، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٣٩٧.

للمسلمين هناك، وقررت الدولة منح النياشين، لمن يسهم في تلك الإعانة، وكان إقليم الحجاز مستثنى من تقديم تلك الإعانات، لكن الشريف عون استحسن أن يقوم بتقديم إعانة لأولئك المسلمين المنكوبين في تلك المناطق، فعين مجلساً في داره بحضور شيخ السادة، والمفتي، وبعض الأعيان، وقرر المجلس إعانة على التجار، والمطوفين، والزمزمة، وأرباب الصناعات وغيرهم^(١).

وعندما أعلن السلطان عبد الحميد في عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م عن إنشاء مشروع سكة حديد الحجاز، وخط التلغراف في الحجاز، قدم الشريف عون الرفيق إعانة مالية؛ لتوصيل خط التلغراف من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة^(٢).

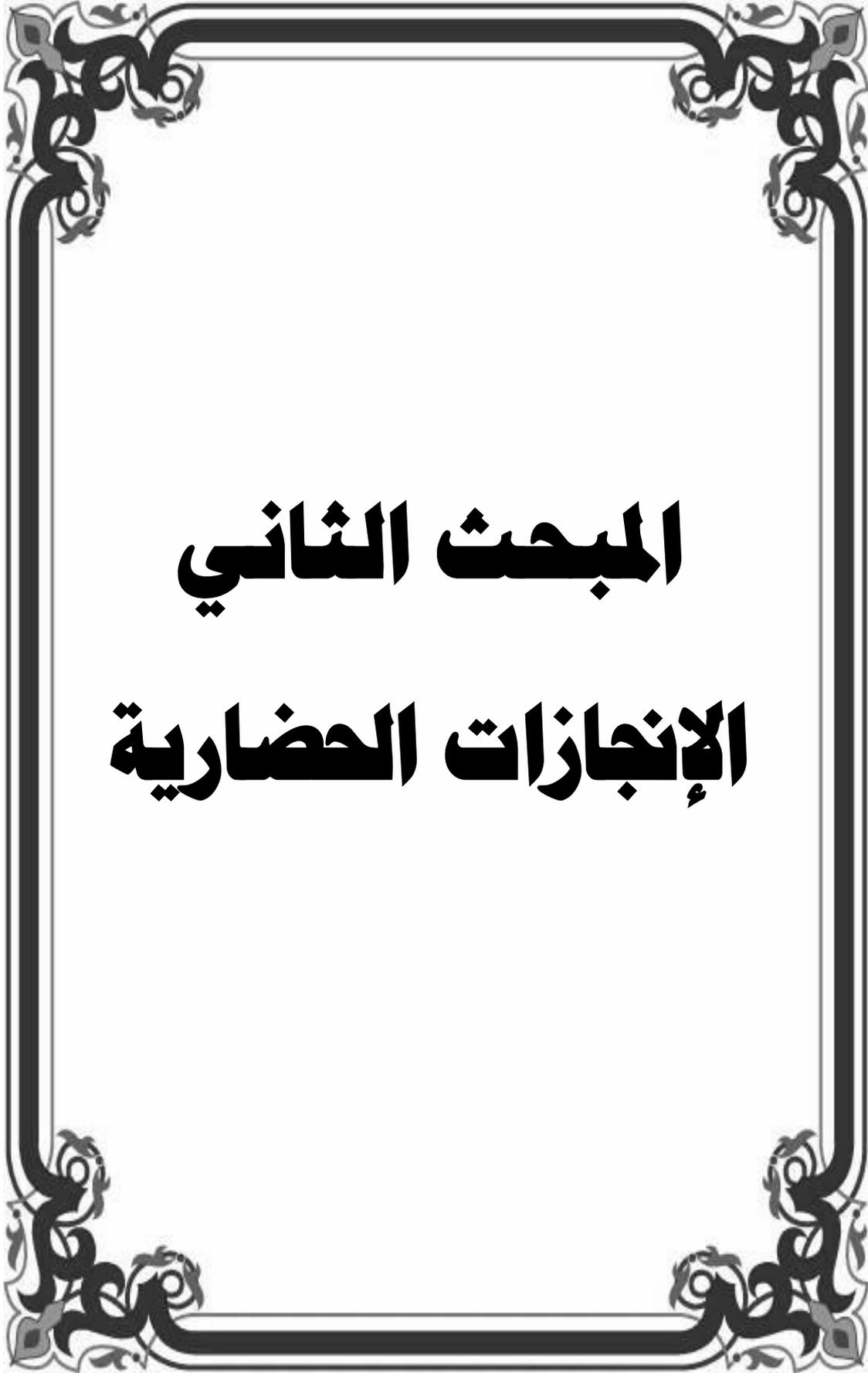
واستمرارا لتلك العلاقات الطيبة بين السلطان عبد الحميد والشريف عون، فقد حرص السلطان على الاهتمام بعائلة الشريف عون، ورعايتهم - عقب وفاة الشريف - فدفعت لهم راتب خمسة أشهر باقية من مرتب الشريف عون^(٣)، كما طلب السلطان بتوفير سبل الراحة والطمأنينة للسيدة فاطمة - زوجة الشريف عون الرفيق - ولابنها الشريف محمد عبد العزيز، إلا أن السيدة فاطمة طلبت من السلطان التوجه إلى مصر مع ابنها، فوافق السلطان على ذلك، وسمح لهم بالسفر^(٤).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف DH.ID 16-1/61.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف BEO 2867/214970.



المبحث الثاني

الإنجازات الحضارية

أولاً: الإنجازات المعمارية:

قام الشريف عون الرفيق بعدة إنجازات حضارية في إمارته، منها ما كلف به الوالي العثماني من قبل السلطان عبد الحميد الثاني، والذي يقوم بدوره بإبلاغ الشريف بما أمر به، ومنها ما قام به الشريف عون بنفسه نظراً لحاجة البلاد إليها. ومن ذلك:

١- المطبعة الأميرية:

أنشئت المطبعة الأميرية في إقليم الحجاز "مطبعة ولاية الحجاز الحكومية"، عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م^(١)، على يد الوالي عثمان نوري باشا، وقد جعل مقرها بالقرب من المسجد الحرام في محلة اجياد^(٢). وهي أول مطبعة حكومية في مكة المكرمة، بل في الحجاز عامة^(٣). وقد شيد لها مبنى من طابقين: الطابق الأول عبارة عن صالة ضخمة تضم آلات المطبعة، والطابق الثاني مكون من غرف تستعمل للصف، والتجليد،

-
- (١) سالنامه ولاية الحجاز، ١٣٠٣هـ، ص ١١٤؛ محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ط ٢، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٢٤.
- (٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢١٢-٢١٣؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨٤، ج ٦، ص ٣٠٢. أجياد: اسم يطلق على شعبين كبيرين من شعاب مكة، يأتي أحدهما من الجنوب، يقاسم حُما الماء فيتجه شمالاً، والآخر يأتي من الشرق من جبل الأعراف، ثم يجتمعان أمام المسجد الحرام من الجنوب فيندفعان في وادي إبراهيم. وقد أصبحا اليوم مأهولين بأحياء عديدة من أحياء مكة، أشهرها: حي جياد، والمصافي، وبئر بليلة. ومن جياد الكبير طريق بفرع ريع بخش، ثم ينحدر في (حُتم) فيلى بطحاء قريش فتور جنوباً. عاتق البلادي: معالم مكة التاريخية، ص ١٤.
- (٣) عباس صالح طاشكندي: الطباعة في المملكة العربية السعودية (١٣٠٠ - ١٤١٩هـ)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٣٦. انظر ملحق رقم (١٨).

والإدارة، ويقع المبنى خلف الدائرة الحكومية، أو ما يعرف بالحميدية الواقعة مقابل باب الوداع^(١) للحرم الشريف^(٢).

وذكر الشيخ أحمد زيني دحلان^(٣) في مقالة له في سالنامة ولاية الحجاز: " أن من المآثر والخيرات الجليلة، العامة الفائدة للخصوص والعموم، أنهم وضعوا مطبعة بمكة المكرمة المشرفة؛ ليطلع فيها كتب العلوم؛ ولكثرة انتشار العلم في موضع مهبط الوحي المكين فيحصل لهم بذلك ثواب نشر العلم، وتأييد قواعد الدين، وكان وضع المطبعة ... في مدة سلطنة ... عبد الحميد خان الثاني ... في مدة إمارة مكة المكرمة، والمدينة المنورة وولايتيهما ... الشريف عون باشا ... وعثمان نوري باشا وفقهما الله "^(٤).

وقد كانت هذه المطبعة عبارة عن آلة صغيرة تدار بالقدم. وفي عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م استحضرت الحكومة العثمانية من فيينا^(٥)، مكينة متوسطة ذات

(١) باب الوداع: من أبواب المسجد الحرام الغربية، ويعرف بعدة مسميات منها: باب الحزورة، وباب بني حكيم بن حزام، وباب بني الزبير ابن العوام، وباب الحزامية، أحدثت الخليفة المهدي وابنه موسى الهادي عام ١٦٩هـ، وجددت عمارته عام ٨٠٤هـ أيام السلطان فرج بن برقوق الجركسي على يد الأمير بيسق، ولا يزال هذا الباب على حاله إلى العصر الحاضر بغاية المتانة. حسين عبد الله باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ط٣، تهامة، جدة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) آمال صديق: مرجع سابق، ج٢، ص٦٧٤.

(٣) الشيخ أحمد زيني أحمد دحلان: العلامة الجليل الكبير الشهير، مفتي الشافعية، وشيخ العلماء ببلد الله الحرام. ولد بمكة المكرمة عام ١٢٣٢هـ، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم، ثم أقبل على الاشتغال بالعلوم، وقد أخذ العلوم عن كثير من العلماء، منهم الشيخ محمد سعيد قدس، والشيخ عبد الله سراج الحنفي، والشيخ علي سرور، وغيرهم. كما تفقه أيضاً في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان، وحضر درس السيد محمد الكنتي الكبير، تلميذ الطحاوي الشهير في " الدر المختار ". وكان له اليد الطولى والاطلاع التام في مذاهب الأئمة الأربعة الكرام. توفي بالمدينة المنورة عام ١٣٠٤هـ. عبد الله غازي: نظم الدرر، ص٤١١ - ٤١٣.

(٤) سالنامة ولاية الحجاز، ١٣٠٣هـ، ص١١٤.

(٥) فيينا: عاصمة النمسا، تقع على نهر الدانوب. تبلغ مساحتها (١٢١٤) كم٢، وتعد مركزاً ثقافياً واجتماعياً كبيراً، حاصرها السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ١٥٢٩م، وهدم جزءاً من أسوارها ثم تراجع عنها=

عجلة واحدة، مزودة بكمية من الحروف المختلفة؛ لكي يتسنى طباعة الكتب العربية، والتركية، والجاوية، والملاوية، والفارسية، والهندية، ثم استحضرت الحكومة بعد عدة سنوات من أوروبا آلة طباعة حجرية، وأطلق عليها "المطبعة الأميرية"^(١).

وكان الهيكل الإداري والفني لمطبعة الولاية سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م مكوناً من مدير إداري، ومدير فني، وثلاثة مساعدين، وأربعة فنيين^(٢)، وفي سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م تطور الهيكل الإداري والفني للمطبعة، إذ بلغ عدد موظفيها ٢٨ موظفاً، موزعين على النحو التالي: مدير إداري، ومدير فني، وثلاثة مصححين للكتب العربية، واثنان للكتب الجاوية، وثمانية عشر فنياً للصف والتجليد، وأربعة عمال للخدمات العامة^(٣)، وفي سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م بلغ عدد الموظفين بالمطبعة ٢٣ موظفاً، موزعين على النحو التالي: إداري واحد، وثلاثة مصححين للكتب العربية، واثنان للكتب الجاوية، وأربعة عشر فنياً للصف والتجليد، وأربعة للخدمات العامة^(٤).

ومن أبرز الأعمال التي قامت بها المطبعة ما يلي:

١ - طباعة سالنامة الحجاز.

=لدخول الشتاء ونفاد الذخيرة، استولى عليها الجيش الروسي بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م، كما احتلتها القوات الروسية والأمريكية والبريطانية والفرنسية، وتم جلاء القوات الأجنبية، تنفيذاً لمعاهدة الصلح التي أبرمتها النمسا مع الحلفاء سنة ١٩٥٥م. مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، د.ن، د.م، د.ت، ج ١١، ص ٣٨٦.

(١) عباس طاشكندي: مرجع سابق، ص ٣٧؛ محمد عبد الرحمن الشامخ: نشأة الصحافة في المملكة العربية

السعودية، ط ١، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٢-١٣.

(٢) سالنامة ولاية الحجاز، ١٣٠١هـ، ص ٨٩.

(٣) سالنامة ولاية الحجاز، ١٣٠٥هـ، ص ١٢٠-١٢١.

(٤) سالنامة ولاية الحجاز، ١٣٠٩هـ، ص ١٥٧.

٢- طباعة الأعمال الثقافية من المؤلفات الأدبية، والدينية، والتراثية، باللغات العربية، والتركية، والجاوية، والملايوية، والأردية.

٣- طباعة جريدة " حجاز " الأسبوعية.

٤- طباعة جريدة " شمس الحقيقة "، ونسختها التركية " شمس حقيقت " (١).

وقد أدت المطبعة دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الثقافية لإقليم الحجاز، إذ أصدرت عدداً كبيراً من الكتب الدينية، والثقافية، والفكرية، فضلاً دورها البارز في الترويج للكتاب المطبوع، حيث أصبح الكتاب زاداً يقتنيه الحجاج، والمعتمرين عند زيارتهم للمشاعر المقدسة، وبات سلعة رائجة في المواسم الدينية؛ مما فتح المجال لأسواق الكتب في باب السلام (٢)، حتى أصبحت من أكبر الأسواق رواجاً في مكة المكرمة (٣).

وقد ظلت المطبعة الأميرية تؤدي دورها التنويري حتى العهد الهاشمي، ومع دخول الملك عبد العزيز - رحمه الله - مكة المكرمة في عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، أعلن تغيير مسماتها إلى " مطبعة أم القرى "، وكلفها بإصدار صحيفة " أم القرى " الحكومية الرسمية (٤).

(١) عباس طاشكندي: مرجع سابق، ص ٤٢؛ محمد الشامخ: مرجع سابق، ص ١٥، ١٧.

(٢) باب السلام: وهو من أبواب المسجد الحرام الشرقية، ويعرف قديماً بباب بني شيبه، كما كان يقال له باب بني عبد شمس. وهو من الأبواب التي أحثها الخليفة المهدي في عمارته للمسجد الحرام، وجددت عمارته في عهد

السلطان سليمان بن سليم خان. حسين باسلامة: مصدر سابق، ص ١١٣-١١٤.

(٣) عباس طاشكندي: مرجع سابق، ص ٧٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٨، ٨٠.

٢- الحميدية^(١):

وهي تعني دار الحكومة، وسميت بذلك نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني^(٢)، وتم بناؤها في عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م، على يد الوالي عثمان نوري باشا^(٣)، لتكون مقراً لحكم الولاية الذين يعينون من قبل الدولة العثمانية^(٤).

وكان مبنى الحميدية مجمعاً للدوائر الحكومية، الدور العلوي منه كان مقراً لمجلس الشورى، بينما خصص الدور الأرضي منه لإدارة الأمن العام، والمحكمة المستعجلة، وكتابة العدل، وغيرها من دوائر الحكومة^(٥)، كما كان للمبنى أربعة أبواب^(٦)، الباب الشرقي وقد كان مكتوباً عليه:

دار حوت لسعد سلطاننا	عبد الحميد كل حسن وطيب
أشادها بحى أم القرى	عثمان والينا بشكل عجيب
بشرى لنا قد جاء تاريخها	نصر من الله وفتح قريب

(١) الحميدية: كانت تسمى الحميدية، وبنها السلطان عبد الحميد، لتكون مدرسة لطلبة العلم، وصرف عليها أموالاً طائلة، ولكنه توفي قبل أن يكتمل بنائها، ثم أمر السلطان عبد الحميد بدمها وإعادة بنائها لتكون مقراً للحكومة. أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٠٩. انظر ملحق رقم (١٦).

(٢) سالنامه ولاية الحجاز، ١٣٠٣هـ، ص ١٢٩؛ محمد المكي: مصدر سابق، ص ٢٣؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٧؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٥٧؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٠٢.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٠٩؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠١. يشير مغربي إلى بناء الحميدية كان في سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م. محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ١٢٩.

(٤) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٠٢.

(٥) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ١٣٠.

(٦) ذكر أحمد زيني أحمد دحلان: إن مبنى الحميدية له بابان، باباً شامياً مقابلاً للمسجد الحرام، وباباً يمانياً مقابلاً لشعب حياض. سالنامه ولاية الحجاز، ١٣٠٣هـ، ص ١٢٩.

وكتب على الباب الغربي:

دار سلطان الورى عبد الحميد
شادها عثمان والينا الذي
أزخ المجد ونادى في العلا
قد بدت كالبدنر في البيت الأمين
توَّج الأحكام بالعدل المبين
أدخلوها بسلام آمنين

بينما كتب على الباب الجنوبي المتوسط عبارة باللغة التركية: (دائرة حكومت
سنية).

أما الباب الجنوبي فقد كتب عليه سطر بالخط الثلث الجميل -على شكل دائرة -
عبارة (دائرة فرقة عسكرية) (١).

وقد كان مبنى الحميدية، مجاورا للتكية المصرية (٢)، مقابل المسجد الحرام (٣)، وكان
من أجمل المباني منظراً، وأحسنها عمارة، وقد أُزيل في التوسعة السعودية الأولى للمسجد
الحرام (٤).

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) التكية المصرية: التكية: مكان يطبخ فيه الطعام ويقدم للفقراء. وأنشأها محمد علي باشا مؤسس الأسرة
الخدوية سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م. وتقع التكية المصرية في شعب جباد، في الجنوب الشرقي من المسجد
الحرام. عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ١، ص ٢٦٦، ج ٢، ص ٦٣٢؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١،
ص ١٨٥-١٨٦.

(٣) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٣١؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٩؛ محمد
مغربي: أعلام الحجاز: ج ٣، ص ١٣٠.

(٤) محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٠٢؛ محمد مغربي: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٣٠. كانت التوسعة
السعودية الأولى في عهد الملك سعود بن عبد العزيز في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م. عبد الملك بن دهيش:
حدود الصفا والمروة، ط ١، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ١٧.

٣- قلعة أجياد:

عمّرت قلعة (١) أجياد في عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، على يد الوالي عثمان نوري باشا، وقد بنى في هذه القلعة بيتاً للطبجية (٢) في رحبة أجياد (٣)، وكانت هذه القلعة عامرة بالجنود الأتراك في عهد العثمانيين، وظلت تلك القلعة موجودة وقائمة في العهد السعودي، ثم تحولت إلى مقر لوزارة للمالية، ثم هدمت بعد ذلك في توسعة الشوارع (٤).

٤- قشلة جرول "المسافر خانة":

بنيت قشلة (٥) جرول في عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، وتم الاحتفال بافتتاحها في يوم ١٥ ذي الحجة من العام نفسه (٦). كما يؤكد إبراهيم رفعت باشا، بقوله: " وفي يوم الخميس ١٥ ذي الحجة احتفل بفتح المضييفة " المسافر خانة " التي شيدها جلالة السلطان عبدالحميد - من ماله الخاص - لفقراء الحجاج، وقد تم بناؤها في فضاء واسع، جنوبي غرب مكة، وقد حضرتُ ... الاحتفال ... ودخلتُ المضييفة وتفقدتها، فإذا هي بناء فخم محكم البناء، جميل النظام، يحتوي على طبقتين مسقوفتين بالحديد، الذي يتخلله عقود بالأجر الأحمر الإفرنكي، والبياض متقن جداً في نعومته، وهو من المواد

-
- (١) القلعة: هي الحصن المنيع المبني على مكان مرتفع. أحمد مختار: مرجع سابق، ج٣، ص ١٨٥١.
- (٢) الطبجي: المدفعي الذي يقوم بإطلاق قذائف المدفع. محمود شوكت: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية من بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، ترجمة: يوسف نعيمة ومحمود عامر، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٤٣-٤٥، ١٠٤-١٠٥.
- (٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢١٢؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٢، ص ٦٣٥، ج٥، ص ٢٧٣؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج٥، ص ٢٠٤؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص ١٢٩. انظر ملحق رقم (١٩).
- (٤) محمد الكردي: مرجع سابق، ج٥، ص ٢٠٤.
- (٥) القشلة: المكان الخاص بسكن الجنود، ولا يصلح للمحاربة. محمد الكردي: مرجع سابق، ج٥، ص ٢٠٣.
- (٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٣؛ محمد المكّي: مصدر سابق، ص ٢٣ - ٢٤؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٣٣؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج٥، ص ٢٠٣. انظر ملحق رقم (٢٠).

العادية، ومسحوق الرخام، والأرض مرصوفة بالبلاط، والجهتان البحرية والشرقية تم بناؤهما وبياضتهما، ورصّف أرضيهما، أما الجهتان الأخرى فلم يتم تخصيصهما وتبليطهما، وللمضييفة فناء واسع كانت به حفر كثيرة خلفتها الأتربة التي أخذت للبناء، وطول ضلع البحرية من هذه السراي ١٥٠ متراً، في منتصفها الباب العام، بعلوه "الآرمة"^(١) العثمانية المذهّبة، وضلعها الشرقية ٩٠ متراً بالتقريب، والقبلي مثل البحري، والغربي كالشرقي، وجميع أبوابها ومنافذها مصنوعة من الخشب المتين الذي طلي بطلاء جوزي، ومفاصل الأبواب والمنافذ ومقابضها وزواياها مصنوعة من النحاس صنفاً متقناً، وبيوت الخلاء بعيدة عن مباني الحجرات حتى لا تؤثر في الجدران بالترشيح، ولا تشم روائحها الكريهة ... وقد بلغني أن جلالة السلطان أنفق على إقامتها ٩٠,٠٠٠ جنية مجيدي "^(٢).

٥- كركول الصفا:

أنشئ كركول^(٣) الصفا^(٤) في عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م. وقد أَرَّح الشاعر حسن وفا هذه المناسبة في شعره حيث قال:

أشاد الوزير الشهم عثمان في الصفا قراغول بالحسن البديع تفرداً
فأضحى به التاريخ زاه وباسمها فيا حسن أنشا الوزير وشيِّدا^(٥)

(١) الآرمة: وتعني الدليل أو العلامة. أحمد مختار: مرجع سابق، ج ١، ص ٨٦.

(٢) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٥٤-٥٦.

(٣) كركول: أو قراغول. هي كلمة تركية تعني قسم البوليس. محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ١٢٩.

(٤) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣. انظر ملحق رقم (١٧).

(٥) بيت المال: مصدر سابق، ص ٢١٠-٢١١؛ محمد مغربي: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٢٩.

وظل ذلك الكركول في العهد السعودي، ثم أزيل في التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام^(١).

٦- إصلاح وترميم العيون:

أ- عين الوزيرية:

كانت مدينة جدة تعاني من أزمة كبيرة بسبب نقص توفر المياه^(٢)، فعزم الشريف عون الرفيق والوالي عثمان نوري باشا إلى جدة من أجل عمارة عين فيها، وكان ذلك في ربيع الأول سنة ١٣٠٢هـ / يناير ١٨٨٥م، ولتعمير العين اقترح الشريف دفع إعانة؛ لإتمام المشروع، فدفعت أمير مكة، والوالي، وجميع المأمورين، إعانة راتب شهر من رواتبهم، كما طلب من تجار جدة المساهمة، ودفعت إعانة؛ لإتمام المشروع، وتم اختيار الشريف حسين بن يحيى^(٣) وكيلاً على عمارة عين الوزيرية^(٤).

وبعد توفير المال المطلوب، بدأ العمل في تنفيذ المشروع، حيث تم عمل مجاري تحت الأرض؛ لإيصال ماء عين الرغامى^(٥) إلى جدة، فأوصلت الماء إلى حوض كبير كمخزن بخارج البلد، ومنه تتوزع المياه -بواسطة مواسير متفرقة- إلى داخل البلد على سبعة أحواض بخنفيات كافية لشرب أهالي جدة، وتم الاستغناء عن مياه الصهاريج^(٦) التي كان

(١) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص١٢٩.

(٢) محمد الكردي: مرجع سابق، ج٦، ص٣٢٤.

(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص٢٢٣.

(٥) الرغامى: هي تلك الأرض الرملية التي تدعها يميناك وأنت خارج من جدة إلى مكة يسيل فيها من الشرق وادي عُليل. وصارت اليوم جزءاً من مدينة جدة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤، ص٦٩٩.

(٦) الصهاريج: مفرداها صهريج وهو حوض كبير يجتمع فيه الماء. أحمد مختار: مرجع سابق، ج٢، ص١٣٢٨.

أهل جدة يعتمدون عليها، هذا على الرغم من شكوى أصحاب الصهاريج للباب العالي، حيث طالبوا بتعطيل تلك العين لمنفعتهم^(١)؛ لأنهم يبيعون مياه صهاريجهم على الحجاج بأثمان باهظة^(٢).

واستمرت هذه العين جارية في جدة إلى آخر سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ثم حصل فيها خراب، فقامت بلدية جدة بإصلاحها، وإيصال العين إلى البلدة سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، حتى وصلت المياه من الرغامة إلى السبيل^(٣) قرب جدة، ثم إلى بقية البازانات^(٤)، لكن تلك العين لم تكن تكفي حاجة جدة من مياه الشرب، فكان الناس يعتمدون على مياه الآبار والصهاريج، حتى جاءت عين العزيزية^(٥) فاستغنى عن كل ذلك^(٦).

وقد عرفت هذه العين بالوزيرية؛ نسبة إلى الوزير عثمان نوري باشا^(٧)، كما عرفت أيضاً بعين الحميدية؛ لظهورها في عصر السلطان عبد الحميد الثاني^(٨).

(١) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٠٤.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٦، ص ٣٩٧؛ محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨.

(٣) السبيل: هو مكان قريب من جدة بينهما نحو ساعتين أو أقل سيراً بالقدم، ويطلق عليه القبة، كما يطلق عليه رأس القائم. محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٢٧.

(٤) البازان: بئر في الأرض قاعه مجرى العين وينزل إليه بدرج، وقد يكون عميقاً وقد يكون قريب الغور حسب بعد القناة عن سطح الأرض أو قربها وهذه البئر تعمل ليستسقي منها الناس. إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٢.

(٥) عين العزيزية: تنسب إلى جالبها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله، حيث أمر في عام ١٣٦٧هـ بجلب الماء من العيون القريبة من جدة لتوصيلها إلى داخل البلدة، وتم وصول مياه هذه العين في عام ١٣٦٨هـ، وأقيم احتفال بذلك. محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٢٨.

(٦) المرجع نفسه، والجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) المرجع نفسه، والجزء نفسه، ص ٣٠٣.

(٨) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٦، ص ٤١٨؛ محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٠٤.

ب- عين زبيدة:

قام الوالي عثمان نوري باشا بتأسيس لجنة للنظر بمصالح عين زبيدة، وتعميرها كلما تعرضت للخراب^(١)، كما قام بإصلاح مجرى العين، وعمل فيها صنايعر "بازانات"^(٢).

وفي عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م، قام آقا باشا -رئيس العساكر النظامية- بتسليك عين زبيدة من بازان أجياد، وكان مراده من ذلك، أن يوصلها إلى مقر الجنود بأجياد، فأمر العساكر بإزالة الرمال القادمة مع السيول، وتم جلب الشغالين والعمال، كما تبرع الباشا بمبلغ ٤٠٠ جنية مجيديا لصالح المشروع^(٣).

وفي عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م كان جريان عين زبيدة يزيد تارة وينقص تارة أخرى، وكان ذلك بسبب قلة الأمطار، فأمر الشريف عون الرفيق بترميم العين، وإخراج إعانة لذلك، كما عين السيد سلطان الداغستاني^(٤) ناظراً على العين. ثم خرجوا، وبجثوا، وتقدموا في دبل العين نحو أربعة عشر ذراعاً، وحصل من عملهم ذلك بعض الفائدة، أياماً قلائل^(٥).

(١) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٦؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٤.

(٤) سلطان بن هاشم بن سلطان بن محمد بن سلطان بن محمد طاهر بن درويش الداغستاني الشافعي المكي. ولد بمكة المشرفة في ١٧ رجب سنة ١٢٥٦هـ، ونشأ بها، وجدّ واجتهد في الطب حتى برع في سائر العلوم، لازم السيد أحمد دحلان، والشيخ محمد بسيوني وغيرهم، وتصدر للتدريس، فدرّس بالمسجد الحرام، وتلقى عنه كثير من الأفاضل. كان ذكياً فهِيماً، محققاً مدققاً، وكان الشريف عون الرفيق قَرِيباً وأدناه وأقامه ناظراً على عين زبيدة، ولما تولى الشريف عليّ أيّده أيضاً، ومكث فيها إلى أن مات بمكة في ثمانية عشر شوال سنة ١٣٢٦، ودفن بالمعلاة. عبد الستار الدهلوي: فيض الملك، ج ١، ص ٤٣٨-٤٣٩.

(٥) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤١، ج ٦، ص ٣٨٥؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٨٥-٣٨٦.

ج- عيون وادي الطرفاء^(١):

قام الشريف عون الرفيق بتعمير عدد من العيون بوادي الطرفاء، وبلغ عدد تلك العيون إحدى وعشرون عيناً، كان أكبرها، وأكثرها غزارة بالماء، عين الدخان^(٢)، وعين القشاشية^(٣)، بالإضافة إلى العيون الأخرى وهي الفايحة^(٤)، وأبو حصاني^(٥)،

والخلص^(٦).

-
- (١) عيون الطرفاء: هي عيون تقع في الزبارة قرب الريان، فيها قرية للأشراف المناعمة. وتبعد الزبارة ٢٨ كيلاً شمالاً عن مكة المكرمة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٥ ص ١٠٥٩، ج ١٠ ص ١٩١٣.
- (٢) الدخان: عين في مر الظهران فوق خيف الرواجحة، كانت ضعيفة ثم انقطعت. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٦١٢.
- (٣) القشاشية: عين بمر الظهران أجرى ماؤها إلى مكة، وقد كانت عيناً للأشراف، على بعد ثلاثين كيلاً شمال مكة في وادي الزبارة، وقد مدت إلى أسفل مكة، وهي من أقوى عيون مر الظهران، وتسقي جميع أحياء مكة الغربية. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٢٣١.
- (٤) الفايحة: عين في مر الظهران أسفل من القشاشية. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٧ ص ١٢٩٥.
- (٥) أبو حصاني: عين في حلق وادي مر الظهران، بين خيف الرواجحة والقشاشية، عندها ضربت أنابيب ضخمة في جوف الأرض في السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري، وعندما امتصت الماء من باطن الأرض توقفت جميع عيون مر الظهران الواقعة أسفل الوادي، وعددها ٢١ عيناً تقريباً. عاتق البلادي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٧٣.
- (٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٠؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٦، ص ١٩٧-١٩٨؛ شرف بن عبد المحسن البركاتي: الرحلة اليمانية للشريف حسين بن علي، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٧م، ص ١٤٠-١٤١. الخالص: عين بمر الظهران بين أبي حصاني وعين شمس، وقد انقطعت بعد مشروع أبو حصاني. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٣، ص ٥٦٣.

ثانياً: الأوضاع الصحية:

عانت ولاية الحجاز من سوء الأوضاع الصحية^(١)، خاصةً وأنها تحتضن على أراضيها الأماكن المقدسة للمسلمين، حيث يتوافد عليها آلاف الحجاج من مختلف أقطار العالم. وبالرغم من محاولات الدولة العثمانية في إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل الصحية، والتصدي المستمر للأمراض والأوبئة، إلا أن تلك الجهود صادفتها العديد من العوائق، مثل نقص المخصصات المالية، وضعف البنية التحتية في الحجاز، إضافة إلى تعدد ثقافات وعادات الحجاج، وضعف القدرات المادية للكثير منهم، وكذلك اجتماع الحجاج بأعداد كبيرة في زمان ومكان محددين، مع ضعف سيطرة ورقابة الدولة، فأدى كل ذلك إلى عدم تحقيق أهداف الدولة العثمانية في المجال الصحي بإقليم الحجاز^(٢).

والواقع أن الإدارة العثمانية لا تتحمل مسؤولية تردي الأوضاع الصحية، وانتشار الأوبئة في الحجاز - آنذاك - لأن تلك الأوبئة كان مصدرها، أفواج الحجاج الذين يفدون إلى البلاد - من شتى أصقاع الأرض - حاملين معهم العديد من الأمراض والأوبئة، ولم يكن للدولة العثمانية أي سلطان عليهم^(٣).

الجهود المبذولة في المجال الصحي في ولاية الحجاز.

أدركت الحكومة العثمانية ضرورة الاهتمام بالوضع الصحي في الحجاز؛ نظراً لطبيعة، ومكانة الولاية، التي تحتضن الأماكن المقدسة، ويتوافد عليها الحجاج من مختلف

(١) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ٣١٢.

(٢) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٤٢.

(٣) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٥٢؛ AL-Amr, OP.CIT, P. 44.

أنحاء العالم، إضافةً إلى حرص إسطنبول على عدم إعطاء الذريعة للدول الأوروبية من اتخاذ الوضع الصحي في الحجاز سبيلاً للتدخل في شؤون الحج^(١).

وبذلت الدولة جهوداً كبيرة، من أجل تحسين مستوى الخدمات والأوضاع الصحية في مختلف مدن البلاد، كان من أبرز تلك الجهود ما يلي:

في مكة المكرمة:

أ- الإدارة الصحية بمكة: تشكلت هذه الإدارة عام ١٣١٢هـ/١٨٩٥م كأول إدارة صحية بالحجاز، وكانت تابعة لمجلس صحة إسطنبول، ولها مخصصات من وزارة المالية^(٢)، وتشكلت اللجنة الصحية في مكة من: مدير وستة أطباء في موسم الحج، ورئيس للصيادلة، وصيديلين يعملان خلال موسم الحج، وثلاثة من موظفي الأمن الصحي، وكاتبين وأمين خزانة ورئيس حراس وأربعة وعشرين حارساً دائماً، واثنى عشر حارساً مؤقتاً، وكانت مهمتهم القيام بعملية التبخير، كما كان هناك ثمانية من المسعفين يعملون في موسم الحج^(٣).

وحددت مهام الإدارة الصحية بمكة في القيام بما يلي:

- الكشف عن المرضى، وعلاجهم مجاناً.

- العمل على منع وقوع الازدحام في موسم الحج.

(١) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ١١٢؛ جولدن صاري يلدز: الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥-١٩١٤)، ترجمة: عبد الرزاق بركات، مراجعة: مسعد الشامان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٢٤١؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٢) محمد المكي: مصدر سابق، ص ٩٠؛ جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ٢٨٠-٢٨١؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٣) جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ٢٤٢.

- الاهتمام بنظافة الشوارع، ووضع صناديق للقمامة في كل شارع.
- العناية بمساكن الحجاج، من حيث النظافة، وتوافر الشروط الصحية، كدخول الشمس والهواء إليها.
- متابعة أماكن بيع المأكولات، ومنع الضار منها، وبخاصة في موسم الحج.
- دفن الذبائح، وحماية مصادر المياه من التلوث.
- العمل على سرعة عزل المصابين بالأمراض الوبائية، وبخاصة الكوليرا، وتبخير المنازل والمواقع التي ظهرت بها^(١).

ب-المستشفيات: تم انشاء العديد من المستشفيات في مكة المكرمة، كان من أبرزها:

١- مستشفى الغرباء بمكة:

أنشئ هذا المستشفى عام ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م في عهد السلطان محمد الرابع^(٢)، ويقع في الجهة الشرقية من المسجد الحرام^(٣). وضم المستشفى -خلال العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري -طبيباً، وجراحاً، وصيدلياً، وكاتباً، ومديراً، وتميز هذا

(١) جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ٢٤٣؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٢١.

(٢) السلطان محمد الرابع: هو السلطان محمد ابن السلطان إبراهيم ، ولد عام ١٠٥١هـ / ١٦٤٢م، وهو السلطان التاسع عشر للدولة العثمانية، تولى الحكم وهو ابن سبع سنين فكانت جدته ماهبيكر المعروفة باسم كوسم سلطان تدبر أمور المملكة، غير أنها لم تستمر طويلاً، بسبب تلاعبها بالأحكام حسب الأهواء فأشار بعض رجال الدولة على السلطان بقتلها فقتلت، فسيطر على زمام الأمور، واستمر في الحكم إلى سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م، حيث ثار عليه الإنكشارية وخلعوه، وتوفي في عام ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م. أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٦٤-٦٦؛ علي الصلابي: مرجع سابق، ص ٣٠٧ - ٣٠٨؛ يوسف آصاف: مرجع سابق، ص ١٠٩-١١٤.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٤.

الطاقم بالاستقرار، حيث كان الطبيب مصطفى أفندي، والجراح جوهر أفندي، ومدير المستشفى حسيب آغا يعملون في المستشفى طيلة هذه الفترة^(١).

وفي عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م كان هناك طيبان يعملان في المستشفى^(٢)، وكان المستشفى يقدم خدمات العلاج والدواء مجاناً للفقراء والمحتاجين، ونظراً لتزايد أعداد المرضى، فقد أمر السلطان عبد الحميد بإضافة طابق ثانٍ للمستشفى^(٣)، ويصف (دولتشين) المستشفى سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، بقوله: " كانت مفروشاته جيدة نسبياً، فتحت تصرف المرضى أسرة ملائمة، ولوازم فراش نظيفة، وطعام جيد، ويلقون عناية جيدة"^(٤).

في حين وصفه رفعت باشا الذي زاره في سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، بقوله: " كان يوجد به ما يقرب من ٥٠ سريراً، وقد مررت بأقسامه، فوجدت به إهمالاً شديداً ... فالملابس والمفروشات في غاية القذار، تنبعث منها الروائح الكريهة ... وقد رأيت كثيراً من المرضى نائمين على الألواح، وقد اشتد بهم المرض، حتى صاروا هياكلاً عظمية ... وقد بلغني أنه قلما يدخل مريض فيشفى، فإذا كان ذلك شأنها، فأغلقها خير من فتحها"^(٥).

(١) سالنامه ولاية الحجاز، ١٣٠٣هـ، ص ٥٨، دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٢) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٤.

(٣) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٤) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(٥) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٥.

٢- **المستشفى العسكري:** كان في مكة المكرمة مستشفى عسكري^(١)، خاص بعلاج الجنود العثمانيين المقيمين فيها، وقد ضم كل طابور من طوابير التشكيلات العسكرية بمكة، طبيباً، وجراحاً، وصيدلياً^(٢).

٣- **المركز الصحي بأجياد:** نظراً لشدة الحاجة إلى إنشاء المستشفيات في مكة المكرمة، فقد عمل الوالي عثمان نوري باشا على إنشاء مركز أو دائرة صحية، ضمت طبيباً، وصيدلياً، وممرضاً^(٣).

٤- **مستشفى منى:** بني مستشفى منى في عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م^(٤)، وهو يتسع لأربعين سريراً، كما كان يوجد به صيدلية^(٥).

في المدينة المنورة:

١ - **مستشفى الغرباء بالمدينة المنورة:** يقع مستشفى الغرباء بالقرب من باب السلام للحرم النبوي^(٦)، ويشغل المستشفى مبنى واسعاً يتكون من ثلاثة طوابق، بسعة ثلاثين سريراً دائماً، ويعمل به طبيب وصيدلي، ويقدم الخدمات العلاجية والدوائية مجاناً^(٧)، ووصف بأنه من أحسن المستشفيات التي تقدم وسائل الراحة للمرضى^(٨).

(١) محمد المكي: مصدر سابق، ص ٩٠.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٣، ص ٦٣.

(٣) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٤) محمد المكي: مصدر سابق، ص ٢٣؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٠٣.

(٥) محمد المكي: مصدر سابق، ص ٢٣.

(٦) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص ١٧٥.

(٧) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ٢١٤.

(٨) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٣ هـ، ص ١٧٥.

٢- المستشفى العسكري بالمدينة المنورة: ذكر أحمد دحلان في مقالة له في

سالنامة ولاية الحجاز وجود مستشفى للجنود، ويتخذة أطباء العسكر النظامية مقراً لهم^(١).

في جدة:

١- مستشفى جدة العام: لم يكن بجدة حتى عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م سوى

مستشفى عاما واحدا، يضم طبيباً أول ونائباً له، وأربعة ممرضين، وصيدلياً، ومندوباً لميناء جدة^(٢).

٢- المستشفى العسكري: في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م أنشئ في جدة مستشفى

عسكري، وكانت سعة هذا المستشفى مائة سرير، أما عدد العاملين في هذا المستشفى من الأطباء حتى عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، فكان ثلاثة أطباء، وكان العلاج في هذا المستشفى يقدم للمرضى الفقراء مجاناً، بأمر من السلطان عبد الحميد^(٣).

وفي عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م أنشئ في جدة مستشفى آخر، كان يعمل به، طبيبان، وثلاثة ممرضين، واثنان من الصيادلة. وضم المحجر الصحي في جدة، من ذوي المهن الطبية وغيرهم حتى سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، كلا من رئيس الهيئة الطبية، وطبيب وأمين صندوق إدارة المحجر الصحي، وكاتب تركي، وكاتب عربي، وكاتب أجنبي، ورئيس حرس وموظف للنظافة، وكاتب إدارة التحفظ، ومساعد لكاتب إدارة التحفظ، وفي عام

(١) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٣ هـ، ص ١٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨؛ صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٥٢.

١٣٠٦هـ/١٨٨٨م لم يكن يوجد فيه سوى موظف النظافة، وكاتب إدارة التحفظ، ومساعدته^(١).

في الطائف:

١- المستشفى العسكري: لم يكن في الطائف سوى مستشفى عسكرياً، بني لعلاج الجنود والمرضى^(٢)، إلا أن الإدارة العثمانية قامت بنقله إلى مكة في سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وتركت الطائف دون مستشفى^(٣).

الأمراض والأوبئة في الحجاز:

انتشرت في ولاية الحجاز - خلال الفترة الزمنية قيد البحث - بعض الأمراض والأوبئة، مثل:

١ - الكوليرا^(٤):

ظهرت الكوليرا في الحجاز للمرة الأولى في عام ١٢٤٦هـ/١٨٣١م ولم يعرفها الناس قبل تلك السنة^(٥)، وتسببت في وفاة ما يزيد عن عشرة آلاف شخص. وتوالى ظهور وباء الكوليرا في الحجاز في السنوات اللاحقة^(٦).

(١) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٢) محمد المكي: مصدر سابق، ص ٩١.

(٣) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٢٦.

(٤) الكوليرا: هي عدوى معوية حادة، تنشأ بسبب تناول طعام أو ماء ملوث ببكتريا الضمة الكوليرية، وتنتج ذيفاناً معوياً، يؤدي إلى حدوث إسهال مائي غزير غير مؤلم، يمكن أن يفضي إلى جفاف شديد، وإلى الوفاة إذا لم يعط العلاج فوراً. سلوى سعد الغالي: وباء الكوليرا في الحجاز حج عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م من خلال تقرير القنصلية البريطانية في جدة، مجلة الدارة، ع ٤، س ٣٨، شوال، ١٤٣٣هـ، ص ٢١٣.

(٥) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٩؛ جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٦) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٤٤.

ففي ١٥ ذي الحجة من عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، ظهر وباء الكوليرا، ولكن لم يصب به غير عدد قليل من الحجاج^(١). أما وباء عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، فظهر في ثاني أيام منى^(٢)، وكان الجنود الأتراك من أوائل الذين أصابتهم الكوليرا^(٣)، واستمر الوباء لمدة ستة أيام، وكان تأثيره ضعيفا^(٤).

وفي عام ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م^(٥) ظهر وباء الكوليرا في ثالث أيام منى، واضطر جميع الحجاج والأهالي إلى النزول من منى، وكثر عدد الأموات في الحجاج والأهالي، فأمر الشريف عون الرفيق بتسفير المحامل والحجاج في غير أوانها، واستمر هذا الوباء إلى آخر شهر ذي الحجة، وقدر عدد من مات من الحجاج وغيرهم في مكة، بحوالي ٤٠٠٠ شخصا، كما انتقل ذلك الوباء إلى المدينة المنورة، ومات ثلاثة من أهلها^(٦).

وفي العام التالي، ظهر وباء الكوليرا في ثاني أيام العيد في منى، وفي غضون ساعتين نقل إلى القسم الصحي خمسة حجاج ظهرت عليهم كل أعراض الكوليرا، وبعد ظهر اليوم نفسه أعلن عن ظهور الكوليرا في منى، ومات من الحجاج خلق كثير، بينما كانت نسبة الوفاة بين الأهالي قليلة، وانقطع ذلك الوباء بعد عشرة أيام من حدوثه. ووفقاً لتقارير لجنة الحج فإن الكوليرا حملت من الهند^(٧).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٦؛ سلوى الغالي: وباء الكوليرا في الحجاز، ص ٢٣٧.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢١٦.

(٥) محمد أمين: موسم حج سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م من خلال تقرير دبلوماسي فرنسي، مجلة الدارة، س ٣٨، ٤٤، شوال، ١٤٣٣هـ، ص ١٦٠.

(٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٣؛ جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ١٤٣.

ويعد وباء الكوليرا الذي انتشر في عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م من أكبر وأشد الأوبئة التي ظهرت في تاريخ الحجاز، حيث مات منه خلق كثير، يعدون بالآلاف. وشكلت الكوليرا - آنذاك - رعباً خاصاً للحجاج، وبالرغم من الإجراءات الصحية العثمانية، المتمثلة في تخصيص مبالغ مالية لتطبيق التدابير الصحية مثل النظافة، وعدم الازدحام، وإنشاء مستشفيات مؤقتة، ومنع دخول الحيوانات، وإرسال آلة لتبخير الملابس، إلا أن ذلك كله لم يمنع الوباء من الانتشار الواسع في الحجاز، ومما زاد الأمر سوءاً، وفاة بعض مغسلي الموتى، وفرار البقية؛ خوفاً من المرض الذي أودى بحياة قائد الفرقة العسكرية في الحجاز وبعض من جنوده، إضافة إلى اثنين من أطباء الصحة؛ بسبب الجهود التي بذلوها في دفن الجيف في الحفر الخاصة بهم. وفي العام نفسه لم يكمل الحجاج مناسكهم، حيث غادروا منى في أول أيام النحر، بعد أن بلغت الوفيات أوجها، فقد كانت منى مكاناً خصباً لانتشار الكوليرا بسبب نحر الهدي بعشوائية، وانتشار الجيف، وقلة النظافة^(١).

وقدر ضحايا كوليرا ذلك العام بنحو ٤٠,٠٠٠ شخص^(٢)، ومما ساعد على زيادة أعداد الضحايا، تزامن الحج مع يوم الجمعة، وهو ما يعرف بالحج الأكبر^(٣)، حيث يزيد عدد الحجاج فيه، وتراوحت أعدادهم ما بين ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٣٠٠,٠٠٠ حاج^(٤).

وأدركت الحكومة العثمانية مدى تردي الأوضاع الصحية في الحجاز، وخشيت من تدخل الدول الأوروبية في شؤون الحجاز، فأرسلت عساف باشا، ومعه ٤٠,٠٠٠ ليرة تركية و ١٥٠ من الموظفين لبناء مستشفيات في مكة المكرمة، وجدة^(٥)، كما تم إرسال

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦١؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ١٠٧؛ جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦١؛ عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ٣١١.

(٤) جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ١٥١.

(٥) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

بعثة طبية خاصة من إسطنبول لمعرفة الأحوال الصحية في الحجاز^(١)، وعندما فحص أطباء من الجيش العثماني، والبحرية العثمانية الوضع الصحي بمكة المكرمة، اقترحوا حظر شرب ماء زمزم، لأنه تلوث بالوباء، وأصبح مصدرًا من مصادر المرض، كما اقترحوا تركيب مكنتين لتطهير ممتلكات وملابس الحجاج. وقد أيد القناصل الأوروبيون هذه الاقتراحات بقوة، غير أن الشريف عون الرفيق رفض الاقتراح الأول، ووافق فقط على تركيب مكنتي تطهير في جدة، ومكة المكرمة، حيث تم استخدامها في مكافحة وباء الكوليرا - البسيط نسبياً - عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م^(٢).

واستمر ظهور وباء الكوليرا في الحجاز، ففي عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م توفي ٤٠٠٠ شخصاً^(٣)، كان من بينهم الحجاج الهنود، وبعد انتهاء موسم الحج، أمر الشريف عون الرفيق بتسفير المصابين، فلما خرجوا عن مكة انقطع عنها ذلك الوباء^(٤).

٢ - الطاعون^(٥):

ظهر الطاعون في جدة عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م^(٦)، بسبب بعض الحجاج المصابين به، والقادمين من الهند، فاضطرت الإدارة المحلية لنقل أكثر من ألفي حاج من جدة إلى المحاجر الصحية، وتأمين إعاشتهم بما لمدة شهر، بهدف محاصرة هذا المرض، والقضاء عليه. وبالرغم من نجاح تلك الجهود في القضاء على ذلك المرض آنذاك - من وجهة نظر

(١) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٥؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٩.

(٣) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٢٨؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٥) الطاعون: هو مرض يصيب الإنسان وبعض أنواع الحيوان، وهو على ثلاثة أنواع، طاعون تسممي، ورتوي، ودمللي، ويتميز بحمى مرتفعة تنتهي بالهلاك غالباً، ويصيب الأشخاص سواء أكانوا صغاراً أم كباراً. محمد عبد الحميد بك: الأمراض المعدية، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، ص ١٤٣.

(٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٩؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ١١١.

الدولة العثمانية - إلا أن قناصل الدول الأوروبية في جدة أعربوا عن عدم رضاهم بما يتم من عمل، بهدف إظهار عجز العثمانيين عن الوفاء بالمتطلبات الصحية للحجاج^(١).

٣- أبو الركب^(٢):

يعد مرض أبو الركب من أكثر الأمراض انتشاراً في زمن الصيف^(٣)، وقد أصيب بهذا المرض، الشريف عون الرفيق نفسه، وكان ذلك في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م، كما أصيب به الوالي حسن حلمي^(٤) باشا في نفس السنة^(٥).

٤- أمراض العين:

انتشرت في ولاية الحجاز أمراض العين^(٦)، والرمد، والعمى، وقد أصيب كثير من السكان والعربان بتلك الأمراض، الذين كانوا بحاجة إلى إجراء عمليات جراحية، إلا أنه لم يكن يوجد في ولاية الحجاز طبيب مختص في تلك الأمراض، فعرض الشريف عون الرفيق على السلطان عبد الحميد، تعيين كاظم أفندي - وهو أحد أطباء الدائرة الذين

(١) جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ٢٥٩-٢٦٣؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) أبو الركب: سمي هذا المرض بذلك الاسم؛ لأنه يصيب المريض بآلام حادة تبدأ من الركب، وأعصاب الرجلين، ثم يصاب الجسم كله بحمى شديدة، وألم في جميع مفاصله، فلا يستطيع المصاب القيام أو الحركة. ويستمر ذلك لمدة ثلاث أيام، حيث تزول الحمى، ويبقى الضعف والإنهاك في الجسم مدة، ثم يزول المرض، ولا يتسبب ذلك المرض في حدوث الوفاة للمريض المصاب به. أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٥ - ٢٦٦؛ عبد الحكيم حكمت: المسح الطبي لولاية الحجاز "بداية سنة ١٣٠٤ رومية = ١٨٨٨م = ١٣٠٦هـ"، ترجمة وتعليق: محمود الحاج قاسم محمد، مجلة الدارة، س ٢٤، ع ٢، ١٤١٩هـ، ص ١٧٠.

(٣) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٥١.

(٤) حسن حلمي باشا: سوف نتناول الحديث عنه في الفصل الثالث. انظر صفحة (٢١٩).

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

(٦) عبد الحكيم حكمت: مرجع سابق، ص ١٧٠.

سافروا إلى باريس^(١)، وحصل على شهادة طبية رفيعة-ليتولى معالجة المصابين بتلك الأمراض، وبالفعل تم تعيين كاظم أفندي في تلك الوظيفة، مع ترقيته إلى درجة بيكباش^(٢) بالجيش^(٣).

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية:

كانت ولاية الحجاز تعد من أفقر الولايات في الدولة العثمانية^(٤)، ولم تكن موارد الولاية الاقتصادية تفي باحتياجاتها^(٥)، كما أنها لم تكن ذات أهمية من الناحية الاقتصادية بالنسبة للدولة العثمانية^(٦)؛ بل أنها كانت تدعم من قبل خزينة الدولة المركزية^(٧). حيث كانت تعد من الولايات المستهلكة بالنسبة للدولة العثمانية، نظراً لقلّة مصادر دخلها، وعائدها الاقتصادي^(٨).

(١) باريس: عاصمة فرنسا، وأحد المراكز السياسية والثقافية والاقتصادية المهمة في العالم، وهي مقر الحكومة الفرنسية والوزارات والسفارات الأجنبية، وتنسب باريس إلى قبيلة (الكلت) التي تدعى (الباريس) وكانت تسكن جزيرة لوئيس التي تتوسط نهر السين. تعرضت باريس للاحتلال الألماني النازي عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، وتم تحريرها في عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م. وتوجد في باريس جالية إسلامية كبيرة، تشكل أكبر تجمع إسلامي في فرنسا، ويوجد فيها عدد من المساجد، أشهرها: المسجد الكبير في "جوبلان" ومسجد ضاحية "بلفيل". مجموعة مؤلفين: الموسوعة الموجزة، ج ١١، ص ١٣٥.

(٢) بيكباش: رتبة عسكرية أنشئت في عهد السلطان محمود الثاني، وتطلق على الضابط الذي يرأس ثمانية أفواج، وهي تعادل رتبة رائد في الوقت الحاضر. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٥٤.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 200\68. انظر وثيقة رقم (٥) بالملاحق.

(٤) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٥٢.

(٥) أيوب صبري: مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٩.

(٦) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٧.

(٧) عبد الرؤوف سنو: مرجع سابق، ص ٨٨.

(٨) جيل جرفيه كورتلمون: رحلتي إلى مكة، تحقيق: محمد الخناش، مؤسسة التراث، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٥٣؛ AL-Amr, OP.CIT, P.82.

مصادر الدخل في ولاية الحجاز:

أولاً: الحج.

تعتبر فترة الحج موسماً سنوياً مهماً للنشاط التجاري في ولاية الحجاز، بما ينفقه الحجاج من أموال طوال مدة اقامتهم في الأماكن المقدسة، وبما يعودون به لأسرهم وأهلهم من تحف وهدايا وغيرها، ولهذا ترتفع الأسعار في موسم الحج، مما يساعد على تحقيق أرباح وفيرة للتجار^(١).

وكان الحجاج الأثرياء ينفقون الكثير من أموالهم على الفقراء، والمحتاجين، والعاملين في شؤون الحج. ولم يكن موسم الحج قاصراً على العبادة فقط؛ بل كان سوقاً كبيراً ينفد إليه الكثير من التجار من شتى البلاد، يحملون منتجات أوطانهم لبيعها، فكان أهل المغرب يجلبون معهم الطرايش الحمراء والمعاطف الصوفية، وكان الترك الأوروبيون يجلبون معهم الأحذية، والصنادل، والأدوات المعدنية، والأكياس الحريرية المزركشة، ويجلب الأتراك معهم السجاجيد، والحرير، والمناديل، وكان الفرس يجلبون الشيلان الكشميرية، والمناديل الحريرية الكبيرة، وكان الأفغان يجلبون المساويك، والسبح، والشيلان الخشنة، وكان الهنود يجلبون معهم منتجات متعددة مثل الحناء، فقد باع أحد التجار الهنود خلال أدائه فريضة الحج سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م ١٠٠,٠٠٠ كيساً من الحناء خلال شهر واحد^(٢).

وكانت تتعدد في موسم الحج الأنشطة التجارية، وتتوفر الكثير من فرص العمل، مثل تأجير البيوت، والجمال التي تنقل الحجيج. وازدهرت في مكة بعض المهن، كمهنة

(١) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٩٦.

(٢) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٨٨-١٩٠؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٤١، ج ٦،

ص ٣١٩؛ حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٩٧.

الطواف، والسقاية من بئر زمزم مقابل الأجر، وكان كثير من حراس الأماكن المقدسة يحصلون على هبات وأموال ممن يريد مشاهدة تلك الأماكن^(١).

ولم تكن التجارة فقط هي التي تنشط وتزدهر في مكة المكرمة أثناء موسم الحج، حيث ازدهرت أيضاً الكثير من الصناعات، كان من أشهرها، صناعة الأسقف الخشبية المزخرفة والمنقوشة، وصناعة الحلبي والفخار، وصناعة الجلود، وصناعة السبح^(٢). ومنعت صناعة السبح في الفترة الأخيرة لإمارة الشريف عون الرفيق؛ بسبب الشجار الذي حدث بين اثنين من صانعي السبح، حيث قتل أحدهما الآخر وهرب، فما كان من الشريف إلا أن أمر بإغلاق جميع ورش السبح، ومنع تصنيعها بمكة المكرمة، وصادر جميع الآلات التي تعمل بها، وظلت صناعة السبح ممنوعة بمكة المكرمة حتى وفاة الشريف عون الرفيق في عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م^(٣).

واعتمدت ولاية الحجاز وسكانها على الصرة العثمانية، فقد كانت الدولة العثمانية ترى أن إرسال الصرة إلى المدينتين المقدستين - مكة والمدينة - من الالتزامات والواجبات المالية المفروضة عليها، فتنفق في سبيل ذلك مالاً وفيراً، حيث كانت ترسل - سنوياً - ما مقداره ١٢,٠٠٠ أردبا من القمح لأهل مكة المكرمة، و ٨,٠٠٠ أردبا لأهل المدينة المنورة، وتصرف هذه المساعدات باسم "الرومية الجديدة"^(٤)، هذا بالإضافة إلى ما كانت ترسله بقية الولايات العثمانية، كمصر التي كانت ترسل - سنوياً - للحرمين الشريفين ٢١,٠٠٠ أردبا من القمح، ومبلغاً كبيراً من المال، وكذلك كان القطر التونسي ينفق أموالاً سنوية للحرمين، وكانت هذه الصرة ترسل سنوياً مع قافلة الحج المصري،

(١) فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ٣٦-٣٧.

(٢) عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٩٠؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٣) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٤) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ١٠٠.

إضافة إلى ما كانت ترسله الدولة العثمانية من المعونات المالية والعينية، مع قافلة الحج الشامي كل سنة^(١).

وخصصت الدولة العثمانية جزءاً من تلك المعونات المالية والعينية لأهالي مكة، من الأشراف، والعلماء، وبعض الموظفين، والمجاورين، وشيوخ القبائل، وطلاب العلم، والفقراء، والأطفال^(٢). واستمرت الحكومة العثمانية في إرسال تلك الصرة لمكة المكرمة، والمدينة المنورة، حتى أواخر عهدها في الحجاز، بالرغم من الأزمات الاقتصادية التي كانت تعصف بها في تلك الفترة^(٣).

يتضح لنا مما سبق أن موسم الحج، كان يُعد مصدراً أساسياً، ومهماً لتدفق الموارد المالية المتعددة على إقليم الحجاز، وذلك عن طريق الرواج التجاري الذي يحدث في موسم الحج، وما يقدم لأهل الحجاز - بمختلف مستوياتهم من أشراف، وقبائل، وسكان المدن - من معونات مالية من مختلف الدول الإسلامية، وبخاصة مصر والدولة العثمانية، إضافة إلى ما يقدم من مساعدات عينية، مثل القمح، وغيره، وكذلك الخدمات التي تقدم للحجاج، فساعد كل ذلك على انتعاش الوضع الاقتصادي لدى أهل الحجاز حاضرة، وبادية، وارتفع مستواهم المالي، وانعكس ذلك على ازدياد القوة الشرائية لديهم^(٤).

(١) فاطمة الشهري: مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦، ج ٢، ص ٣١١.

(٣) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٨٧.

(٤) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ١١١-١١٢.

ثانياً: الجمارك "الإيرادات الجمركية".

تعتبر رسوم الجمارك مصدر مهماً من مصادر دخل ولاية الحجاز^(١). ويعد ميناء جدة أكبر موانئ الولاية، وأكثرها حركة وثروة، حيث يكتسب أهمية بالغة في حركة التجارة العالمية في منطقة البحر الأحمر، والربط بين تجارة أوروبا، وآسيا، وإفريقيا^(٢).

ويعد ميناء ينبع البحر، الميناء الثاني في إقليم الحجاز، فهو ميناء المدينة المنورة الذي يباع فيه كل ما يلزم من بضائع، وفي موسم الحج كانت تأتي إليه القبائل للتجارة، وكانت الحكومة المصرية ترسل الغلال إلى المدينة المنورة - آنذاك - عن طريقه، كما كان هذا الميناء يستقبل حجاج بيت الله الحرام لزيارة مسجد الرسول ﷺ، وبذلك يساعد على تخفيف العبء عن ميناء جدة^(٣). إلا أن ميناء ينبع البحر لم يمثل مورداً هاماً لإقليم الحجاز؛ لأن معظم السفن تمر أولاً بميناء جدة، حيث تحصل منها الرسوم الجمركية، على حمولتها^(٤).

وكانت معظم الإيرادات الجمركية التي تحصل في ميناء جدة، تعتمد على بعض البضائع القادمة إلى إقليم الحجاز، مثل البن الذي يأتي من اليمن، والتمور والعباءات القادمة من البصرة، وشن الفيل "العاج" والسمن التي تجلب من الحبشة وسواكن، والصابون والقماش والدخان الذي يأتي من مصر^(٥). وكانت الرسوم الجمركية المقررة، تختلف من سفينة إلى أخرى، وذلك بحسب كمية ونوع البضاعة التي تحملها، وكانت

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٢) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١١٩.

(٣) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ١١٣.

(٤) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٢٧٢؛ AL-Amr, OP.CIT, P.78.

(٥) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١١٩.

قيمة الجمارك تحسب على أساس ١٠% من قيمة البضاعة. وكانت تصل - في بعض الأحيان - إلى ١٥%^(١).

ولم تقتصر الرسوم الجمركية فقط على البضائع الواردة لميناء جدة؛ وإنما كانت تحصل رسوم جمركية أيضاً على هذه البضائع في حالة إعادة تصديرها^(٢)، إلى جانب ذلك كانت هناك رسوم جمركية تحصل على العملات التي يحملها التجار، وذلك بمعدل ٢,٥%، ولذلك كان التجار - في الغالب - يخبتون أموالهم أو جانباً منها؛ حتى لا يدفعوا عليها رسوماً، وإذا ما ضبطوا فأنتهم كانوا يدفعون قيمة الرسوم مضاعفة أي ٥%^(٣).

كما فرضت رسوم على رسو السفن في الميناء، بلغت حصيلتها في عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م حوالي ٤٧١٤٠ قرشا^(٤).

وقد قدرت العائدات الجمركية المتحصلة في ميناء جدة عام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م، بمبلغ ١٧٠,٠٠٠ جنيهاً استرلينياً، بينما بلغت تلك العائدات في العام التالي ١٦٠,٠٠٠ جنيهاً استرلينياً؛ وكان ذلك بسبب قلة واردات وصادرات الميناء في ذلك العام، عنها في العام السابق^(٥).

وفي عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م بلغت العائدات الجمركية من ميناء جدة ٦٠,٠٠٠ جنيهاً استرلينياً، ويُعد هذا المبلغ، رقماً قياسيماً إذا ما قيس بدخل العشرين سنة التالية،

(١) مبارك المعدي: مرجع سابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٢١.

(٣) مبارك المعدي: مرجع سابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(٤) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(٥) مبارك المعدي: مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩.

التي بلغ مجموع عوائدها ١١٢,٠٠٠ جنيهاً إسترلينياً فقط، وذلك حتى عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م^(١).

وكانت الحكومة العثمانية تعتمد على ما تحصل عليه من عائدات الرسوم الجمركية، في سداد نفقات الإدارة في الحجاز بصفة عامة، إلى جانب المصروفات الأخرى، مثل صرف مخصصات الحرمين الشريفين، وصرف رواتب قضاة المدينة المنورة، وكانت الحكومة العثمانية تضطر لاستكمال سد العجز في عائدات الجمارك، من خزينة الدولة العثمانية، لتستوفي تلك المصروفات. وظل العائد الجمركي يقسم بين والي الحجاز، وأمير مكة المكرمة^(٢).

ثالثاً: الضرائب:

لم تفرض الدولة العثمانية أية ضرائب على ولاية الحجاز، فقد تمتع سكان الإقليم بالإعفاء من جميع الضرائب الشخصية، والعقارية، التي تفرضها الدولة^(٣)؛ وذلك نظراً لمكانته الدينية^(٤). إلا أن ذلك لم يمنع من فرض بعض الضرائب، على الخدمات التي تقدم في دوائر الولاية الحكومية^(٥)، كان من أبرزها، ما يلي:

١- ضريبة الحجر الصحي:

كانت تلك الضريبة تحصل من الحاج عند وصوله إلى ميناء جدة، فتؤخذ منه ضريبة قدرها ٨ قروش عثمانية، للحجر الصحي، وقرشان ضريبة إجازة السفر^(٦)، وهناك

(١) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٢) مبارك المعدي: مرجع سابق، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٤٥-٤٦.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٧.

(٥) حافظ وهبه: مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٦) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٦.

بعض الجنسيات كان يؤخذ منها ضريبة مرتفعة، فالجاويون -مثلاً- كان يؤخذ منهم ٤ جنيهاً؛ وذلك لغناهم وتساهلهم^(١).

٢- ضريبة أجرة الجمال.

كانت الضرائب التي تفرض على نقل الحجاج، من أهم عوائد ولاية الحجاز^(٢). ففي عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م كانت أجرة نقل الحجاج بالجمال من جدة إلى مكة المكرمة ٥٠ قرشاً، ولكن الحجاج كانوا يدفعون ١٠٠ قرشاً، خمسون منها تقسم ما بين المطوف، ومتعهد الجمال، والشريف، والخمسون الأخرى تبقى للجمال^(٣).

وفي عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م، كانت السلطات المحلية المتمثلة في الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا، يتقاضيان ٢٥% من قيمة أجرة الجمال^(٤). وفي عام ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م بلغت أجرة نقل الحجاج من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ٤٠ ريالاً مجيدياً، منها ٢١ ريالاً للجمال، و١٩ ريالاً ضرائب^(٥).

وفي سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، قد قدر إبراهيم رفعت باشا أجرة الجمل من جدة إلى مكة المكرمة بمبلغ ٦ ريالات - والريال يعادل عشرة قروش مصرية تقريباً - كان نصيب الشريف مكة منها ريالان، وأربعة قروش مصرية لحكومة الولاية، وريال لوكيل المطوف بجدة وملتعهد الجمال "المقوم". ومع ازدياد قدوم الحجاج، ارتفعت الأجرة إلى

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦.

(٢) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(٣) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٤) مبارك المعبدي: مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٥) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ١٤٢.

١٢ ريالاً، ثم وصلت إلى ٣٠ ريالاً، كان نصيب صاحب الجمل أقل من نصفها. في حين بلغت أجرة حمل الشقدف من مكة إلى المدينة، ومنها إلى ينبع البحر حوالي ٣٣ ريالاً مجيدياً، والجمل ذي الحمل (العصم) ٣٢ ريالاً، كانت توزع كالتالي: ١٢ ريالاً للشريف، وريالاً للحكومة، وريالاً ونصف للمخرج، وريالين للمطوف، وريالاً للمتعهد، والباقي -الذي يقل عن النصف -لصاحب الجمل^(١).

٣-رسوم البرق والبريد.

في عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م أنشئت إدارة البرق والبريد في جدة، وكان هيكلها الإداري يتكون من ثلاثة موظفين، وأصبحوا في عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م أربعة. وكانت الحكومة تحصل على بعض المبالغ، كرسوم على الرسائل البريدية، والبطاقات، والمجلات، والجرائد، والبرقيات^(٢).

٤-ضرائب متنوعة.

كان من أمثلة تلك الضرائب، ضريبة العشر التي فرضها الشريف عون الرفيق، على الفواكه والخضار التي تباع في أسواق مكة، وقام بإصدار الرخص (التقارير) لأعوانه، مما أدى إلى زيادة أسعار هذه السلع والبضائع^(٣).

كما كانت هناك ضرائب تفرض على ما يحصل من عقارات وإيجارات، وضرائب أخرى على الأراضي المزروعة بمياه الأمطار، مقدارها ١٠%، وأخرى على الأراضي

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

(٢) صابرة إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٨.

الزراعية المروية مقدارها ٨٪. كما فرضت أيضاً ضرائب على التجار في جدة لتطوير الميناء، وضرائب لتمويل مشروع خط حديد الحجاز، مما أدى إلى حدوث العديد من المشاكل والمصادمات بين الأهالي والإدارة المحلية. وهناك ضرائب أخرى فرضت على الصيادين والغواصين الذي يعملون في صيد اللؤلؤ، والصدف، والمحار، وضرائب على الجزارين والملاحين. وفي سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م بلغت ضريبة المحاكم القضائية في جدة ١٢,٣٤٩ قرشاً تركياً. كما كانت هناك ضريبة تفرض على المحاكم النظامية في إقليم الحجاز^(١).

وبالنسبة لضرائب العقار، والايجار، والجمال، والاغنام، والأراضي الزراعية، فقد كانت توزع على أساس ٣٥٪ للشريف، و٣٣٪ للسلطة العثمانية، وما يتبقى من حصيلة تلك الضرائب، فكان يوجه إلى أمراء المناطق، وإلى جامع الضرائب، مع العلم أن ما جمع من الضرائب في سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م كان يعتبر قليلاً نسبياً، حيث بلغ مجموعها ٥٠٠ جنيهاً إسترلينياً، ثم ارتفع إلى ١٠٠٠ جنيه في السنوات التالية^(٢).

وكانت هناك ضريبة تؤخذ من كل البائعين، على كل جمل شقذف يباع، ستة قروش مصرية، وكانت تؤخذ من البائع، إلا أن المشتري هو الذي كان يتحملها في حقيقة الأمر، حيث كان البائع يلاحظها في تقدير الثمن^(٣). حتى الحمالون لم يعفوا من تلك الضرائب -رغم بساطة أعمالهم وقلة رزقهم - حيث فرضت عليهم ضريبة مقدارها ٢٨,٢٥٠ قرشاً تركياً، وكان ذلك في سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، في مدينة جدة^(٤).

(١) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) AL-Amr, OP.CIT, P.78.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥.

(٤) AL-Amr, OP.CIT, P.78-81.

رابعاً: المساعدات الحكومية

تعد ولاية الحجاز من الولايات المستهلكة بالنسبة للدولة العثمانية، نظراً لقلّة دخلها وعائدها الاقتصادي، إلا أن قيمة هذه الولاية تتمثل في الهيبة والمكانة الدينية التي يحصل عليها السلطان العثماني، كونه حامياً للأماكن المقدسة التي توجد على أرضها، ونظراً لتلك الأهمية الدينية؛ فلم ترتبط الإعانات المالية العثمانية لإقليم الحجاز بالظروف السياسية، ووضعها العثمانيون في مكانة متميزة عن غيرها من الولايات^(١).

وكان الدعم المالي المقدم من الحكومة العثمانية للحجاز، يمثل أهم مصادر دخل الولاية، فعندما كانت ولاية الحجاز تتعرض لأزمات مالية، أو مجاعات، كان الباب العالي يسارع بإرسال المساعدات والأموال اللازمة، كما حدث في سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م، عندما سارعت إسطنبول بإرسال حوالة بريدية مقدارها ١٠٧ ألف و ٥٠٠ قرش لدعم صندوق الولاية، بسبب ضائقة مالية تعرضت لها الولاية، وفي سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م قرر مجلس الوكلاء بإسطنبول تحويل مبلغ ٣٠٠ ألف قرش نظراً لحاجة الولاية^(٢).

وبالإضافة إلى ذلك الدعم المالي، كانت هناك الكثير من المساعدات العينية المقدمة من الحكومة العثمانية، كما حدث في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م، عندما تدهورت الأوضاع الاقتصادية في إقليم الحجاز، فحصل لأهل البادية القحط والمجاعة، وارتحل كثير منهم إلى مكة والطائف؛ بسبب شدة الجوع، وازدادت تلك المعاناة بسبب انتشار الجراد، وعندما وصلت أنباء ذلك إلى السلطان عبد الحميد، أرسل لهم بعض المساعدات الغذائية، كما أمر السلطان والي مصر بإرسال مساعدات عاجلة إلى الحجاز^(٣).

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٢٧٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٤.

وفي عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م، تعرضت ولاية الحجاز لعجز في المال والغذاء، فزودت الحكومة العثمانية الولاية بما يزيد عن ٤,٠٠٠,٠٠٠ أوقية من القمح، و ٢,٠٠٠,٠٠٠ أوقية من الشعير، تم إرسالها من سوريا والعراق (١).

(١) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٢٢.

الفصل الثالث

علاقة الشريف عون الرفيق

بولاية الدولة العثمانية في الحجاز

المبحث الأول

علاقة الشريف عون الرفيق

بولاية الدولة العثمانية في الفترة

(١٢٩٩-١٣١٠هـ/١٨٨٢-١٨٩٢م)

أولاً: الوالي عثمان نوري باشا "الفترة الأولى" (١٢٩٩-١٣٠٤هـ/١٨٨٢-١٨٨٦م)

هو ابن قائد البحرية أحمد شكري بك. تخرج من المدرسة الحربية عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م برتبة أركان حرب^(١). ثم عين قائداً للحجاز برتبة فريق عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م^(٢)، ثم والياً على ولاية الحجاز وشيخاً للحرم الشريف عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م^(٣). منح رتبة المشيرية^(٤) عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م^(٥)، تقديراً للخدمات التي قدمها في الحجاز^(٦).

ومن الأعمال التي قام بها الوالي عثمان نوري باشا في ولايته الأولى: بناء المطبعة الأميرية "أي مطبعة الحكومة" في أجياد، وبناء دار الحميدية "دار الحكومة" نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني؛ لتكون مقراً لولاية الحجاز الذين يعينون من قبل الدولة العثمانية، كما بنى أيضاً داراً للتلغراف بجوار المسجد الحرام، كما بنى قشلة أجياد وقد جعلها مقراً لجنود المدافع، وبنى أيضاً مستشفى بمنى، وبازاناً للماء بمسجد الخيف^(٧)، وهو

(١) سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ١٣٣.

(٢) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ١٧.

(٣) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص ٥٣، ٦١؛ أحمد الحضراوي: المصدر سابق، ج ٢، ق ١٧؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٢؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٢٦-١٢٧؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٣٦.

(٤) المشيرية: كان لقباً من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات لقباً عسكرياً كما هو مستخدم الآن في العالم العربي، وهو أعلى رتبة عسكرية. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٠٩.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢١٨.

(٦) سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ١٣٣. انظر ملحق رقم (١٤).

(٧) مسجد الخيف: هو مسجد منى، له تاريخ طويل وفضله مشهور، يقع بسفح جبل الصابح من داخل منى، تصلّى فيه صلاة عيد الأضحى، وقد جدد في العهد السعودي، ويسمى مسجد العيشومة، والعيشومة شجرة كانت نابئة هناك. وقد أصبح اليوم جامعاً واسع الأرجاء كثير الأعمدة مفروشاً بالبسط الفاخرة، وله إمام خطيب ثابت. عاتق البلادي: معالم مكة التاريخية، ص ٢٧١.

الذي أجرى الماء في مواسير من الرغامة إلى جدة، وهو المسمى بعين الوزيرية^(١). بعد أن تمكن الوالي عثمان نوري باشا من عزل الشريف عبد المطلب بالقوة العسكرية، وبفرمان مزور - في شوال عام ١٢٩٩هـ / سبتمبر ١٨٨٢م - عين الوالي الشريف عبد الإله بن محمد بن عون أميراً على مكة المكرمة^(٢)، غير أن السلطان قرر أن يتولى الشريف عون الرفيق إمارة مكة المكرمة^(٣)، مما أدى إلى خيبة أمل عثمان نوري، الذي كان يأمل أن يتولى الإمارة، صديقه الشريف عبد الإله بن محمد بن عون^(٤).

على أية حال فإن السلطان عبد الحميد الثاني لم يرض عن التصرف المنفرد لوالي الحجاز عثمان نوري باشا؛ لأنه تجاوز صلاحياته، وتصرف من غير استشارة الحكومة، ودون ابلاغ الباب العالي، ولذا لم يقر السلطان تعيين الشريف عبد الإله، فعزله من منصبه، ودعاه إلى إسطنبول حيث منح درجة الوزارة، وعين عضواً في مجلس الشورى^(٥).

بعد وصول الشريف عون الرفيق إلى مكة المكرمة في ١٠ ذي الحجة من عام ١٢٩٩هـ / ٢٣ أكتوبر ١٨٨٢م، توجه إلى منى، واستقبله الوالي عثمان نوري^(٦) والذي

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠١؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٣٧.

(٢) إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٠؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٩٦.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.E.E 88/49. Y.A.RES 17/40,17/39؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٢٠؛ أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٤؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣١.

(٤) كرستيان هورخرونيه: مصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٩٦؛ AL-Amr.OP.CIT, P 125 – 126.

(٥) إسماعيل جارشلي: المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٦) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٤؛ أحمد الحضراوي: المصدر السابق، ج ٢، ق ٢٠؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٠٨؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣١؛ عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل، ق ٣٠؛ إسماعيل جارشلي: المصدر السابق، ص ٢٢٦.

تظاهر بالاحتفاء به^(١)، وقرئ فرمان تولية الشريف عون الرفيق بحضور الوالي عثمان نوري^(٢)، وعلى الرغم من إدراك الشريف لذلك التظاهر بالحفاوة من الوالي عثمان، إلا أنه عمل على مواصلته بالزيارة، ولم يمنع عنه العائدات الخاصة به^(٣). واستمرت العلاقة الطيبة بين الطرفين، لأن الشريف عون لم ينس ذلك الدور الكبير الذي لعبه عثمان نوري في نقل الإمارة لبني عون^(٤)، بعد أن كانت في بني زيد، والمتمثلة في شخص الشريف عبد المطلب بن غالب^(٥).

أدرك الشريف عون الرفيق حال وصوله إلى مكة المكرمة، اعتماد السلطان عبد الحميد الثاني على الوالي عثمان نوري باشا^(٦)، وكان الشريف عون مقتنعاً بالامتيازات والصلاحيات الممنوحة للوالي عثمان نوري^(٧)، حيث أصبح الوالي شيخاً للحرم المكي الشريف، هذا بالإضافة إلى احتفاظه بسلطته على الشرطة والجيش، وزاد من نفوذه على القبائل^(٨)، بينما جعل سلطة الشريف عون الرفيق محصورة في الأمور التي تخص الأشراف أو البدو، إضافة للمولدين في مكة فقط، على ألا يكون من بينهم تركي الأصل^(٩)،

(١) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٤؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ٢، ق ٢٠؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٠٨؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣١؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك، ج ٢، ص ١٢٥٢؛ عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل، ق ٣٠؛ إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٦؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٠.

(٣) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤) رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١١٥-١١٦.

(٥) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٧٩.

(٦) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٧) عماد عبد العزيز: مرجع سابق، ص ١١١؛ صالح العمرو: مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٨) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٩٧-٢٩٩.

(٩) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٢؛ جيرالد دوغوري: مصدر سابق، ص ٣١٨.

وبذلك نجح عثمان نوري في تحجيم سلطة الشريف عون، وأصبح هو المسيطر على الحجاز وشؤونه^(١).

كان الشريف عون الرفيق مضطراً للتوافق مع الوالي، كما أنه كان مضطراً لإخفاء تطلعاته للحد من نفوذ الوالي، حتى لا يثير الشكوك والريبة في نفس السلطان عبد الحميد. خاصة في ظل اضطراب الأوضاع في مصر^(٢)، وخوف السلطان من أوضاع الحجاز، لذلك أخذ الشريف عون الرفيق يفكر - بهدوء وروية - في الوسائل التي يجد بها من نفوذ الوالي عثمان نوري باشا^(٣).

وفي عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م واجه الشريف عون الرفيق، والوالي عثمان نوري باشا أول تحد من القبائل، حيث قامت قبيلة حرب بمهاجمة القوافل، وأعمدة التلغراف، والقرى القريبة من جدة^(٤)؛ نظراً لأن الوالي عثمان نوري لم يقم بدفع إعاناتهم^(٥)، فقام الشريف عون الرفيق بقيادة فرقة من الجنود العثمانيين، ومن قبيلة عتيبة، لمواجهة قبيلة حرب في عسفان، للقضاء على هذا التمرد، وإرغامهم على وقف تلك الممارسات. ولم يكن عثمان نوري نشطاً لإنهاء القتال، إلا أنه استطاع أن يغري إسطنبول بأن تترك له السلطة والقيادة، وقام عثمان نوري بخلع عمر نصيف - قائم مقام الشريف في جدة - واعتقله، واتهمه بالتواطؤ مع قبيلة حرب، غير أن الذنب الحقيقي لعمر نصيف، كان هو

(١) دائل الخالدي: الإدارة العثمانية، ص ١٣١؛ AL-Amr, OP.CIT, P.127 .

(٢) تتمثل تلك الاضطرابات في الثورة التي قام بها أحمد عرابي عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م، والتي انتهت باحتلال بريطانيا لمصر. أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦٤ - ٦٦؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥١، ٣٥٣.

(٣) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٩٦.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف، Y.A.HUS 194/2-55.

تأييده القوي للشريف عون الرفيق، وكان عثمان نوري مصمماً على ألا يكون للشريف أي دور مؤثر في إقليم الحجاز^(١).

وفي عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م استحوذ الوالي عثمان نوري باشا على سلطات واسعة. مكنته من التخلص من جميع أعدائه، حيث اعتقل سعيد فهمي بك - قائم مقام جدة - لأنه كان يرسل إلى إسطنبول انتقادات مشفرة ضده^(٢)، كما تمكن عثمان نوري من نزع سلاح وتسريح حراس الشريف عون، من العرب^(٣)، بمن فيهم حراس أمن طريق جدة - مكة المكرمة، واستبدلهم بجنود عثمانيين، كما استطاع الوالي تقليص السلطات القضائية للشريف عون الرفيق^(٤).

واقترح الوالي عثمان نوري باشا نظاماً جديداً لبلدية مكة المكرمة، بحيث يكون هناك شيخان وإمام لكل حي، واستغل معارضو الوالي هذا القرار، وقاموا بتحريض العامة عليه، فاندلعت مظاهرات علنية عامة تطالب بطرد الوالي وقتله، بحجة أنه يعتزم إجراء إحصاء سكاني، يهدف إلى فرض الضرائب والتجنيد الإجباري في المدينة المقدسة^(٥). وفي صباح أحد الأيام ألصقت منشورات على جدران المسجد الحرام كتب عليها عبارات مسيئة ضد الوالي جاء فيها: " إن الدخول إلى الجنة بدون حساب، سيكون من نصيب الذي يستطيع أن يزيل الوالي من الدنيا، هذا الإنسان الملحد، الذي تجرأ على القول بأن مكة ليست أفضل من إسطنبول"^(٦).

(١) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩٩.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف، Y.A.RES 18/41.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٩٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٠٠.

(٦) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٣.

على أية حال فإن الوالي عثمان نوري باشا قد مارس سلطة استبدادية في الحجاز^(١)، فقد تضمن تقرير مرفوع للباب العالي من قبل مكتوبجي الولاية أن إجراءات وتصرفات والي الحجاز، ستؤدي إلى الإضرار بمصالح المنطقة ومستقبلها^(٢).

ويبدو أن إدارة الوالي ألحقت الضرر فعلاً ببعض الأهالي الذين رفعوا شكوى إلى إسطنبول بتوقيع أكثر من ثمانين شخصاً يعارضون أحكامه، ومعاملاته، وإدارته^(٣). إضافة إلى الشكوى التي رفعتها الشريفة عزة بنت عبد المطلب^(٤) ضده، محملة إياه مسئولية وفاة والدها؛ بسبب الظلم والقهر الذي تعرض له من قبل هذا الوالي، كما تتهمه بالتعدي على ممتلكات وأموال الشريف الراحل، وتطالب السلطان بحماية أموالهم، وصيانة حريتهم^(٥)، هذا بالإضافة إلى أن الشريف عون الرفيق لم يرض باستحواذ عثمان نوري على السلطة، والإدارة في بلاد الحجاز، فبدأت المنازعات تنشب بينهما^(٦).

وبالرغم من البرقية التي حملت توقيعهما إلى الصدارة العظمى بالعمل على إزالة الخلاف بينهما^(٧)، إلا أن الطرفين فيما يبدو لم يتفقا، حيث تبادلوا إرسال الرسائل إلى إسطنبول متهماً كلاً منهما الآخر بالتهرب من المصالحة وتسوية الخلافات، فقد اتهم

(١) AL-Amr, OP.CIT, P.127 .

(٢) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣١ .

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف 14/72 , Y.PRK.UM 7/101 , Y.A.HUS.194/2-55 ؛

دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣١ .

(٤) الشريفة عزة بنت عبد المطلب: كانت من أبداع الناس خلقاً، ولدت في منتصف القرن الثالث عشر، عاشت عمراً طويلاً، حتى أنها كانت من أكبر آل زيد الأشراف، وتولت نظارة وقف جدتها، واشتهرت بإرسال العطايا والصلوات إلى أرباب العلم، والبيوت المستورة، وكان أمراء مكة من آل عون يكرمونها لكبر سنهما، ورجاحة عقلها، توفيت في الطائف سنة ١٣٣٤هـ. عبد الستار الدهلوي: فيض الملك، ج ٢، ص ١٠٤٤ .

(٥) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣١ .

(٦) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٧ .

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 186/64 .

عون الرفيق - في رسالته - الوالي عثمان بالغدر، وطالب بعزله؛ لتستقيم الأمور الإدارية في الولاية^(١)، وفي المقابل حمل الوالي عثمان نوري، أمير مكة عون الرفيق مسؤولية الانفلات الأمني، وتعريض حياة الحجاج المسلمين للخطر، مما يخالف أهداف ومقاصد السلطنة بحماية حقوق العباد وتأمينهم من أجل أداء فريضة الحج، كما اتهم الوالي أيضاً رجال الشريف وأتباعه بأنهم أصبحوا آلة للشر والفساد^(٢).

وتعددت الروايات حول أسباب ذلك النزاع الذي نشب بين الشريف عون الرفيق والوالي عثمان نوري باشا، فيذهب مؤرخ إلى القول بأن: الوالي عثمان نوري ضيق على الشريف عون، ومنعه من أخذ المكوس التي كان يتقاضاها من الحجاج والأعراب^(٣).

بينما يذكر المؤرخ محمد رفيع^(٤) إلى أن من الأسباب التي أدت إلى المشاحنة بين الرجلين: هي رغبة الشريف عون بالتدخل في شئون الهيئة التي أسسها الوالي عثمان نوري باشا للعناية بمصالح عين زبيدة وتعميرها كلما تعرضت للخراب^(٥).

على أن من أهم الأسباب التي أدت إلى بلوغ ذلك الخلاف ذروته بين الشريف والوالي، هو تدخل الوالي عثمان نوري في أحد أهم صلاحيات الشريف، وهي إدارة

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف، 196/97، 196/32، 194/2-55، Y.A.HUS.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف، 194/2-55، Y.A.HUS؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣١-١٣٢.

(٣) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٧.

(٤) محمد رفيع: هو محمد عمر رفيع، ولد في العشر الرابع من القرن الرابع عشر الهجري، وكان أبوه شيخ السبحية، من أصل هندي، مكّي المولد والنشأة. اشتغل في مبدأ حياته بالخط، ثم اشتغل رئيساً لمكتب أوقاف آل غالب بمكة، ثم عين بوزارة المعارف مديراً لمدرسة رجال ألمع، ثم نقل إلى البعثة التعليمية السعودية في مصر، ثم تقاعد، ثم اشتغل في رابطة العالم الإسلامي. وتوفي سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. من أشهر مؤلفاته: في ربوع عسير، ومكة في القرن الرابع عشر الهجري. عاتق بن غيث البلادي: نشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين "تراجم مؤرخي مكة وجغرافيتها على مر العصور"، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج ٢، ص ٥٨٣.

(٥) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

شؤون قبائل البدو، ومسئولية أمن طرق القوافل، حيث قام الوالي بقوة عثمانية -دون مساعدة الشريف عون الرفيق -بتأديب إحدى القبائل التي منعت مرور قافلة الحج إلى المدينة المنورة ونجح في ذلك، الأمر الذي اعتبره الشريف عون الرفيق تعدياً على صلاحياته، ورغبة من الوالي في فرض سيادته المطلقة على الحجاز^(١).

وشعر الشريف عون الرفيق بخطورة الموقف، وتهديد مصالح وصلاحيات الإمارة، وعندما لم تُفد رسائله المطالبة بعزل الوالي عمل على زيادة الضغط على إسطنبول فغادر مكة المكرمة، مصطحباً معه العلماء والوجهاء، وتوجه إلى المدينة المنورة^(٢)، وأرسل منها إلى الباب العالي، رغبته بمتابعة السفر إلى إسطنبول^(٣)، وأنه لن يعود إلى مكة إلا بعد صدور القرار بعزل الوالي عثمان نوري^(٤).

ويرى أحد الباحثين أن تصرف الشريف عون الرفيق بمغادرته مكة المكرمة، كان خطوة ذكية، فقد وضع إسطنبول في موقف حرج، فهو لا يرغب في الظهور بموقف الضعيف، فتقل هيئته، وينكسر نفوذه أمام الناس، إذ لم يكن باستطاعته السيطرة على تصرفات الوالي عثمان نوري باشا^(٥).

وأمام هذا الصراع الحاد بين طرفي السلطة في الحجاز، أرسل الباب العالي لجنة مكونة من لطفي أفندي، ومفيد أفندي للتحقيق في ذلك النزاع بين الوالي والشريف،

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 8/47؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ جيرالد دوغوري: مصدر سابق، ص ٣١٨؛ صالح العمرو: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٣؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٦؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٣؛ جيرالد دوغوري: مصدر سابق، ص ٣١٨.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف، Y.A.HUS 194/2-122.

(٤) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٣؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٠؛ AL-Amr, OP, CIT, P.127-128.

(٥) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٢.

وأعد موفد الباب العالي تقريراً، أكد فيه على شكوى الإمارة من تدخلات الوالي عثمان نوري في أمور وشؤون تتعلق بالأشراف، والسادات، وخدمة الحرم الشريف، وأنه قام بإلغاء الأصول والتقاليد الإدارية المعتادة منذ زمن بعيد في الإمارة، مما نتج عنه توقف سائر المعاملات والمصالح بشأن مشايخ العرب والقبائل الذين يترددون على الإمارة، وأن سياسة الوالي أدت إلى حدوث اضطرابات أخلت بالأمن، إضافة إلى قيام الولاية بسجن بعض الأشراف - دون محاكمة - في قلعة جباد، ولم يتم إطلاق سراحهم إلا بعد دفعهم لمبالغ مالية. بينما واجب الولاية أن تكون هي المرجع في التحقيق من شكاوي الناس، ومنحهم حقوقهم المستحقة، وانتقد التقرير تأخير الإمارة في الفصل في الخلافات. وأوصى بضرورة ضبط الأسلحة والبنادق التي توجد في أيدي حرس الإمارة، كما أن الولاية يجب أن تتحمل مسؤولية ضبط وإقرار الأمن في الحجاز، وخلص التقرير إلى أن أكبر أسباب الخلاف بين الإمارة والولاية يعزو إلى تداخل الصلاحيات، وعدم التفريق والتحديد في الوظائف بينهما، ونصح التقرير بضرورة تحديد وظائف الولاية والإمارة، والفصل بين صلاحيات كل منهما - طبقاً للأصول العامة المعمول بها - وأن يتعاون الطرفان في تقديم التسهيلات للحجاج، وتأمين الطرق أثناء موسم الحج بصفة خاصة، وببقية الأيام بصفة عامة^(١).

لم يستطع الباب العالي إلقاء اللوم على عثمان نوري الذي يُعد أحد أبرز ولاة الدولة، وفي الوقت نفسه أدرك مدى خطورة بقاء هذا الخلاف، فقرر الباب العالي نقل عثمان نوري إلى ولاية حلب^(٢) وكان ذلك في ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٨٦ م^(٣)، وقرر تعيين حسين جميل باشا والياً على الحجاز^(٤).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف، Y.A.HUS 196/32؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٢.

(٤) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

ابتهج الشريف عون الرفيق كثيراً بنقل الوالي عثمان نوري باشا^(١)، ورجع الشريف إلى مكة المكرمة، بعد أن تحصل على أمر فصل الوالي^(٢)، وكان أول عمل بدأه، أن كلف أعوانه بأن يتربوا اليوم الذي يسافر فيه الوالي عثمان نوري مبارحاً مكة المكرمة، ليبدأوا في هدم سور البستان الذي بناه الوالي، ويقطعوا أشجاره، ليشهد الوالي ذلك وهو خارج من مكة، إمعاناً في إغاضته، والنكاية فيه، لأن من الأسباب التي أدت إلى المشاحنة بينه وبين الوالي رغبة الشريف عون في التدخل في شؤون الهيئة التي أسسها الوالي للعناية بمصالح " عين زبيدة " وتعميرها كلما جد لازم. ولم يكتف الشريف بهدم البستان وتقطيع أشجاره؛ بل أمر النورة^(٣) بأن يأتوا بالنورة، ويطفئوها في أرض البستان لتتلف، فلا تصلح للزراع بعد ذلك^(٤).

بعد عزل الوالي عثمان نوري باشا عن ولاية الحجاز سعى الشريف عون الرفيق إلى دعم نفوذه على العرب والأتراك^(٥)، وقام بالانتقام من أعوان الوالي المعزول ومؤيديه^(٦)، وأمر بكتابة عبارة " دائرة الإمارة الجليلة والحكومة السنينة " على حجر أحمر فوق باب

(١) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٣، ج ٥، ص ٢٧٣؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٦؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١.

(٣) النورة: وهم عمال النورة. والنورة مادة من الحجر تحرق ويعمل منها الكلس وهو ما يطلى به الحائط. عادل محمد نور غباشي: مصانع النورة بمكة المكرمة طرازها المعماري ونتائجها الصناعي حتى نهاية العصر العثماني، مجلة الدارة، س ٢٣، ع ١٤١٨، ص ٥٦، ٧٣-٧٦.

(٤) محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٥) محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٧٩.

(٦) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٣-١٣٤؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٥٦؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠١؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١.

قصره. وهكذا أراد الشريف عون الرفيق أن يفرض على الوالي الجديد - حسين جميل باشا - وضعا لم يكن يستطيع القيام به في ظل وجود الوالي السابق^(١).

ثانياً: الوالي جميل باشا (١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م)^(٢):

هو حسين جميل باشا بن نامق باشا^(٣)، تخرج من المدرسة الحربية، وتقلد مناصب عسكرية، وأصبح والياً على أدرنة ثم حلب^(٤)، كما عمل والياً على الحجاز، وشيخاً للحرم المكي الشريف^(٥).

صدر قرار تعيين الوالي جميل باشا والياً على الحجاز بعد عزل الوالي عثمان نوري باشا^(٦) في ١٢ ربيع الأول ١٣٠٤هـ / ٩ ديسمبر ١٨٨٦م^(٧)، وعندما وصل إلى مكة المكرمة استقبله الشريف عون الرفيق، والمفتي، والخطباء، والأعيان، والعساكر النظامية. وأثناء وصوله إلى مكة، وصل حب الجراية، فأمر بصرفه بالأحقية بين السكان، كما أمر بتشكيل مجلس الحب، ثم أمر بتشكيل مجلس التمييز، ثم قام بتقسيم الحب بين الناس^(٨).

تعاون الشريف عون الرفيق والوالي جميل باشا في إدارة شؤون الولاية^(٩)، وحدث أن لجأ بعض الجنود ممن انتهت خدمتهم إلى المسجد الحرام بأسلحتهم، ورفضوا الخروج إلا

(١) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٥هـ، ص ٩٩؛ ١٣٠٦هـ، ص ١٣١؛ ١٣٠٩هـ، ص ١٣٠.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٤؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٣، ج ٥، ص ٢٧٣؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٦.

(٤) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٧.

(٥) سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ٣٢.

(٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٤.

(٧) كامل حسين الحلبي الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ط ٢، دار القلم، حلب، ١٤١٩هـ، ج ٣، ص ٣١٥.

(٨) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٤.

(٩) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 470/54.

بعد إنهاء خدمتهم في الجيش، وتسليمهم تذاكر سفرهم ، فخرج لهم الوالي وتفاوض معهم على إنهاء تمردهم، في مقابل أن يضمن لهم الحصول على تذاكر السفر، فرفضوا، فجاءهم الشريف عون وطلب منهم الخروج، فشرطوا عليه ألا يسلمون أسلحتهم، ولا يذهبون إلى الطائف، وبعد مراسلة الباب العالي، جاء أمر بنقل هؤلاء العساكر إلى اليمن، ونقل العساكر التي باليمن إلى مكة؛ وذلك تأديباً لهم على تمردهم^(١).

تصرف الوالي جميل باشا - في هذا الموقف - بصورة مختلفة كلياً عن سابقه، غير أن حظه من النجاح كان كحظ سلفه، وقد تصرف الوالي مع الشريف عون الرفيق تصرف الموظف الذي يود أن يفعل كل ما في وسعه لإرضائه، غير أنه لا يريد من الشريف عون أن يخطو خطوة تحيد عن الطريق المرسوم. وهذه السياسة لم يكن الشريف عون الرفيق قادراً على احتمالها، ومجاراتها على المدى الطويل^(٢).

ولم يأمن الشريف عون الرفيق جانب الوالي جميل باشا، فلم يلبث أن قامت أزمة عدم ثقة بين الرجلين^(٣)، بسبب تدخل الوالي في صلاحيات أمير مكة، والغاء لتقسيم طوافة بلاد جاوة، والذي قام به الشريف عون^(٤)، وبات الشريف يتوجس خيفة منه، ويضطهد أي فرد تسول له نفسه الاتصال بالوالي جميل باشا^(٥).

كما استغرب الوالي جميل باشا أمر أسر الشريف عبد الله بن زين^(٦) الذي عينه الوالي السابق عثمان نوري باشا أميراً على وادي فاطمة، وقد قام الوالي جميل باشا

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤.

(٣) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٧.

(٤) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٢.

(٥) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٧.

(٦) الشريف عبد الله بن زين الحسيني البركاتي: كان معاصراً للأمير مكة المكرمة الشريف عبد الله بن محمد بن =

بإطلاق سراحه في نفس اليوم، لأنه أدرك عدم صدق الشريف بأنه هوجم خلال زيارته للوادي^(١). إلا أن الشريف عون الرفيق، عينه - بعد ذلك - أميراً على أهل الوادي، وأميراً على الحج^(٢).

ويبدو أن أعمال النفي والعزل تلك، قد نتج عنها تجدد الصراع بين الإمارة والولاية. فسرعان ما نشب الخلاف بين الشريف عون الرفيق، والوالي جميل باشا.

لم يستمر الوالي جميل باشا طويلاً في منصبه إذ قدم استقالته بعد أربعة أشهر فقط^(٣)، وقد تذرّع بأن حالته الصحية غير جيدة^(٤)، في حين أن هناك من يرى أن السبب الحقيقي وراء تلك الاستقالة، إدراك الوالي جميل باشا عدم قدرته على التعامل مع الشريف عون الرفيق، حيث شعر بأنه مجرد تابع للشريف عون، وفي الوقت نفسه، أراد الوالي تجنب الصراع والصدام مع الشريف، فأثر أن يستقيل من منصبه^(٥)، وبناءً على طلباته المتكررة قام الباب العالي بإعفائه من ولاية مكة المكرمة في ١١ رجب ١٣٠٤ هـ /

=عون، وتولى إمارة وادي فاطمة في إمارة الشريف عبد المطلب الثالثة، إلا أنه حبس بواسطة الوالي عثمان نوري باشا، وفي إمارة الشريف عون الرفيق أطلق من حبسه، وعينه الوالي عثمان نوري أميراً للوادي، إلا أنه عزل وحبس مرة أخرى بواسطة الشريف عون الرفيق لأنه من المؤيدين للوالي عثمان نوري، ثم أطلقه الشريف من حبسه وعينه أميراً على وادي فاطمة، وإمارة الحج. انظر أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٠٦، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٧؛ أحمد ضياء بن محمد العنقاوي: معجم أشرف الحجاز في بلاد الحرمين وما تفرع عنهم في مصر واليمن وغيرها من البلدان، تقديم: سامي العنقاوي وهزاع العبدلي، ط ١، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ج ١، ص ٥١٩.

(١) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤؛ دي غوري: مصدر سابق، ص ٣١٩.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٧.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 201/45؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٥؛

عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٦؛

كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٥.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٥) كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٥؛ 128 - 129 .AL-Amr,OP.CIT,P.

٥ أبريل ١٨٨٧م^(١)، حيث توجه إلى اسطنبول^(٢)، ومكث بها حتى وفاته في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م^(٣).

ثالثاً: الوالي صفوت باشا (١٣٠٤-١٣٠٦هـ / ١٨٨٧-١٨٨٩م)^(٤):

سبق للوالي صفوت باشا أن تولى ولاية الحجاز في إمارة الشريف عبد المطلب بن غالب الأخيرة (١٢٩٧-١٢٩٩هـ / ١٨٨٠-١٨٨٢م)^(٥)، ثم كانت ولايته الثانية على الحجاز بعد عزل الوالي السابق جميل باشا في ١١ رجب ١٣٠٤هـ / ٥ إبريل ١٨٨٧م^(٦).

وصل الوالي صفوت باشا إلى جدة، وأرسل الشريف عون الرفيق بعض أتباعه ليكونوا في شرف استقباله، وعند وصوله إلى مكة المكرمة، استقبله الشريف عون الرفيق، وبعض العلماء، والخطباء، وتوجه الجمع إلى المسجد الحرام لقراءة فرمان الخاص بتولية الوالي صفوت باشا والياً على الحجاز^(٧).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 201/45؛ سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٥هـ، ص ٩٩؛

١٣٠٦هـ، ص ١٣١؛ ١٣٠٩هـ، ص ١٣٠؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٥.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣.

(٣) محمد ثريا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٧.

(٤) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٥هـ، ص ٩٩؛ ١٣٠٦هـ، ص ١٣١.

(٥) أحمد دحلان: مصدر سابق، ص ٦١ - ٦٢؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ عبد الله غازي:

المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢١، ١٢٤-١٢٥، ج ٥، ص ٢٥٨، ٢٧٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة

الأنظار والفكر، ق ٣٥٦؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٥؛ محمد ثريا: مصدر سابق،

ج ٣، ص ٢٣١؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٥١٤؛ سهيل صابان: مداخل بعض اعلام الجزيرة،

ص ٨٨؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 201/95؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ عبد الله

غازي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٤؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٥.

(٧) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٥.

حدث اتفاق بين الوالي صفوت باشا، والشريف عون الرفيق، مما نتج عنه استقرار الأحوال في ولاية الحجاز^(١)، ويعزو السبب وراء هذا الاتفاق إلى أن الوالي صفوت باشا كان يأخذ الأمور بسهولة قدر الإمكان، فقد كان مبدأه ترك الناس يعيشون كما يريدون، ولم يمنعه طموحه السياسي من أن يلعب دور الخادم المطيع لأوامر الشريف عون الرفيق^(٢).

وفي ولاية صفوت باشا استمر الشريف عون الرفيق في سياسة تطهير البلاد من الموالين للوالي السابق عثمان نوري باشا، وكذلك كل من قام بالاتصال بالوالي الذي تولى بعده حسين جميل باشا، وكثرت الأوامر التي أصدرها بسجن أو نفي كل من حامت حوله شبهه الاتصال بالوالين السابقين^(٣)، فقبض على موسى البغدادي^(٤)، وأمين أماصية لي^(٥)، ومحمد السعدي^(٦) الذي كان قاضياً بجدة، ونفاهم إلى جدة، ومن جدة نفي أمين أماصية إلى بلاده، والسعدي إلى الشام، وأراد أن ينفي موسى البغدادي إلى بغداد، فوجد عليه دعاوى وديون فأخره^(٧).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٧.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 470/54؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٥.

(٣) أريج القشامي: مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٤) موسى البغدادي: كان ثاني أكبر رجالات جدة في ذلك الزمان، بعد عمر نصيف. وموسى البغدادي هو الذي تنسب إليه محلة البغدادية في جدة، وكان واسع الثراء، عظيم النفوذ، وقد بنى البغدادي بيتاً على البحر كان من أعظم بيوت جدة وأكبرها. محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٥) أمين أماصية لي: هو أمين أفندي الأمصيلي، أصله تركي من بلاد أماصيا. عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٥.

(٦) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٧) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٣-١٣٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر،

ق ٣٥٦؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٤؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢،

ص ٦٢١؛ محمد مغربي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٥٠؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٧.

كما قبض الشريف عون الرفيق على الشيخ إبراهيم العجمي^(١)، والشيخ عبد الله الكردي^(٢)، والشيخ أحمد بن عبد الله فقيه^(٣)، وحبسهم، وبعد أيام، سفرهم إلى جدة، ومنها كان سفر إبراهيم العجمي، وعبد الله الكردي، وموسى البغدادي إلى اليمن، وسفر الشيخ أحمد فقيه إلى مصر^(٤).

كما قام بعزل الشيخ عبد الرحمن الشيبلي^(٥)، عن وظيفة المفتاح، وأخرجه إلى الهدى، ومنعه من الوصول إلى مكة والذهاب إلى الطائف، وبقي محبوساً في بيته بالهدى^(٦).

والسبب في نكبة كل هؤلاء، أنهم كانوا على اتصال بالوالي عثمان نوري باشا، ومنعهم الشريف عون الرفيق قبل ذلك مراراً من الاتصال به، فلم يمتنعوا، فلما عزل

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٣) الشيخ أحمد بن عبد الله بن جعفر فقيه الشافعي المكي. خطيب وأمام المسجد الحرام، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٧٣هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وأحسن تجويده، واشتغل بالعلم على مشايخها، فقرأ على العلامة أحمد زيني دحلان، والشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ محمد بسيوني، وغيرهم، فبرع ونبل، وكان ميله إلى علم الأدب أكثر، ونظم ونثر، وجمع ديوان خطب منبرية، وطبعه. عبد الله أبو الخير: مصدر سابق، ص ١١٠؛ عبد الله غازي: نظم الدرر، ص ٤١٥.

(٤) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١.

(٥) الشيخ عبد الرحمن الشيبلي: هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن زين العابدين الشيبلي، تولى رئاسة السدنة سنة ١٣٠٤هـ، ومكث فيها إلى سنة ١٣١١هـ، فأخذ منه المفتاح وعزل من رئاسة السدنة، فرحل إلى الهدى واستقر بها حتى وفاته عام ١٣٢٠هـ. محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٩-٢٠٠؛ عبد الله المعلمي: مرجع سابق، ص ٥٨٤.

(٦) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٤-١٣٥؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٦٤؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٩؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٧. الهدى: موضع من نواحي الطائف على بعد ١٨ كم منها. وهي ذات مزارع ومياه حسنة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٨٢٣ - ١٨٢٤.

عثمان نوري، ووصل الشريف عون الرفيق من المدينة، دعاهم ووتجهم، ثم عفا عنهم. ثم ما لبثوا أن عاودوا الاتصال بالوالي الجديد حسين جميل باشا على أثر وصوله، فعاقبهم الشريف عون بالنفي^(١).

وفي عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ارتفعت قضايا هؤلاء المنفيين الذين نُفوا من مكة إلى السلطان عبد الحميد، فأصدر أوامره بإطلاق سراحهم، وأذن لهم بالرجوع إلى مكة، وإرجاعهم إلى وظائفهم، وخدماتهم، فتسلموها^(٢).

وعلى ما يبدو أن تلك الإجراءات التي قام بها الشريف عون الرفيق لم تؤثر في علاقته بالوالي صفوت باشا، حيث استمر التعاون بين الطرفين في إدارة شؤون الولاية.

ففي ١٤ محرم ١٣٠٥هـ / ٢ أكتوبر ١٨٨٧م، توجه الشريف عون الرفيق والوالي صفوت باشا إلى جدة من أجل إتمام عين الوزيرية، والتي تم بناؤها في زمن الوالي عثمان نوري باشا، وفي غرة جمادى الآخرة ١٣٠٥هـ / ١٤ فبراير ١٨٨٨م، توجه الشريف عون الرفيق والوالي صفوت باشا إلى جدة ومنها توجهوا إلى الليث^(٣) من أجل بناء قلعة فيها، بعدما أمرت الدولة العلية بذلك، وبعد أتمامها رجعا إلى مكة المكرمة^(٤).

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٧؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٩؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١.

(٢) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٥؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٥٨؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢١؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٣٥٣.

(٣) الليث: وادٍ وبلدة في الجنوب الغربي من الحجاز، يأخذ وادي الليث من السراة الواقعة جنوب الطائف على قرابة (٧٠) كم فيدفع غرباً بين وادي يللم شماله والشاقة السامية جنوبه. يمر الليث على (١٥٠) كم تقريباً جنوب مكة، أما بلدة الليث فهي بلدة عامرة على مصب ذلك الوادي في البحر جنوب جدة بحوالي (٢٠٠) كم، فيها إمارة تابعة لمكة، ومحكمة شرعية وشرطة وجمارك وجميع مرافق الدولة. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٤٨١.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

وواجه الشريف عون الرفيق والوالي صفوت باشا بعض التحديات في ولاية الحجاز، ففي شهر شعبان ١٣٠٥ هـ / إبريل ١٨٨٨م، لجأ بعض الجنود من العرب والترك ممن انتهت خدمتهم إلى المسجد الحرام بأسلحتهم، ورفضوا الخروج إلا بعد إنهاء خدمتهم في الجيش، فتوجه الشريف عون الرفيق والوالي صفوت باشا إليهم من أجل إنهاء تمردهم، إلا أنهم امتنعوا عن ذلك، وطالبوا بدفع رواتبهم، وإنهاء خدمتهم العسكرية وعودتهم إلى أوطانهم، وقد استجيب لطلباتهم بعد مراسلة الدولة العلية وموافقتها على تحقيق طلباتهم^(١).

وفي شهر ذي القعدة ١٣٠٥ هـ / يوليو ١٨٨٨م، تعرضت طرق قوافل الحجاج للنهب والسلب، وسرق منهم مقدار عشرين جملاً، فأصدر الشريف عون الرفيق أوامره للأمير وادي فاطمة الشريف عبد الله بن زين، بملاحقة أولئك الذين تعرضوا للحجاج، ورد ما سلبوه منهم^(٢).

وتعرض الوالي صفوت باشا لمرض أصابه، واستمر ذلك المرض لمدة شهر، وكان الشريف عون الرفيق يتردد عليه في مرضه. وفي أواخر ربيع الأول ١٣٠٦ هـ / نوفمبر ١٨٨٨م، ذهب الوالي صفوت باشا إلى جدة، زاعماً أنه يرغب في الاستشفاء، وقضاء فترة نقاهة، لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك، حيث جاء فرمان بعزله من ولاية الحجاز، وولت الدولة العثمانية، الوالي نافذ باشا بدلاً منه^(٣).

وعلى ما يبدو أن سبب عزل الوالي صفوت باشا، راجع إلى فشله في الوفاء بمرتبات الجنود، وإنهاء خدماتهم في وقتها المحدد، وتدهور الأوضاع الأمنية في ولاية الحجاز.

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

بعد عزل الوالي صفوت باشا، توجه إلى اسطنبول، وبقي فيها حتى وفاته في عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م^(١).

رابعاً: الوالي نافذ باشا (١٣٠٦-١٣٠٧هـ / ١٨٨٨ - ١٨٩٠م)^(٢):

تولى نافذ باشا عدة مناصب في الدولة العثمانية، وقاد الحملة العسكرية على الأحساء في عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، كما عُين في نفس العام متصرفاً^(٣) على الأحساء، واستمر في منصبه حتى عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م^(٤). وفي عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م عُين مشيراً للجيش العثماني^(٥)، ثم في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م عُين والياً على البصرة^(٦)، وفي أواخر ربيع الأول ١٣٠٦هـ/ نوفمبر ١٨٨٨م عينته الدولة العثمانية والياً على الحجاز^(٧).

وصل الوالي نافذ باشا إلى جدة، ومكث بها سبعة أيام، لأنه اشتكى من مرض أصابه في وجهه، وقدم إلى مكة المكرمة في ١١ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ١٣ يناير ١٨٨٩م، واستقبله الشريف عون الرفيق، والخطباء، والأعيان، ورمت له المدافع، ثم قرئ فرمان الخاص بولايته على إقليم الحجاز^(٨).

-
- (١) محمد ثريا: مصدر سابق، ج٣، ص٢٣١؛ سهيل صابان: مداخل بعض اعلام الجزيرة، ص٨٨.
 - (٢) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٩هـ، ص١٣٠؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص٢٤٠.
 - (٣) المتصرف: صاحب التصرف، وهو أكبر منصب إداري في المواقع الإدارية بين الولاية والقضاء بموجب التشكيلة الإدارية في الدولة العثمانية بعد عهد التنظيمات. سهيل صابان: معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص١٧٦؛ زين العابدين نجم: مرجع سابق، ص٤٦٩.
 - (٤) سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص٢٢٢.
 - (٥) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص٣٥.
 - (٦) سهيل صابان: المرجع السابق، ص٢٢٢.
 - (٧) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص٢٤٠؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق٣٥٩.
 - (٨) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص٢٤١.

قدم نافذ باشا إلى الحجاز بتعليمات من السلطان عبد الحميد الثاني تتمثل تلك التعليمات في إعداد خطط الاستعداد العسكري والبحري، وتدارك الفشل السابق في الوفاء بمرتبات الجنود، وإنهاء خدماتهم في وقتها المحدد، والاهتمام بالحجاج وتزويدهم بالجمال بأجرة محددة، والاهتمام كذلك بتنظيف الشوارع وإصلاح الطرقات، كانت تلك التعليمات بسبب أهمية بلاد الحجاز الدينية بالنسبة للسلطان^(١).

بدأ الوالي نافذ باشا بتنفيذ تلك التعليمات المكلف بها من قبل السلطان عبد الحميد^(٢)، وأزال كثيراً من المنكرات، كالمكوس التي كانت تفرض على أهل البلد والأغراب^(٣)، كما أكد التزامه بأوامر السلطان في القضاء على تجارة الرقيق، الأمر الذي أغضب العلماء والبدو^(٤).

وعلى ما يبدو فإن قيام الوالي بتنفيذ تلك التعليمات لم يؤثر في العلاقة الحسنة بينه وبين الشريف عون الرفيق، ومما يؤكد ذلك، تعاون الطرفان في إدارة شؤون الولاية، والقيام بتأسيس قشلة للعساكر في أجياد^(٥).

كما لم يعارض الشريف عون الرفيق، تدخل الوالي نافذ باشا في إحدى أهم صلاحياته، وهي حل النزاع القائم بين الأشراف^(٦)، ومن المتعارف عليه أن تلك الصلاحية من اختصاص الشريف عون الرفيق^(٧).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤١؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٩.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤١.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 29/80 حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٧.

(٧) عبد الرحيم عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٧٦.

أيضاً عندما منح السلطان عبد الحميد الثاني نيشان الامتياز للشريف عون^(١)، قام الوالي نافذ باشا - بنفسه - بتقليد ذلك النيشان للشريف عون الرفيق^(٢).

وفي شهر ذي الحجة ١٣٠٦ هـ / أغسطس ١٨٨٩ م وصل تلغراف من الدولة العثمانية إلى ولاية الحجاز بمنع حجاج اليمن من أداء فريضة الحج، بسبب انتشار وباء الكوليرا في اليمن، وطلبت الدولة العثمانية بوضع محجر صحي للقادمين عن طريق البحر الأحمر، كما تم إرسال قوات عسكرية للقادمين من البر. وبعد وصول تقارير من صحة اليمن تثبت سلامة الأوضاع الصحية فيها، أمر الشريف عون الرفيق والوالي نافذ باشا بإلغاء الحجر الصحي، والسماح لحجاج اليمن بالعبور لأداء فريضة الحج^(٣). وفي ذلك دلالة واضحة على التعاون بين الطرفين في مواجهة الأخطار التي كان يتعرض لها إقليم الحجاز.

وشهدت ولاية نافذ باشا تدهوراً في الأوضاع الاقتصادية؛ بسبب الجفاف وقلة الأمطار، ونتج عن ذلك قلة الأعلاف وضعف الجمال، مما دفع أصحاب الجمال إلى رفع الأسعار، ونظراً لعدم توفر الجمال، واقتراب موسم الحج، عقد الوالي نافذ باشا اجتماعاً في الحميدية، لأجل تحديد أجرة نقل الحجاج، وحضر الاجتماع مشايخ حرب، وباء ذلك الاجتماع بالفشل، بسبب رفض الوالي لمطالب أصحاب الجمال، في زيادة السعر المطلوب^(٤).

وفي عام ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م ازدادت الأوضاع الاقتصادية تدهوراً، حيث أصاب القحط والمجاعة، أهل البادية، فارتحل الكثير منهم بأولادهم إلى مكة والطائف بسبب

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.AZJ 16/13؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

شدة الجوع، وازدادت تلك المعاناة بانتشار الجراد، فصار الناس يأكلون منه، وعندما وصلت أنباء تلك المجاعة إلى السلطان عبد الحميد، أرسل لهم بعض المساعدات الغذائية، وقام الشريف عون الرفيق والوالي نافذ باشا بتوزيع تلك المساعدات على أهل البادية، كما أمر السلطان عبد الحميد كذلك بإرسال مساعدات عاجلة من مصر إلى بلاد الحجاز^(١).

بعد وصول تلك المساعدات إلى مكة، طلب بعض مشايخ حرب أن يحصلوا منها على بعض الأرزاق؛ بسبب القحط والمجاعة التي كانوا يعانون منها، فامتنع الدفتردار عن تقديم المساعدة لهم، فاجتمعوا في طريق جدة لاعتراض قوافل الحجاج، وعندما وصل الخبر للشريف عون الرفيق أرسل بعض الأشراف والعساكر لرد تجمع تلك القبائل، فوقع قتال عنيف بين الطرفين أسفر عن سقوط عدد من القتلى والجرحى، وانسحاب تلك القبائل إلى ديارها، كما تم تحصين طريق جدة - مكة بعساكر نظامية^(٢).

ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية والأمنية، وتراكم أعباء ومشاكل المنصب على الوالي نافذ باشا، وفشله في تحقيق الأهداف المنوط بها، فضل اللجوء إلى الطائف، تاركاً لقاضي مكة المكرمة محمد شكري أفندي^(٣) تصريف شؤون الولاية نيابة عنه^(٤).

وفي ١٧ رجب ١٣٠٧هـ/ ١١ مارس ١٨٩٠م عزلت الدولة العثمانية الوالي نافذ باشا، وعينت بدلاً منه الوالي إسماعيل حقي باشا^(٥).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٩هـ، ص ١٣٥.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٥) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٩هـ، ص ١٣٠؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٤ - ٢٤٥؛ عبد الله

غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٤.

خامساً: الوالي إسماعيل حقي باشا (١٣٠٧ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٠ - ١٨٩٢ م)^(١):

هو إسماعيل حقي باشا بن المرحوم سيد عبد القادر أفندي^(٢)، اشتهر باسم قورد إسماعيل باشا^(٣)، كما اشتهر بصاحب الذقن الطويلة^(٤)، ينتسب إلى أسرة كردية، التحق بالجيش برتبة كبيرة، وتقلد وظائف إدارية كثيرة منها ولاية أرضروم^(٥)، وخربوط^(٦)، وديار بكر^(٧)، وعند نشوب الحرب الروسية العثمانية سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م عهد إليه قيادة جبهة بايزيد تحت إمرة المشير أحمد مختار باشا^(٨)، ثم عهد إليه قيادة قوات الشرق كله،

-
- (١) سالنامه ولاية الحجاز ١٣٠٩ هـ، ص ١٣٠.
- (٢) المصدر نفسه، ص ١٣١.
- (٣) زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٨.
- (٤) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٧، ٣٥٨؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٥١٤.
- (٥) أرضروم: مدينة في تركيا الآسيوية " الأناضول " تقع على سفح جبل بالقرب من نهر الفرات. في سنة ٤١٥ م غيرت هذه المدينة اسمها الأرمني غارين Garin ليصبح ثيودوسيوبولس Theodosiopolis على شرف ثيودوس الصغير الذي بناء أسوارها. فتحها السلاجقة في القرن الحادي عشر، ثم العثمانيون سنة ١٥١٧ م. استولى عليها الروس سنة ١٨٢٩ م، ولكنهم أعادوها في العام التالي إلى الدولة العثمانية. ضربها زلزال مدمر سنة ١٨٥٩ م. موستراس: مرجع سابق، ص ٤٤ - ٤٥.
- (٦) خربوط: مدينة في تركيا الآسيوية " الأناضول " مركز الولاية واللواء اللذين يحملان الاسم نفس، وهي اليوم بليدة شمال المدينة الجديدة إلابيج Elazig. موستراس: مرجع سابق، ص ٢٥٨.
- (٧) ديار بكر: مدينة في تركيا الآسيوية " الأناضول " مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية كردستان، على الضفة اليمنى لدجلة. مقر أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية. موستراس: مرجع سابق، ص ٢٧٢.
- (٨) أحمد مختار باشا: ولد سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م، في مدينة بورصة، ونشأ بها وتلقى مبادئ العلوم فيها، ثم أتم دروسه في اسطنبول، وبعد تخرجه عهد إليه بالتدريس، ثم التحق بالجيش التركي، وصار يترقى إلى أن نال رتبة فريق ثم مشير، وعين والياً لجزيرة كريت، وقد اشترك في حروب الدولة العثمانية، في القرم، واليمن، وروسيا، وفي سنة ١٨٧٨ م عين ناظراً للطوبجية، ثم عين سفيراً في ألمانيا في عام ١٨٨٣ م، ثم ممثلاً للدولة العلية بمصر، كما عين صدراً أعظم بإسطنبول. لقب بالغازي لحسن بلائه في الحرب التركية الروسية. وكان يجيد اللغة العربية، وله مؤلفات كثيرة منها: رياض المختار، ومرآة الميقات والأدوار، وإصلاح التقويم، والتقويم المالي. وغيرها. توفي في اسطنبول عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م ودفن بمقبرة الفاتح. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥٥؛ زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٦٦.

ثم عين رئيساً لهيئة التفتيش العسكري، وقائداً للقوة الإصلاحية في العراق^(١)، كما عين وزيراً للتجارة^(٢)، وكان مشهوداً بصلابته الدينية، وأخلاقه السامية^(٣).

وفي ١٧ رجب ١٣٠٧هـ/ ٩ مارس ١٨٩٠م عين إسماعيل حقي باشا والياً على الحجاز، وشيخاً للحرم المكي الشريف^(٤)، ووصل إلى مكة المكرمة في ١١ رمضان ١٣٠٧هـ / ١ مايو ١٨٩٠م، واستقبله الشريف عون الرفيق والخطباء، والمفتي، والأعيان^(٥).

اتبع الوالي إسماعيل حقي باشا سياسة الحذر والتروي، والاعتماد على التعليمات المفصلة من إسطنبول قبل اتخاذ أي إجراء، مما أدى إلى استمراره في منصبه مدة أطول من سابقه^(٦).

في بداية الأمر، ظل الوفاق قائماً بين الشريف عون الرفيق والوالي إسماعيل حقي باشا، وتضافرت جهودهما في إدارة شؤون الولاية، مثال ذلك، عندما طلب الوالي إسماعيل حقي من الشريف عون الرفيق الوقوف على المخفر الكائن عند بوابة السيل بالطائف، لأنه كان بحاجة إلى الترميم والإصلاح، وبعد معاينة المكان من قبل الشريف عون، اتخذ قراراً بهدمه من الأساس، وبناءه من جديد؛ حتى يستوعب أكثر من خمسين جندياً، كما قرر إنشاء غرفة للضباط، وتم البدء في مباشرة تلك التشييدات بأمر من الشريف عون الرفيق^(٧).

(١) زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٨٨.

(٢) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٣) زكي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٨٨.

(٤) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٩هـ، ص ١٣٠.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٥.

(٦) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.HH 27/65.

وفي جمادى الأولى ١٣٠٨ هـ / ديسمبر ١٨٩٠ م، ذهب الوالي إسماعيل حقي باشا إلى غار جبل ثور؛ للكشف على الطريق المؤدي إليه، وطلب من الشريف عون الرفيق تصليح الطريق للزائرين، وبالفعل تقرر طلب إعانة من المأمورين، ومن بعض التجار، وبعد الحصول على تلك الإعانات المقدمة للمشروع، أرسل الشريف عون الرفيق المهندسين لإتمام تصليح طريق غار جبل ثور^(١). ولولا ذلك الإصلاح لازدادت صعوبة السير عليه، ولضلّ السائر عن الطريق، ولم يهتد إلى الغار؛ نظرا لعظم الجبل، واتساعه، وتشعب مسالكه. وكان من أثر ذلك الإصلاح، أن جعل الطريق بهيئة سلام تارة تتصعد وأخرى تنحدر، ومع ذلك، وبالرغم من تلك الإصلاحات التي تمت، فلا يزال العروج عليه صعباً^(٢).

وفي شعبان ١٣٠٨ هـ / مارس ١٨٩١ م افتتح الشريف عون الرفيق والوالي إسماعيل حقي باشا المعسكر الخاص بالعساكر النظامية في أحياد، وتم الاحتفال بذلك الافتتاح، كما تم اختيار مكان لعمل مستشفى في الجهة المقابلة للمعسكر، وتم وضع أساس المشروع^(٣).

شهدت ولاية إسماعيل حقي باشا تحسنا في الأوضاع الاقتصادية، ورخصا في الأسعار؛ بسبب نزول الأمطار في تلك الفترة^(٤)، غير أنها سرعان ما عادت للارتفاع؛ بسبب النهب والسلب الذي كانت تتعرض له طرق القوافل من القبائل، مما حدا بالوالي إسماعيل باشا أن يجتمع بالتجار ويعرض عليهم توفير الحماية اللازمة لبضائعهم بعساكر نظامية، مما أدى إلى انخفاض الأسعار مرة أخرى^(٥).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٠-٢٥١؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦٠.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٢، ص ٢٢؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٢.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٥؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٧.

ومن الصعوبات التي واجهتها ولاية الحجاز زمن الوالي إسماعيل حقي باشا، تدهور الحالة الصحية في الولاية، والمتمثلة في ظهور وباء الكوليرا، والتي اضطرت الحجاج والأهالي إلى النزول من منى، حيث كثر بها عدد الأموات، مما حدا بالشريف عون الرفيق إلى ترحيل المحامل قبل أوانها^(١).

ومن الصعوبات التي تعرضت لها ولاية الحجاز أيضاً - في فترة الوالي إسماعيل حقي باشا - هجمات القبائل المتكررة على طرق قوافل الحجاج. ففي شهر رجب ١٣٠٨ هـ / فبراير ١٨٩١ م خرجت قافلة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة تضم ٦٠٠ جملاً، وكان فيها قاضي مكة المكرمة حسين رشدي أفندي، وكثير من الأهالي والأغراب، وعندما وصلت عسفان اعترض طريقها شيخ قبيلة حرب، ورفض عبورها إلا بعد أن يعطيه الشريف عون الرفيق التقارير التي أخذها من جماعته، فأرسل القاضي للشريف عون الرفيق يطلب منه تلك التقارير، وحرصاً على سلامة القافلة، أرسل الشريف عون الرفيق تلك التقارير لشيخ قبيلة حرب، فسمح للقافلة بالعبور، والتوجه إلى المدينة المنورة^(٢).

وفي شهر جمادى الآخر ١٣٠٩ هـ / ٣ يناير ١٨٩٢ م هرب عبيد من قبيلة حرب إلى جدة بتحريض من الأجانب، وكان الهاربون منهم يمنحون وثيقة العتق من قبل الحكومة حال وصولهم إلى جدة، تنفيذاً للمعاهدة التي وقعتها الدولة العثمانية سنة ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٦ م، التي حرمت بموجبها تجارة الرق في أراضيها، وقد أدى ذلك التحريض إلى هروب قرابة عشرين عبداً من قبيلة حرب، فقامت القبيلة بقطع الطريق احتجاجاً على ذلك التحريض، وتسهيل هروب عبيدهم^(٣).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٣؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٥٧ - ٣٥٩.

وفي شهر رجب ١٣٠٩هـ / فبراير ١٨٩٢م، اعترضت قبيلة حرب -في عسفان - القافلة المتجهة إلى المدينة المنورة، ورفضوا عبورها إلا بحضور عبيدهم، ولما طالت مدة حجز القافلة اجتمع الوالي إسماعيل حقي باشا مع الشريف عون الرفيق، وقررا مخاطبة الباب العالي في أمر القافلة المحتجزة، والذي أوصى بإخراج العساكر إليهم وقتالهم، فتجمعت العساكر الموجودة بمكة المكرمة، والطائف، وجدة، وسارت إلى عسفان، فلما وصلت أنباء ذلك إلى مشايخ حرب، سمحوا بعبور القافلة إلى المدينة المنورة^(١).

وفي شوال ١٣٠٩هـ / مايو ١٨٩٢م تعرضت قافلة -على طريق جدة- للنهب والسلب من بعض قبائل البدو، فأرسل الشريف عون الرفيق والوالي إسماعيل حقي باشا البواردية^(٢) والعساكر النظامية، ووقع قتال بين العساكر، والبدو، قتل فيه بعض العساكر، والبدو، والحجاج^(٣).

ونظراً لتلك الهجمات المتكررة من القبائل على طرق قوافل الحجاج - طريق المدينة المنورة ومكة المكرمة - عقد الشريف عون الرفيق اجتماعاً مع الوالي إسماعيل حقي باشا. تقرر فيه تغيير خط سير القوافل عبر الطريق الشرقي، كما تقرر تعيين العساكر النظامية، والبيشة^(٤)، وبعض الأشراف؛ لمرافقة قوافل الحجاج أثناء سيرهم مع الطريق الشرقي؛

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٤.

(٢) البواردية: حرس الشريف المؤلف من الأحرار والعبيد. كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٠.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٦.

(٤) البيشة: هي قوة خاصة لأمرأ مكة المكرمة، وينتمون إلى مدينة بيشة الزراعية التي هي ملكهم، ويتولى قيادتهم شخص منهم، ومقرهم مكة المكرمة، إذ يعتبرون الحرس الخاص لأمير مكة المكرمة ويأتمرون بأمره، وقد قدرت أعداد تلك القوة ما بين ٥٠٠ - ٦٠٠ شخص، وقد كانت قوة البيشة تشارك العساكر العثمانية في الاحتفالات ومراسم استقبال كبار الشخصيات، كما أنها تتعاون مع القوات النظامية في حراسة قوافل الحج بعد أن يأمرهم أمير مكة بذلك. محمد التونسي: مصدر سابق، ج ٥، ص ١٣؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٧٤؛ كرستيان هورخرونيه: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٠؛ عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ٣٨٧؛ إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٦٥، محمد البتوني: مرجع سابق، ص ٨٣، ٢٦٦.

وذلك حماية لقوافل الحجاج من هجمات القبائل^(١). كما قامت الدولة العثمانية بانتداب أحمد راتب باشا إلى الحجاز، للنظر في قضية تمرد قبائل حرب، وقيامها بالهجوم المتكرر على قوافل الحجاج^(٢)، وفي تقريره الذي رفعه إلى الباب العالي في عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م، أشار إلى أن الأسباب التي أدت إلى تمرد القبائل، والتي كان أهمها مشكلة الرق، كما أكد التقرير أن الوالي إسماعيل حقي باشا يعد سببا في تلك المشكلة، وأن تصرفاته لم تكن على الدرجة المطلوبة مع شيوخ القبائل، كما أنه لم يكن يستمع إلى آرائهم، ولا يقبلهم في مقر الحكومة. بل كان يطردهم، مما دفعهم إلى عدم الانصياع لقراراته، وقيامهم بالتمرد والعصيان ضده^(٣).

وحرصا على استقرار الأوضاع الأمنية في طرق القوافل، عقد الشريف عون الرفيق اجتماعاً حضره أحمد راتب باشا، والوالي إسماعيل حقي باشا، وشيوخ قبائل حرب^(٤)، وتوصل الشريف عون الرفيق إلى تسويه مع قبيلة حرب تضمنت بنودها، دفع تعويض -نقداً- عن عبيدهم الهارين، ودفع فدية مالية عن خسائرهم في الغارات والحروب الأخيرة، كما وعدهم بعدم إيواء عبيدهم الهارين، في ميناء جدة، في المستقبل، وعدم استرجاع الغنائم التي تحصلوا عليها في غاراتهم الأخيرة على القوافل^(٥).

إلا أن الوالي إسماعيل حقي باشا اعترض على التنازلات التي قدمها الشريف عون الرفيق لشيوخ قبائل حرب، الأمر الذي أدى إلى عزله عن ولاية الحجاز^(٦) في ١٦ ذي

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٦.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف، Y.E.E 6/15 Y.PRK.UM 15/131؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٧.

(٣) سهيل صابان: تقرير أحمد راتب باشا حول ردة فعل القبائل العربية على مسألة إلغاء الرق في الحجاز عام

١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، ص ٧ - ١٥.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٧.

(٥) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٦) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

القعدة ١٣٠٩ هـ / ١٢ يونيو ١٨٩٢ م^(١)، وعينت الدولة العثمانية بدلاً عنه الوالي السابق عثمان نوري باشا^(٢).

سادساً: الوالي عثمان نوري باشا "الفترة الثانية" (١٣٠٩ - ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ - ١٨٩٢ م):

بعد عزل الوالي إسماعيل حقي باشا في ١٦ ذي القعدة ١٣٠٩ هـ / ١٢ يونيو ١٨٩٢ م، عينت الدولة العثمانية الوالي عثمان نوري باشا^(٣)، وكان آن ذاك والياً على حلب^(٤)، وقد أرسلت إليه الدولة العثمانية أمر تعيينه بالتلغراف؛ ليصل سريعاً إلى الحجاز؛ كي يطفى نار تلك الفتنة المشتعلة بها^(٥)، ووصل الوالي إلى مكة المكرمة في ٣ ذي الحجة ١٣٠٩ هـ / ٢٩ يونيو ١٨٩٢ م، واستقبله الشريف عون الرفيق، وأحمد راتب باشا^(٦).

-
- (١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٧؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦٠.
- (٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٨؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٥؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٥٩ - ٣٦٠؛ محمد المكي: مصدر سابق، ص ٧٢.
- (٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٥؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٥٩ - ٣٦٠؛ محمد المكي: مصدر سابق، ص ٧٢، وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٥.
- (٤) حلب: مدينة في سورية الشمالية، تقع في السهل الذي يمتد من العاصي حتى الفرات. كانت أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية. فتحها المسلمون في القرن السابع الميلادي، وفي القرن العاشر أعيدت إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية من جديد، حاصرها الصليبيون سنة ١١٢٤ م. وفي سنة ١١٧٠ م ضربها زلزال مُدمر. بعد أن أُعيد بناؤها، خربها المغول بداية القرن الخامس عشر الميلادي. ظلت حلب حتى اكتشاف رأس الرجاء الصالح مستودعا للتجارة الأوروبية مع الهند. سنة ١٨٢٢ م. ضربها زلزال آخر، فدمر قسماً منها. موستراس: مرجع سابق، ص ٢٥١ - ٢٥٢.
- (٥) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٥؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٦٠.
- (٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٨.

ويبدو أن الباب العالي شعر بضعف سلطته في الحجاز، فاضطر لإعادة الوالي عثمان نوري باشا - مرة ثانية - في منصبه^(١)، الذي استطاع - بما يملكه من شخصية قوية - ضبط الأحوال في إقليم الحجاز^(٢)، كما كان وصول خمسة آلاف وخمسمائة جندياً عثمانياً، إلى الحجاز، تعزيزاً للقوة العثمانية في الإقليم، مما أدى إلى حفظ النظام في الولاية^(٣).

وبتعيين الوالي عثمان نوري باشا والياً على الحجاز، نشبت نيران النزاع مرة أخرى بينه، وبين أميرها الشريف عون الرفيق، حيث قام عثمان نوري بتغييرات واسعة لأصحاب المناصب الإدارية في الولاية^(٤)، فقام بعزل شيخ المؤذنين، وعين بدلا منه شاكر أمصيلي^(٥)، كما عزل شيخ الزمامة، واستبدله بمحمد سعيد أبو الفرج^(٦)، كما قام بعزل المفتي الشيخ عباس صديق^(٧)، وولى بدلا منه الشيخ عبد الرحمن سراج، ورفض الشريف

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 73/53؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٥؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦١، ٣٦٣.

(٣) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٨؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٥؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٦٠؛ AL-Amr, OP. CIT, P.129.

(٥) لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

(٦) لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

(٧) الشيخ عباس صديق: هو عباس بن جعفر بن عباس بن محمد بن صديق الحنفي المكي، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٤١هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم ولازم العلامة أحمد زيني دحلان ملازمة تامة، فقرأ عليه في النحو والمعاني والبيان والمنطق والفرائض والتفسير والحديث، وتفقه على الشيخ صديق كمال، وحضر درس العلامة السيد محمد حسين الكنتي في الفقه. ولما برع وفضل أذن له مشايخه بالتدريس، فجلس له بالمجلس الحرام ودرّس، وكان ابتداء ذلك في سنة ١٢٦٩هـ، وكان كثير الطواف والتلاوة للقرآن العظيم والأحزاب والأولاد. ولاة الشريف عون الرفيق منصب الإفتاء سنة ١٣١٠هـ. ومكث نحو السنتين. توفي بمكة المكرمة ١٣٢٠هـ، ودفن بالمعلاة. عبد الله غازي: نظم الدرر، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

عون الرفيق تلك القرارات، فقام بعزلهم، وبدأ التنافس بين الطرفين. كما أراد الوالي عثمان نوري باشا أن يعين الشيخ عبد المعطي مرداد^(١) شيخاً على الخطباء، ويعزل الشيخ محمد الزرعة^(٢)؛ لكونه من المؤيدين للشريف عون الرفيق، غير أن الشيخ محمد الزرعة رفض عزل الوالي له، فأدى ذلك إلى حدوث مشادات كبيرة بينه، وبين الوالي عثمان نوري باشا، كما قام الوالي بتشكيل عدة مجالس في الولاية، منها مجلس التمييز، ومجلس الإدارة، وعين عليها بعض أنصاره، وأوعز إلى مؤيديه بأن يكتبوا مضبطة للسلطان عبد الحميد، يتهمون فيها الشريف عون الرفيق بالظلم، والتعدي والإفساد، وكان من بين الذين كتبوا تلك المضبطة، الشيخ عبد الرحمن سراج، والشيخ عبد الرحمن الشيبني، والسيد عبد الله الزواوي^(٣)، والسيد علوي السقاف^(٤).

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

(٢) محمد الزرعة: هو الشيخ محمد الزرعة ابن الشيخ أبي بكر الزرعة المكي الحنفي. شيخ الخطباء بمكة المكرمة، العالم الفاضل الأديب. ولد سنة ١٢٥٠هـ، وبها نشأ. واشتغل بالعلم، ولازم مفتي مكة الشيخ جمال ملازمة تامة، وحضر غالب دروسه من فقهه، ونحوه، وتفسيره، وحديثه. قلده الشريف عون الرفيق منصب مشيخة الخطابة. توفي سنة ١٣٢٧هـ بمكة، ودفن بالمعلاة. عبد الله غازي: نظم الدرر، ص ٥٨٥؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك، ج ٢، ص ١٥٣٩.

(٣) السيد عبد الله الزواوي: هو عبد الله بن محمد صالح الزواوي، مفتي الشافعية بمكة المكرمة، ولد بمكة عام ١٢٦٦هـ، ونشأ بها، والتحق بالمدرسة الصولتية وأخذ عن علمائها، وأخذ عن الشيخ محمد يوسف خياط وغيره، وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام، قام برحلة إلى الهند والملايو، وإندونيسيا والصين واليابان، تقلد في عهد الشريف الحسين بن علي عدة مناصب، منها: رئيس مجلس الشورى، ورئيس مجلس الشيوخ، ورئيس عين زبيدة، توفي بالطائف عام ١٣٤٣هـ. ومن مؤلفاته: بغية الراغبين وقرّة عين أهل البلد الأمين. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ١٣٢؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، ط ٣، تمامة، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ١٤٠ - ١٤٢؛ عبد الله المعلمي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٤٨؛ ركي مجاهد: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٤٠.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٨؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٥.

إضافة إلى تدخل الوالي عثمان نوري باشا في تغيير بعض المناصب، فقد تدخل أيضاً في أمور القبائل، حيث قام بدعوة مشايخ قبيلة حرب إلى اجتماع؛ من أجل العمل على تأمين طريق المدينة المنورة، مما أدى إلى استياء الشريف عون الرفيق، الذي اعتبر ذلك تدخلاً في شؤون الإمارة^(١).

كما قام الوالي عثمان نوري باشا بتحريض معارضي الشريف عون الرفيق^(٢)، وبخاصة الأشراف. لدرجة أنه نجح في تحريض أبناء إخوة الشريف عون الرفيق - الشريف الحسين بن علي وعلي بن عبد الله - في الخروج على عمهم، وبث الدعايات، والتهم ضده^(٣).

وصل الخلاف بين الشريف عون الرفيق، والوالي عثمان نوري باشا إلى درجة يصعب فيها السيطرة على الأمر^(٤)، وعندئذ أرسل الباب العالي لجنة برئاسة تقي الدين الحلبي، والذي كان والياً على الحجاز قبل خمس عشرة سنة، ومعه أحمد راتب باشا، وقد قامت تلك اللجنة بتحقيق دقيق، للنظر في أسباب الخلاف بين الشريف والوالي. وبعد إجراء التحقيقات أدانت اللجنة، الوالي عثمان نوري باشا، وبرأت الشريف عون الرفيق، وجاء في تقريرها أن الوالي عثمان نوري باشا هو المتسبب في الخلاف؛ بسبب تدخله المستمر، غير المبرر، في مهام وأمور هي من اختصاصات الإمارة، وتعد من مهام الشريف

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 73/53؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٥؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 73/53.

(٣) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٧٦؛ حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٤؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٩؛ عبد الله بن الحسين: مصدر سابق، ص ١٩-٢٠؛ رجب حراز: مرجع سابق، ص ١١٦؛ الريحاني: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩؛ فؤاد حمزة: مرجع سابق، ص ٣١٦؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٩٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 73/53.

عون الرفيق. كما أكدت اللجنة على عدم صحة الشكوى التي رفعها الوالي ضد الشريف، وأن الوالي هو الذي كان يقوم بتحريض الأشراف، وشيوخ القبائل الذين لم يكونوا على اتفاق مع الشريف عون الرفيق (١).

كما حققت اللجنة في بعض الاتهامات التي رفعت من قبل بعض الأعيان والعلماء، والتي كانت تتهم الشريف عون الرفيق بأنه مختل العقل، وبذئ اللسان، وبأنه كان يتناول على الرسول ﷺ. وأسفرت نتائج ذلك التحقيق، عن كذب تلك الادعاءات، وبأنها محض افتراء، وتجافي الحقيقة، وأنها كانت بتحريض مباشر من الوالي عثمان نوري باشا، وقد أنكر الذين وردت أسماءهم في الشكوى التي وقعوها، ما ورد فيها، كما أفادوا بأنهم لم يسمعوا شيئاً من الإساءة لرسول الله ﷺ على لسان الشريف، وأنهم أيضاً لا يشككون في قوى الشريف العقلية، وتبرأوا من كل الاتهامات التي ذكرت عنهم (٢).

ومن التحقيقات التي أجرتها اللجنة كذلك، التحقيق في الخلاف الواقع بين الشريف عون الرفيق، وأبناء إخوته، وعلى رأسهم الشريف الحسين بن علي، الذي استدعي من قبل السلطان عبد الحميد للإقامة الجبرية في اسطنبول، بحجة قطع السنة السوء، والاستفادة من خبرته، فمكث في اسطنبول، حتى نصب أميراً على مكة المكرمة عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م (٣).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف BEO 1355/101621, I.HUS 75/R.1310, Y.E.E 6/17؛

أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٨ - ٢٥٩؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦١؛

محمد المكي: مصدر سابق، ص ٧٣؛ بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٥٧. انظر وثيقة رقم (٩) بالملاحق.

(٢) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٣) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٧٦؛ حسين نصيف: مصدر سابق، ج ١، ص ٤؛ خير الدين

الزركلي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٩؛ عبد الله بن الحسين: مذكراتي، ص ١٩-٢٠؛ فائق الصواف: مرجع

سابق، ص ٩٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٥؛ بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٥٨-١٥٩.

وبعد انتهاء اللجنة من التحقيقات رفعت تقريرها إلى الباب العالي، فقرر الباب العالي عزل الوالي عثمان نوري باشا عن ولاية الحجاز في ١٦ ربيع الآخر ١٣١٠ هـ / ٧ نوفمبر ١٨٩٢ م، وتم تعيين أحمد راتب باشا وكيلاً على ولاية الحجاز^(١).
غادر الوالي المعزول عثمان نوري باشا الحجاز، وعين والياً على دمشق، حتى توفي في شوال ١٣١٦ هـ / فبراير ١٨٨٩ م^(٢).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٩، عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ عبد الستار

الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٩٦.

المبحث الثاني

علاقة الشريف عون الرفيق

بولاية الدولة العثمانية في الفترة

(١٣١٠-١٣٢٣هـ/١٨٩٢-١٩٠٥م)

أولاً: الوالي أحمد راتب باشا " الفترة الأولى " (١٣١٠ - ١٣١١هـ/ ١٨٩٢ - ١٨٩٤م)

ولد أحمد راتب باشا في عام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م، وعمل ناظراً للبحرية العثمانية في عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٢م، كما عمل والياً على الحجاز، وقائداً عسكرياً عاماً بها. ووجهت له رتبة الوزارة في عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ومنح الوسام المجيدي في عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، ثم ميدالية الافتخار المرصعة، بناءً على توجيه القيادة العسكرية في الحجاز^(١).

كان الفريق أحمد راتب باشا يحظى بثقة السلطان عبد الحميد الثاني^(٢)، وكان غالباً ما يوكل إليه السلطان بعض المهام التفتيشية لأحوال الجيش والبحرية^(٣)، وقد انتدبه السلطان في اللجنة التي أرسلها إلى الحجاز؛ للنظر في قضية تمرد القبائل العربية؛ بسبب القرارات الخاصة بمسألة الرقيق^(٤)، كما رافق اللجنة التي أرسلها الباب إلى الحجاز للنظر في قضية الخلاف الواقع بين الشريف عون الرفيق، والوالي عثمان نوري باشا، وترأس تلك اللجنة تقي الدين الحلبي^(٥).

ينسب كثير من المؤرخين رئاسة تلك اللجنة للفريق أحمد راتب باشا، كما يدعون أن الشريف عون الرفيق دفع ١٤,٠٠٠ ليرة تركية، رشوة منه لأحمد راتب باشا؛ مقابل تجاهله لشكاوي العلماء والأعيان، والنظر إلى شكواه هو، والمتعلقة بتدخلات الوالي

(١) سهيل صابان: تقرير أحمد راتب باشا، ص ٤ - ٥.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.BSK 35/84؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(٣) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.E.E 6/15 Y.PRK.UM 15/131؛ أحمد بيت المال: مصدر

سابق، ص ٢٥٧؛ سهيل صابان: المرجع السابق، ص ٢، ٦؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف BEO 1355/101621, I.HUS 75/R.1310, Y.E.E 6/17؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٨ - ٢٥٩؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦١؛

محمد المكي: مصدر سابق، ص ٧٣.

عثمان نوري في شؤون أمير مكة المكرمة. ولذلك فقد جاءت قرارات اللجنة لصالح الشريف، ضد الوالي عثمان نوري باشا، مما أدى إلى عزل الأخير^(١).

بينما ينفي أحد الباحثين تلك الواقعة، ويشكك في صحة دفع تلك الرشوة، بهدف تحسين العلاقة بين الوالي أحمد راتب باشا، والشريف عون الرفيق، فأحمد راتب لم يكن رئيساً للجنة كما يعتقد البعض، بل ترأس لجنة التحقيق تلك، والي الحجاز الأسبق، تقي الدين باشا الحلبي، ولو كان في الأمر رشوة، لكان رئيس اللجنة - تقي الدين باشا الحلبي - نال الحصة الأكبر منها، ولأصبح هو محور الأحداث بعد ذلك، كما حدث مع أحمد راتب باشا. وحتى لو سلمنا بصحة تلك الواقعة - دفع الشريف رشوة للوالي - فإن أمرها كان حتماً سينكشف، وكان السلطان أحيط علماً بها، ولكن طال هؤلاء جميعاً عقابه؛ لمخالفتهم أوامره، وبخاصة مع وجود عيون للسلطان في كل مكان في الحجاز، من مدينين وعسكريين على حد سواء، بل حول الشريف نفسه^(٢).

ويرجع الباحث أسباب العلاقة الحسنة بين الشريف والوالي إلى حدوث تحول في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني تجاه الحجاز بشكل عام، وتجاه الشريف عون الرفيق بشكل خاص، إذ أصبحت حركة الجامعة الإسلامية هي محور سياسة السلطان في الحجاز، وبذلك قام الوالي أحمد راتب باشا بتقريب وجهات النظر، وإصلاح ذات البين، بين السلطان عبد الحميد، والشريف عون الرفيق، حتى أصبح الشريف عون هو أكبر

(١) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٢؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٤٤؛ فؤاد حمزة: مرجع سابق، ص ٣١٥؛ فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٨٧؛ سعد الراددي: مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٦؛ AL-Amr, OP.CIT, P.130. وقيل أن الشريف عون الرفيق أرسل رسول منه لاستقبال اللجنة ويحمل صرة فيها ٦٠٠٠ ليرة تركية هدية إلى أحمد راتب باشا. علي الورددي: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٥.

(٢) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٦٠.

دعاة تلك السياسة السلطانية، والراعي لها، في إقليم الحجاز، وبخاصة في أثناء موسم الحج^(١).

على أية حال فقد قرر الباب العالي تعيين أحمد راتب باشا وكيلاً لولاية الحجاز - بعد عزل الوالي عثمان نوري باشا- وكان ذلك في ١٦ ربيع الأول ١٣١٠هـ / ٧ نوفمبر ١٨٩٢م^(٢). ثم عين أحمد راتب باشا والياً على الحجاز بالأصالة في ٢٠ رجب ١٣١٠هـ / ٧ فبراير ١٨٩٣م، مع منحه رتبة المشيرية^(٣).

أدرك الوالي أحمد راتب باشا - بعد تعيينه والياً على الحجاز - حقيقة مفادها أن الولاة الذين سبقوه عندما قاموا بمعارضة الشريف عون الرفيق، عزلوا من مناصبهم، لذلك فقد سعى أحمد راتب باشا سعياً حثيثاً، على تكوين علاقات جيدة مع الشريف عون، حتى وإن أدى ذلك لأن يصبح تابعاً له^(٤).

عقب تقلد أحمد راتب باشا منصب الولاية، شرع في إلقاء الخطاب الذي أعده الباب العالي في إسطنبول، أمام الجنود، والذي ذكرهم فيه بأنهم جنود الإسلام، وأن السلطان العثماني هو خليفة النبي ﷺ، وأنه يتمنى الأفضل لجنوده المنتصرين، وأنهم إنما يجارون إعلاء لراية التوحيد، ورسالة محمد ﷺ، وأن السلطان يقر بالتزاماته لكل أقطار العالم الإسلامي بحماية الجنود، حيث أمر بأن تخفض الخدمة العسكرية في الحجاز ثلاث سنوات، شريطة أن يدين الجنود بالولاء المطلق للسلطان، مع الانصياع التام لأوامره^(٥).

(١) بندر العروي: مرجع سابق، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٩؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٦؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦١.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف I.DAH 29/B.1310؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٥٩؛ سهيل صابان: تقرير أحمد راتب باشا، ص ٤ - ٥. انظر وثيقة رقم (١٠) بالملاحق.

(٤) عماد عبد العزيز: مرجع سابق، ص ١١٢؛ AL-Amr , OP.CIT.P.131 - 132.

(٥) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٦.

وقد أثمرت تلك العلاقة الطيبة بين الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا في استقرار الوضع السياسي والإداري في إقليم الحجاز^(١). غير أن أكبر الأخطار التي واجهت الإمارة والولاية - آنذاك - هي تدهور الأوضاع الصحية في الحجاز، حيث تفشى وباء الكوليرا والذي يُعد من أخطر الأوبئة التي ظهرت في الحجاز، ولم تسطع الحكومة المحلية تقديم الإسعافات اللازمة؛ نظراً لضعف الإمكانيات، مما أدى إلى وفاة الكثير من أهالي الحجاز والحجاج^(٢).

وفي شهر ذي القعدة ١٣١١هـ / مايو ١٨٩٤م، انتشر في مكة المكرمة داء شبيه "أبي الركب"، وهي حمى قوية تمسك الأعضاء، يفقد بسببها المصاب وعيه يومان بليلة، انتشر في بدايته بين الصغار، ثم تطور المرض حتى أصاب الكبار، إلى أن أصاب الشريف عون الرفيق، نفسه^(٣).

وخشيت الحكومة العثمانية من تدخل الدول الأوروبية في شؤون ولاية الحجاز؛ بسبب تردي الأوضاع الصحية في الولاية، وخشيت من تدخل الدول الأوروبية في شؤون الولاية^(٤)، فانتدبت عساف باشا لبحث مدى تردي الأوضاع الصحية في البلاد^(٥) وبعد بحثه لتلك الأحوال أعد تقريراً إلى الباب العالي، أتهم فيه الوالي أحمد راتب باشا، بتقاعسه، وبعدم قيامه بالجهد اللازم للسيطرة على وباء الكوليرا، ورفض الوالي ذلك الاتهام الموجه إليه، مبرراً ذلك؛ بعدم وجود المال اللازم للوفاء بالمتطلبات العسكرية،

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف 29/24 , Y.PRK.UM 24/129 , Y.PRK.BSK 35/84 .

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦١؛ محمد رفيع: مرجع سابق، ص ٢٢٨؛ جولدن يلدز: مرجع سابق، ص ١٤٩ - ١٥٢.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٦.

(٤) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٢؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

والدينية، والصحية، في الحجاز، والتي سبق وأن أرسل في طلبها من إسطنبول^(١). كما وجه عساف باشا اتهامه إلى الشريف عون الرفيق، بعدم توفير الأمن في الإقليم، ويرجع السبب في ذلك إلى أن بعض ممتلكات عساف باشا تعرضت للسرقة، فحبس الشريف عون الرفيق، محمد تمتاز - مطوف عساف باشا - وذلك لأن المذكور غسل لعساف باشا ثيابه، وفي أثناء مسيره في الطريق اعترضه بعض اللصوص، وسرقوا ممتلكات الباشا، فتوجه محمد تمتاز إلى الشريف عون يشكي له ما تعرض له من اللصوص، فأرسل الشريف - على الفور - البواردية، فقصوا الأثر، فلم يروا شيئاً، ونتيجة لذلك توترت العلاقة بين عساف باشا، وبين الشريف عون الرفيق، مما حدا بعساف باشا، أن يرسل خطاباً إلى الباب العالي يشكو فيه من عدم توفر الأمن بمكة. إلا أن الشريف عون الرفيق بعد أن حقق في واقعة السرقة تلك، اكتشف أنها كانت حركة مفتعله من بعض المعارضين له، من أجل أن يتكلم عساف باشا في الولاية، وكان من هؤلاء المعارضين الشيخ إبراهيم العجمي، ولذلك أمر الشريف بحبسه، واتهمه بأنه هو الفاعل، وأنه هو الذي تسبب في توتر العلاقة بين الشريف عون الرفيق، وبين عساف باشا. وكان العجمي من المؤيدين لعثمان نوري باشا؛ ولذلك قام الشريف بعزله، ومحا اسمه من دفتر الأئمة^(٢).

على أية حال فقد تسبب ذلك التقرير الذي رفعه عساف باشا إلى الباب العالي، في إقالة الوالي أحمد راتب باشا عن منصبه^(٣) في ٤ ذي القعدة ١٣١١هـ / ٩ مايو ١٨٩٤م، وعين بدلاً منه حسن حلمي باشا^(٤)،

(١) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٥.

(٣) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٦؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٦-٢٧٧؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦٢.

وغادر الوالي المعزول إقليم الحجاز، بعد أن أتم مناسك الحج، وتوجه إلى اسطنبول^(١).

ثانياً: الوالي حسن حلمي باشا (١٣١١ - ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ - ١٨٩٥ م)

تولى حسن حلمي باشا ولاية قونية^(٢) في منطقة الأناضول^(٣)، واشتهر بالعدل، واللين، والسياسة المعتدلة الحكيمة، مع حزم الأمور^(٤)، وأسندت إليه ولاية الحجاز في ٤ ذي القعدة ١٣١١ هـ / ٩ مايو ١٨٩٤ م^(٥)، إلا أن سلطته في الحجاز كانت ضعيفة ومنقوصة؛ نظراً لأن الباب العالي لم يسند له قيادة القوات العثمانية العسكرية في الإقليم^(٦). ثم وجهت إليه رتبة الوزارة في جمادى الآخرة عام ١٣١٢ هـ / ديسمبر ١٨٩٤ م^(٧).

وصل الوالي حسن حلمي باشا إلى مكة المكرمة، وكان في استقباله الشريف عون الرفيق، والوالي المعزول أحمد راتب باشا^(٨)، وما لبث الوالي أن تعرض لحمى شديدة

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) قونية: مدينة في تركيا الآسيوية (الأناضول)، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية قره مان. مقر أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية. تعرف بالمدينة المكتظة بالسكان، كما تعرف أيضاً بالمدينة المشهورة جداً. كانت المدينة في عهد المخطاط الإمبراطورية الرومانية مركز إقليم. أصبحت في العام ١٠٧٤ م مقر الإمبراطورية التركية السلجوقية في آسيا الصغرى. موستراس: مرجع سابق، ص ٤١٢.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 7/101. انظر وثيقة رقم (١١) بالملاحق.

(٤) أمة الملك إسماعيل قاسم الثور: الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية في فترتي الحكم العثماني الأولى لليمن (٩٤٥ - ١٠٤٥ هـ / ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م، ١٢٨٩ - ١٣٣٦ هـ / ١٨٧٢ - ١٩١٨ م، جامعة الملك سعود، م ٢٢، السياحة والآثار (٢)، الرياض، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ص ١٣٧.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٧؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٦) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

(٧) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧١.

(٨) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 7/101؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٧.

أصابته، بعد أدائه فريضة الحج، بسبب الارتفاع الشديد لحرارة الأجواء في مكة المكرمة، فنصحه الأطباء بالتوجه إلى الطائف، ومكث فيه فترة، حتى تحسنت حالته الصحية، ثم رجع إلى مقر ولايته في مكة المكرمة^(١).

في بادئ الأمر سادت علاقة حسنة بين الشريف عون الرفيق، والوالي حسن حلمي باشا^(٢)، ولم يتعكر صفو تلك العلاقة، إلا حينما طلب البناشي^(٣) القائم في الحميدية من مشايخ الأحياء، أن يحرص كل شيخ بيوت حارته، وكان ذلك القرار من البناشي هو نقطة التحول في تلك العلاقة، فقد تسبب في تدهور العلاقة بين الطرفين، حيث ذهب الشريف إلى الوالي يسأله عن ذلك القرار الذي اتخذ البناشي، فأنكر الوالي معرفته بذلك الأمر، وأرسل الشريف للحميدية يستفسر الخبر فقالوا: إننا أمرناهم بتعيين البيوت التي تحتاج إلى تصليح، فطلب الشريف عون من شيوخ الأحياء عدم حصر البيوت؛ خوفاً من أن يعتقد الناس أن ذلك مقدمة لفرض الجزية^(٤).

وقد عانت ولاية الحجاز - آنذاك - من سوء الأوضاع الصحية^(٥)، وكانت الدولة العثمانية حريصة على تحقيق النظافة الصحية في الولاية، وبخاصة أثناء موسم الحج، حيث دأبت على إرسال مسؤولين - سنوياً - من أعضاء المجلس الصحي؛ للأشراف على أمور النظافة في مكة، ومنى، وعرفات^(٦)، ففي رمضان عام ١٣١٢ هـ / مارس ١٨٩٥م أوفدت الدولة عشرين طبيباً إلى مكة المكرمة، وتفرقوا في أحيائها، وأمروا مشايخ الحارات بالتنظيف، وخصصوا لهم عربات لنقل النفايات، كما قام الأطباء

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 31/124؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٦٧.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 7/101.

(٣) البناشي: رتبة عسكرية عثمانية، وهي تعادل رتبة المقدم. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٦٦.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٢.

(٥) محمد البنتوني: مرجع سابق، ص ٦٣.

(٦) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٥٤.

بإصدار أوامر للعساكر بتفقد المحلات التجارية، والاهتمام بنظافتها، وإزالة الأشرطة الموضوعة عليها، وطلبوا منهم أن يستبدلوها بالقماش الخشن بدلاً من الخيش، فاعترض أصحاب المحلات على ذلك، وتوجهوا إلى الشريف عون الرفيق، وطلبوا منه وقف الأعمال التي يقوم بها الأطباء في إزالة أشرعتهم، وبذل الشريف عون جهداً كبيراً حتى أقنع الأطباء بالتراجع عن ذلك القرار، نظراً لرقرة حال أصحاب تلك المحلات، وفقر الأسواق، فافتنع الأطباء بذلك، وبقيت أشرطة تلك المحلات على حالها^(١).

كما قام الأطباء بمصادرة بعض أنواع الفواكه، وأجبروا الداليلين على عدم بيع البضائع إلا بعد فحصها بأجهزة التعقيم، الأمر الذي اعترض عليه أهل السوق، وكتبوا في ذلك عريضة للشريف عون الرفيق يعربون له فيها عن تدمرهم، وعدم رضاهم من الإجراءات التي يقوم بها الأطباء، فسمح لهم الشريف بالبيع^(٢).

أدى تدمر السكان من إجراءات الحجر الصحي إلى قيامهم في عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م، بمهاجمة أطباء الحجر الصحي، وتدمير أحد أجهزة التعقيم، فاضطر الأطباء للهرب، واختفوا في الحميدية خوفاً على حياتهم. وعندما وصل الخبر إلى الوالي حسن حلمي باشا، أمر بعدم اتخاذ أي إجراء ضد أولئك السكان على ما فعلوه، لأن الوقت كان حرجاً وخشياً - حينها - من الفتنة^(٣)، وحرصاً منه على عدم إراقة الدماء في دائرة الحرم الشريف. ولم تسلم ماكينة التطهير في جدة من التخطيم - هي الأخرى - بواسطة الحجاج البخاريين، وهروب المفتشين الطبيين إلى السفن في الميناء^(٤).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٤.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

وقد سبق وأن حذر الشريف عون الرفيق - مراراً وتكراراً - الوالي، والقائد العسكري في الحجاز، من مغبة تلك الإجراءات التي تقوم بها الحكومة العثمانية، وبخاصة منع الرقيق، وإجراءات الحجر الصحي، لأن السكان لا يتقبلونها، ولا يرضون بها، وقد نجم عن تلك الإجراءات إلى قيام العربان بالتعدي على بعض القناصل والدبلوماسيين الأجانب، ففي عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م تعرض القنصل البريطاني " وليم ريتشارد " ونائبه " عبد الرزاق "، والقنصل الروسي بالإنابة، والسكرتير الأول للقنصلية الفرنسية - الذين كانوا عند إحدى بوابات جدة الخارجية - حيث تمت مهاجمتهم من قبل رجال بعض القبائل، وأدى ذلك إلى مقتل نائب القنصل البريطاني " عبد الرزاق " وأصيب الباقون، فالتجأ معظم المسيحيين في جدة إلى السفن الأوروبية داخل الميناء^(١).

وخشي السلطان عبد الحميد من اتخاذ الدول الأوروبية هذه الحادثة ذريعة للتدخل العسكري في الحجاز، وبالتالي ضياع هيبة الدولة العثمانية، من أجل ذلك أمر الصدر الأعظم، والي الحجاز، وأمير مكة المكرمة باتخاذ اجراءات سريعة وحاسمة؛ لإعادة فرض الأمن والنظام، والقبض على المعتدين^(٢)، ألا أن الساسة البريطانيين حملوا والي، وأمير مكة المسؤولية الكاملة لتلك الاعتداءات التي حدثت لهم، وطالبوا بعزلهم^(٣)، كما هددت فرنسا -بطريقة غير مباشرة - بأن الدول الأوروبية ستقوم بتدويل جدة، إذا لم يتم معاقبة أولئك المعتدين^(٤).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\90 , Y.A.HUS 329\85؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق،

ص ٢٧٥؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٦، ص ٤١٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 329\85؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١٠-٣١١؛

دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٣) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١١؛ صالح العمرو: مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩؛ دائل الخالدي: مرجع

سابق، ص ١٨٤.

(٤) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١١؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٨٤-١٨٥.

وزدادت الضغوط الأجنبية - على الدولة العثمانية - بسبب قدوم سفن حربية بريطانية وفرنسية إلى جدة^(١)، بالرغم من حث والي الحجاز، نظارة الخارجية العثمانية لإقناع سفارتي بريطانيا وفرنسا بإسطنبول، بعدم الحاجة إلى إرسال السفن إلى جدة^(٢)، وأن الولاية اتخذت كافة التدابير اللازمة لاستعادة الأمن، وبأنه قد تم القبض على ١٤ من البدو المشتبه بهم^(٣)، وعقد أمير مكة اجتماعاً مع بعض قناصل الدول الأجنبية الذين طالبوه بضرورة توفير الأمن ومعاينة المعتدين، كما قام أمير مكة بزيارة إلى قباطنة السفن البريطانية الراسية في الميناء؛ لتهديتهم وطمأنتهم، وإزالة التوتر معهم^(٤). وفي محاولة من العثمانيين لمنع التدخلات الأجنبية، تم عزل قائمقام جدة وتعيين بديل عنه، إضافة إلى إرسال المزيد من القوات العسكرية العثمانية إلى جدة^(٥)، مما ساعد على استتباب الأمن في جدة، بعد إزالة أسباب القلق والخوف لدى الأجانب، الذين تم تحذيرهم من تجاوز سور المدينة ليلاً^(٦)، كما وعد والي، والأمير، بسرعة القبض على المعتدين بعد انتهاء موسم الحج، وعودة الحجاج إلى بلادهم^(٧)، وذلك بعد أن تم تحديد هويتهم^(٨)، وبالرغم من قيام أمير مكة المكرمة بحمله ضد أولئك المعتدين على القناصل، إلا أنها لم تحقق أهدافها، واستطاعت الدبلوماسية العثمانية تطويق تلك الأزمة وإنهاءها^(٩).

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\100 , 330\8 Y.A.HUS؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١٠.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\53 Y.A.HUS.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\90 , 330\126 Y.A.HUS.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\53 Y.A.HUS؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\90 Y.A.HUS؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١١.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف 330/53 Y.A.HUS؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\90 Y.A.HUS.

(٨) الأرشيف العثماني، تصنيف 330\126 , 330\90 Y.A.HUS.

(٩) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ١٨٥.

ونتيجة لتدهور الأوضاع الصحية والأمنية في ولاية الحجاز، وعزوف الوالي حسن حلمي باشا، عن اتخاذ إجراءات تأديبية ضد قبيلة حرب جراء ما قاموا به من فوضى واعتداء، وذهابه إلى الطائف متعللاً بصحته^(١)، قرر الباب العالي عزله من ولاية الحجاز، وكان ذلك في ٢٩ ذي الحجة ١٣١٢هـ / ٢٣ يونيو ١٨٩٥م^(٢)، وتم تعيين الوالي أحمد راتب باشا^(٣). وفي غرة محرم ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م، غادر الوالي المعزول مكة المكرمة، وتوجه إلى اسطنبول^(٤)، ثم عين والياً على اليمن ١٣١٦هـ - ١٣١٨هـ / ١٨٩٨ - ١٩٠٠م^(٥).

ثالثاً: الوالي أحمد راتب باشا "الفترة الثانية" (١٣١٢-١٣٢٣هـ/١٨٩٥-١٩٠٥م)

بعد عزل الوالي حسن حلمي باشا في ٢٩ ذي الحجة ١٣١٢هـ / ٢٣ يونيو ١٨٩٥م^(٦)، كانت هناك مساع من بعض الموظفين في الحجاز، ومن الشريف عون الرفيق، في تعيين المشير أحمد فيضي باشا^(٧)؛ نظراً لعلاقته الحسنة بأمرير مكة المكرمة^(٨).

(١) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٧؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٥.

(٥) سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ٩٥؛ أمة الملك الثور: مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٥؛ عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٧؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٧) أحمد فيضي باشا: قائد عسكري، عمل مشيراً للجيش العثماني السادس في بغداد، وكان قائداً للجيش العثماني في الحجاز عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧ - ١٨٨٨م، كلف بإجراء الإصلاحات الإدارية اللازمة في القصيم عام ١٣٢٢هـ / أكتوبر ١٩٠٤م، وقبل أن يكمل ما اعترزم من أجله أمر بالتوجه مع عساكره إلى اليمن لإخماد الثورة التي نشبت فيها، حيث عين قائداً عاماً للقوات العثمانية في اليمن ووالياً لها. سهيل صابان: المرجع السابق، ص ٤٨.

(٨) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM32/87.

غير أن الدولة العثمانية قررت تعيين أحمد راتب باشا والياً على الحجاز، وقائداً عسكرياً للقوات العثمانية به، وذلك للمرة الثانية^(١).

وصل الوالي الجديد إلى مكة في ٢٩ محرم ١٣١٣هـ / ٢٢ يوليو ١٨٩٥م، وقرئ فرمان الخاص بتوليته على الإقليم، بحضور الشريف عون، وكثير من الأشراف، وأركان المأمورين العسكريين، والعلماء، والسادات الأكابر، وكثير من الأهالي والمجاورين^(٢).

رحب الشريف عون الرفيق بقرار تعيين الوالي أحمد راتب باشا على ولاية الحجاز، كما أنه سعد كثيراً بالعمل معه؛ نظراً لما يملكه من قدرات إدارية، وعسكرية، حققت الأمن والاستقرار في الولاية^(٣). وفي المقابل بذل الوالي كل ما في وسعه من أجل تقوية العلاقات بينه، وبين أمير مكة المكرمة^(٤).

وتعتبر العلاقة التي تكونت بين الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا، حدثاً نادراً في تاريخ الحجاز؛ حيث لم تحدث خلافات إدارية، أو شخصية بين الطرفين^(٥)، ولعل ذلك كان راجعاً إلى تضافر كلا الطرفين، وتعاونهما الجاد، وتجاوزهما عن أي نزاع من شأنه إثارة الفرقة بينهما، فالشريف عون الرفيق، قد يئس من تعيين والي عثماني يسير على هواه، ولا يقف عقبة أمام مصالحه، ورأى أن أحمد راتب أفضل من غيره، أما الوالي العثماني فقد سائر عون الرفيق، ولم يتدخل في صلاحياته، فضمن

(١) محمد المكي: مصدر سابق، ص ٧٣؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٥؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٧؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٦٢ - ٣٦٣؛ سهيل صابان: تقرير أحمد راتب باشا، ص ٥؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١٠.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 47/106؛ إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٦.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 32/87.

(٥) إسماعيل جارشلي: المصدر السابق، ص ٢٢٦.

الاستمرار في منصبه إلى ما بعد وفاة الشريف عون الرفيق^(١)، وبقي متفقاً مع خليفته الشريف علي بن عبدالله في السراء والضراء^(٢)، إلى أن صدر قرار عزله في زمن الاتحاديين؛ بسبب تباطؤه في إعلان الدستور^(٣).

ويعزو الباحث السبب في استمرار الوالي أحمد راتب باشا في منصبه -طوال تلك الفترة- إلى كونه معادياً للإنجليز، الأمر الذي وطد العلاقة بينه، وبين السلطان عبد الحميد الثاني.

فقد هاجم القنصل البريطاني " آرثر ألبان "^(٤) **Orthur Alban** الوالي أحمد راتب باشا، حيث قال: " لدي بعض الخبرة والتجربة عن الجيدين والسيئين، واللامباليين من الموظفين العرب والعثمانيين، غير أنني لم أقابل شخصاً أظهر العجز، والتضليل، وعدم الكفاءة، والفظاظة الرسمية، والكذب بلا حياء، بدرجة ملفتة للنظر، أكثر من أحمد راتب باشا، وعندما أقول ذلك لا أزيد على التقييم الشعبي لشخصيته "^(٥).

وقد وصف كثير من المؤرخين العلاقة بين الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا، بأنها علاقة قامت على أساس الظلم والعسف^(٦). بينما يذكر رفعت: " تولى راتب

(١) أريج القشامي: مرجع سابق، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٧٣.

(٣) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٦٩؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٧٣، ٣٧٦؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٣٨٢؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٠؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٤) آرثر البان: كان قائماً بأعمال القنصلية البريطانية في الفترة من ١٨٨٥ - ١٨٨٦ م. صالح العمرو: مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٥) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٦) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٧؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق ٣٦٥.

باشا - ولاية الحجاز - فاتفق مع الشريف عون على تأسيس المظالم، وبناء أركانها القوية، فكل واحد منهما كان يبتدع مظلمة ويسكت الآخر عن الإنكار عليه" (١).

ويشير سعد الراددي إلى أنه: " قد اتفقت مصلحة الوالي الشخصية مع مصلحة الشريف، فتقاسما المصالح وتعارضوا المنافع" (٢)، في إشارة إلى استيلاء كل منهما على نسبة معينة من الأموال الواردة من الحجاج جراء تقسيم الطوافة (٣). وعلى أثر ذلك سوف نستعرض الأوضاع التي شهدتها ولاية أحمد راتب باشا الثانية.

الوضع الأمني:

أثمرت العلاقة الحسنة بين الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا (٤) إلى استقرار نسبي في الناحية الأمنية لإقليم الحجاز (٥)، إلا أن أكثر الأخطار التي واجهت الإمارة والولاية - آنذاك - ذلك التمرد الذي كانت تقوم به القبائل البدوية، بين الحين والآخر، مما أدى إلى حدوث بعض الاضطرابات الأمنية في الحجاز (٦). وكان من أكبر تلك التمردات التي شكلت خطراً على الدولة العثمانية في إقليم الحجاز، ما عرف بمحاذة القناصل في جدة عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م (٧).

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٢.

(٢) سعد الراددي: مرجع سابق، ص ٢٨٤.

(٣) فائق الصواف: مرجع سابق، ص ٩٠؛ أريج القشامي: مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.BSK 35/84, Y.PRK.UM 24/129, 29/24؛

إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٦.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 47/106.

(٦) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 329\85, 330\90؛ أحمد بيت المال: مصدر سابق،

ص ٢٧٥؛ عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٦، ص ٤١٧؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٠٩، ٣١٠.

فعندما قررت الدولة العثمانية تعيين الوالي أحمد راتب باشا على ولاية الحجاز، سلمته الدولة ٤٠,٠٠٠ ليرة تركية، وخصصتها الدولة لرؤساء القبائل الحجازية، من أجل ضمان إلقاء القبض على المذنبين بجائحة القناصل الأجانب^(١). وبعد وصول الوالي إلى مكة المكرمة اجتمع مع الشريف عون الرفيق ومع مشايخ حرب^(٢)، وطلب الشريف من مشايخ حرب تسليم ثلاثة من أشرفهم كرهائن؛ لضمان إجراء محاكمة عادلة للمتهمين، فطلبت القبيلة - في المقابل - تسليم سكرتير الشريف كرهينة، غير أن أمير مكة رفض ذلك العرض، كما رفضت القبيلة تسليم رهائن منهم للشريف^(٣).

عندئذٍ قرر الشريف عون الرفيق والوالي أحمد راتب باشا، القيام بحملة عسكرية ضد قبيلة حرب، وجمعا لتلك الحملة قبيلتي عتيبة وهذيل، وشنوا الحملة على قبيلة حرب، وغنموا منهم غنائم كثيرة^(٤).

غير أن نتائج تلك الحملة التي حدثت في عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م، لم تكن مرضية - من وجهة النظر الأجنبية^(٥) -، فذهب الوالي أحمد راتب باشا إلى القناصل في جدة، وأخبرهم بأن الدولة العثمانية، ستقوم بدفع خمسين ألف جنيهاً، دية عن الأجانب، الذين قتلوهم العرب^(٦). وهكذا نجحت الدبلوماسية العثمانية في تطويق تلك الأزمة وإنهاءها^(٧).

(١) المرجع نفسه، ص ٣١١.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٦.

(٣) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٢٣٨ - ٢٣٩؛ وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف YPRK.UM 35/100 , 340/126 , Y.A.HUS 338/36؛

أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٥) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١٢.

(٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٧) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣١٢ - ٣١٣.

واستمرت هجمات القبائل البدوية على قوافل الحجاج، ففي ذي الحجة سنة ١٣١٤هـ / مايو ١٨٩٧م اعترضت قبيلة حرب القافلة المتجهة إلى المدينة المنورة في رابع^(١)، ومنعوا مرورها، وبقيت القافلة متعطلة في رابع^(٢). وفي العام التالي، قطعت قبيلة حرب طريق ينبع، ومنعوا القوافل من المسير إلى المدينة المنورة قرابة ثمانية أشهر^(٣)؛ وذلك لعدم وصول الإعانات الخاصة بهم من الدولة العثمانية^(٤)، وعندما وصل الخبر للشريف عون الرفيق والوالي أحمد راتب باشا، أخبروا الدولة بذلك، فجاء الرد بأن الإعانات قد تم تحويلها لهم إلى ينبع^(٥).

وفي عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م تعرضت قافلة حجاج ليلاً -بالقرب من جدة- إلى هجوم، وقتل في هذا الهجوم امرأة هندية، ورجل مالي، وجرح فيه كثيرون. وطلب القنصل البريطاني من الوالي أحمد راتب باشا تقديم التعويض المالي لهؤلاء الحجاج، لأنهم من رعايا الدولة البريطانية^(٦). وبوصول الطلب إلى الوالي، قام برفعه إلى الشريف عون، طالباً منه التحري في الأمر، واسترجاع المسروقات من البدو إن أمكن، وكان أمير مكة المكرمة يدفع تلك التعويضات، ولكن بعد سنوات من التأخير، وبأقل من قيمتها الفعلية^(٧).

(١) رابع: بلدة حجازية ساحلية، تقع بين جدة وينبع، وتبعد عن جدة حوالي ١٥٥ كم شمالاً، وعن ينبع ١٩٥ كم جنوباً، وهي إحدى الموانئ الصالحة لرسو السفن، كما أنها تشتهر بالزراعة. عاتق البلادي: معجم

معالم الحجاز، ج ٤، ص ٦٥٣

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٥.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM 52/90.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٧؛ عبد العزيز دولتشين: مصدر سابق، ص ١٦٠.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٧.

(٦) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٢٤٦.

(٧) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٢١.

وفي نفس العام قطعت قبيلة السعادين^(١) طريق الطائف فجهز الشريف عون الرفيق، والوالي حملة عسكرية، تمكنت تلك الحملة من محاصرة القبيلة، ولما اشتد الحصار عليها، قرر شيوخ القبيلة التفاوض مع الشريف، فأمر بقتل اثنين من شيوخهم، وعفى عن الباقين، كما أرسل الشريف عون الرفيق حملة عسكرية أخرى ضد قبيلة حرب، حيث كانوا ينهبون طريق مكة - جدة، وتمكنت الحملة من إلحاق الأضرار والخسائر بقبيلة حرب^(٢)، وردا على تلك الغارة، قامت قبيلة حرب بهجوم على قافلة تتكون من ٧٠ جملاً ومعها ٥٣ جندياً عثمانياً لحراستها، وكانت القافلة محملة بالبضائع المختلفة، ومن ضمنها تلسكوب^(٣) للشريف عون الرفيق اشتراه من لندن بسعر ٢٠٠٠ جنية إسترليني . فبعد مسيرة ١٠ أميال من مدينة جدة، تعرضت القافلة لهجوم مسلح من ٣٠٠ بدوي، وتم سلب بضائع الجمال، وحدث صدام بين المهاجمين والجنود، وقتل من البدو أحد شيوخهم، وقطع رأسه وعلق في مكة المكرمة. وتدخل أحد المشايخ لحل المشكلة بين الشريف، وقبيلة حرب حتى يعيدوا التلسكوب الذي سرق، ولكن تلك الوساطة لم تنجح بسبب مقتل شيخ القبيلة^(٤).

وفي رمضان ١٣١٧هـ / فبراير ١٩٠٠م. غادرت قافلة تجارية تتكون من ٢٣٠٠ جملاً ميناء ينبع، متجهة إلى المدينة المنورة، محملة ببضائع مختلفة، وفي طريقها إلى المدينة

(١) قبيلة السعادين: بطن من ولد محمد بن ميمون من بني سالم من حرب. ديارهم وادي الحمض. وينقسمون إلى: الحوفا، والحبالين، ومن الحوفا: المصاريع، والمهاينة، والذيابة، والعيادا، واليزد. ومن الحبالين: المصلح، والسكارين، والحطاحطة، والمشطة، والضعنات. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٢١٦.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٩٧.

(٣) التلسكوب: آلة بصرية أو منظار يقرب الأشياء البعيدة، ويستعمل لرصد الكواكب والنجوم. أحمد مختار: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٩٧.

(٤) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٢٤٧.

هوجمت من بعض القبائل، وفقد من القافلة ١٥٠٠ جملاً، كما قتل عدد من الحجاج المرافقين لها، بينما قتل من أفراد تلك القبائل من ٣٥ إلى ٤٠ رجلاً^(١).

وفي ذي الحجة ١٣١٧هـ / أبريل ١٩٠٠م، خرجت قافلة مكونة من ٥٠٠ جملاً من مكة المكرمة، متوجهة إلى المدينة المنورة، وعند وصولها إلى وادي الصفراء، اعترضتها القبائل هناك، وطالبوا بدفع رسوم مرور القافلة في ديارهم، وحدث قتال بين البدو وحراس القافلة، وقتل ٨ من الحجاج المرافقين، وجرح عدد آخر، كما تعرض البدو المهاجمون للقتل والإصابة. وعندما علم الشريف عون الرفيق بذلك، أرسل مندوباً مع قوات البيشة الخاصة بالشريف للنظر في الوضع، ولكن القافلة لم تتحرك إلا بعد أن تم دفع المبلغ المحدد لمرور القافلة^(٢).

وقامت العربان سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠١م، بالهجوم على أسلاك وأعمدة خط الإشارات البرقية -الذي وضع على الطريق الشرقي بين مكة المكرمة والمدينة المنورة - فأحرقوا ١٢٠٠ عاموداً، وهاجموا ٣٠٠ جملاً، كانت تحمل أعمدة خط الإشارات البرقية، كما قتلوا بعض أصحاب الجمال، مما جعل الشريف عون يرسل بعض قواته لتأديب أولئك العربان، وعندما علم السلطان عبد الحميد بما قام به شريف مكة المكرمة، أرسل له مكافأة ١٥٠٠ ريالاً فرنسياً، و ٦٠ جبه^(٣)؛ تقديراً له^(٤).

وبالقرب من مدينة جدة تعرض الأشخاص المسئولون عن مد خط التلغراف من جدة إلى المدينة المنورة، لهجوم من القبائل، وكان ذلك في سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م،

(١) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٧ - ٢٤٨؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٢٣١ - ٢٢٢.

(٣) جبه: نوع من الدروع الواقية، وكانت تلبس لحماية الجسم من نيران العدو. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٨١.

(٤) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٠-٣٨١.

حيث قام أفراد القبيلة بإطلاق النار في جميع الاتجاهات لمدة ساعة، وأسفر ذلك الهجوم عن مقتل ستة من الجنود العثمانيين، وجرح ستة آخرون، وتم تدمير أعمدة التلغراف، وسلب ١٠٠ رأس من الأغنام التي كانت مع فريق التركيب^(١). فتدخل الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا، للحيلولة دون وقوع مثل تلك الغارات، ودفعوا بعض الأموال لشيخ القبائل؛ في مقابل تعهدهم بعدم تكرار تلك الغارات، والحفاظ على خط التلغراف^(٢).

وفي سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م، أعد الشريف عون الرفيق قوة من قبيلة هذيل، بلغ عددها ١٠٠٠ رجل؛ لتأديب بعض القبائل، وفي أثناء سير القوة قابلت قافلة من عشرين جملاً تحمل تمرًا لبيعه في مكة المكرمة، وكانت القافلة لعشيرة صغيرة من قبيلة حرب، فهاجمت قوة هذيل التابعة لشريف مكة المكرمة تلك القافلة، وسلبتها جمالها وتمرها، مما أدى إلى نشوب قتال بين قبيلتي حرب وهذيل، أدى إلى مقتل رجلين وامرأة من هذيل، بينما قتل رجلان من حرب، وجرح الكثير من الطرفين^(٣). وفي نفس العام تعرض الوالي أحمد راتب باشا - خلال سفره من مكة المكرمة إلى الطائف - لهجوم من قبل القبائل^(٤).

وفي ذي القعدة من عام ١٣٢١ هـ / يناير ١٩٠٤ م - قامت قبيلة حرب باعتراض القوافل في طريق مكة - جدة ، وقامت بعمليات سلب، ونهب، وقتل الكثير من الحجاج^(٥)، ونظراً لكثرة عمليات السطو والنهب في طريق جدة - مكة، اقترح الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا، إرسال طواير من العساكر، وتوزيعهم في نقاط

(١) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٢) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٢٣.

(٣) حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٥؛ وليم أوكسنولد مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٥) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٩؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٠.

معينة على طول الطريق؛ من أجل حماية الحجاج والمسافرين، كما تم وضع خزانات الماء العذب، سبيلاً للحجاج المشاة، كما تقرر أيضاً منع المقومين من حمل السلاح في الطريق، ومنع كذلك عوائد ومرتبات قبيلة حرب، وخصص للحجاج طريق مسلّكهم من مكة، ثم جدة، ومنها إلى ينبع ثم إلى المدينة، وأنت تلك الإجراءات - التي قام بها الشريف والوالي - بثمارها، فتحقق الأمن على طول الطريق، وانخفضت أسعار البضائع^(١).

نجحت تلك الجهود التي قام بها الشريف عون الرفيق والوالي أحمد راتب باشا في حفظ الأمن على طريق مكة - جدة ، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع اعتراضات لقوافل الحجيج، فبعد موسم حج ١٣٢١هـ / ١٩٠٤م، وأثناء توجه قافلة الحج المصرية من ينبع إلى المدينة المنورة، رفض مشايخ الأحامدة السماح للقافلة بالمرور عبر أراضيهم، وهددوا بمهاجمتها إذا لم تدفع لهم أموالاً طائلة تمثل مرتبات ٢٥ سنة مضت، وذلك على الرغم من أن المحمل المصري لم يمر خلال تلك السنوات بأراضيهم، ومما زاد في طمع القبائل وتعتنتهم، مرافقة ابن دينار - وزير المغرب الأقصى وأمير حجها - لركب ذلك المحمل، فتمادوا في طلباتهم، وبعد قدوم رئيس المحمل المصري إلى الشريف عون الرفيق يخبره بما جرى، قرر الشريف تغيير سير المحمل من ينبع إلى طريق رابع، تفادياً للاصطدام بالقبائل، وبعد ذلك الإجراء تمكن المحمل من الوصول إلى المدينة المنورة^(٢).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣١٠.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣١٠؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ٢، ص ٧١، ٨٨، ٨٩؛ ٨٩،

حمد القحطاني: مرجع سابق، ص ٢٥١.

الوضع الإداري:

نتج عن العلاقة الحسنة بين الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا^(١)، استقرار نسبي في الأوضاع الإدارية، وقام كلاً من أمير مكة المكرمة، ووالي الحجاز، بجهود كبيرة في العناية بالمسجد الحرام، ومن الأمثلة على ذلك قيام الشريف بهدم دكة^(٢) الأغوات^(٣) التي تم بناؤها أيام الوالي عثمان نوري باشا، بعد أن طلب الأغوات من الدولة العثمانية أن تبني لهم مكاناً خاصاً بهم، حيث كانوا يجلسون في مقام الحنبلي تجاه البيت الشريف، فبنى لهم عثمان نوري باشا دكة تجاه الحجر، فضيقت الطريق على المارة، فأمر الشريف عون بهدمها ليتسع الطريق. كما أمر الوالي أحمد راتب بإعادة نقش وترميم المسجد الحرام، ورممت كذلك دكة الأغوات^(٤).

وفي عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م صدر أمر السلطان عبد الحميد للوالي أحمد راتب باشا بإجراء ما يلزم للمسجد الحرام من أعمال عمارة، وإصلاح، وتنظيف، ونقوش. فقام الوالي بإجراء كل ما يلزم، فعمل -أولاً- نحو خمسين سلماً من الخشب الفني الجاوي السميك، وجعل كل سلم على أربعة قوائم بمقاسات مختلفة في الطول حسب اللزوم، وكان أول عمل ابتدأوا به، تنظيف القباب من الغبار والأوساخ، وكذلك تنظيف سطح المسجد الحرام، ثم تنظيف الاسطوانات الرخام. وعيّن الوالي لذلك قسماً من الجنود التركية، وكانوا يستعملون لتنظيف الأسطوانات قطعاً من الخيش، يغمسونها في الماء، ثم

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف 29/24 , Y.PRK.UM 24/129 , Y.PRK.BSK 35/84 .

(٢) دكة: ما يرفع من بناء فيجلس عليه. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٣، ص٦٢٣ .

(٣) الأغوات: جماعة من الناس تقوم بخدمة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. ومن وظائفهم غسل المطاف، وتنظيف الحرمين من فضلات الحمام، وإنارة القناديل، وتفريق النساء عن الرجال، وغير ذلك. أيمن الصيدلاني: الأغوات رجال في خدمة الحرمين الشريفين، جريدة عكاظ، العدد ٤٤١٨، الأثنين، ١٣ رمضان ١٤٣٤هـ / ٢٢ يوليو ٢٠١٣م.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص٢٨٣ .

يكبسونها في الرمل الناعم، ويدلكون بها الاسطوانات دلماً جيداً، وكانت الاسطوانة الواحدة، تستغرق أسبوعاً أو أسبوعين في تنظيفها، حتى تنجلي ويعود لونها إلى حالته الأصلية، وهكذا جرى العمل في تنظيف عموم الأسطوانات الرخام^(١).

أما الأعمدة المبنية بالحجر الصوان، والحجر الشميسي، وعموم عقود المسجد الحرام وجدرانه، فصبغوها بالصباغ الأسود، والأحمر العنابي، والأصفر البرتقالي، والرمادي، ورخموا ورّموا المنائر، والمقامات الأربعة، ومقام إبراهيم الخليل عليه السلام، وبئر زمزم، وأبواب المسجد الحرام، ودهنوها مع أخشاب المقامات باللون الأخضر، ومكثت تلك العمارة نحو سنة. وكتب تاريخ العمارة تحت طرة من الذهب، باسم السلطان عبد الحميد، تعلق باب النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

عزل العلماء والأعيان:

في عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م صدر أمر الشريف عون الرفيق بعزل السيد إبراهيم^(٣) نائب الحرم، والسيد عبد الله محمد الزواوي، والشيخ عبد الرحمن سراج^(٤) مفتي الاحناف،

(١) حسين باسلامة: مصدر سابق، ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٦-٢٧٧. باب النبي صلى الله عليه وسلم: لأنه صلى الله عليه وسلم كان يخرج منه إلى دار السيدة خديجة ويدخل منه إلى المسجد، ويقال له: باب الجنائز. وقد أحدث هذا الباب الخليفة المهدي العباسي، كما جدده الملك الأشرف برسباني. حسين باسلامة: مصدر سابق، ص ١١٦-١١٧.

(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٤) الشيخ عبد الرحمن سراج: هو عبد الرحمن سراج بن عبد الله سراج بن عبد الرحمن الحنفي المكي. ولد بمكة المكرمة عام ١٢٤٩هـ، وحفظ القرآن الكريم، وأكثب على كسب العلوم وتحصيلها، وبرع في جميع الفنون، فدرّس وأفتى وأفاد، وتخرج به جماعة من الطلبة الأجداد. تولى منصب الإفتاء في عهد الشريف عبد الله بن محمد بن عون، واستغنى عن الإفتاء في ولاية أمير مكة الشريف عبد المطلب في سنة ١٢٩٩هـ، وفي ٢٧ / رجب / ١٣١٤هـ، نفى من مكة المكرمة وذهب إلى مصر، وفي يوم ١٣ رمضان من نفس العام جاء خبر وفاته في مصر، وذلك أنه لما نزل من الطائف سقط من البغلة، وحصل له حبس بول، فعالجه الحكماء =

والشيخ عابد بن حسين (١) مفتي المالكية، والسيد علوي السقاف (٢) شيخ السادة بمكة (٣).

والسبب في نكبة هؤلاء أنهم قد كتبوا إلى السلطان عبد الحميد، يشكون من أعمال الشريف عون الرفيق في مكة، في مضابط (٤) موقعة بأسمائهم، فأعادها المسؤولون في القصر - ممن يميلون إلى سياسة الشريف عون - أعادوا تلك المضابط إلى الشريف عون

=بجدة، وركب البحر، وهو مريض، ونزل في مصر عند أحمد راشد باشا فتوفي عنده. أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٤؛ أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج ١، ق ١٢٢؛ عبد الله غازي: نظم الدرر، ص ٤٥٠ - ٤٥١؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك، ج ١، ص ٧٦٦-٧٦٨.

(١) الشيخ عابد بن حسين: ولد بمكة المكرمة عام ١٢٧٥هـ، ونشأ وترى تحت رعاية والده، ونبغ في علوم الدين واللغة، وبعد وفاة والده تولى منصب الإفتاء على مذهب الإمام مالك، فشغله مهام المنصب عن التدريس بالمسجد الحرام، وبعد نفيّه من مكة توجه إلى اليمن، وقام برحلة إلى الخليج العربي، وأقام بدبي مدة طويلة، ثم عاد إلى مكة متنكراً، وظل على ذلك إلى أن توفي الشريف عون. من مؤلفاته: رسالة في التوسل. توفي في مكة عام ١٣٤١هـ. عمر عبد الجبار: مرجع سابق، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) علوي السقاف: هو الشيخ علوي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد السقاف باعلوي الشافعي المكي. شيخ السادة العلوية ببلد الله الحرام، أحد أكبر العلماء الكبار الأعلام، ولد بمكة المكرمة عام ١٢٥٥هـ، ونشأ بها، وترى في حجر مفتي الشافعية بمكة العلامة محمد الحبشي، وحين شبَّ جدَّ واجتهد بطلب العلم، فقرأ على المشايخ الأجلاء السيد محمد المذكور، والسيد عمر بن عبد الله الجفري المدني، والعلامة أحمد دحلان، ثم أذنوا له بالتدريس، وأجازوه بسائر مروياتهم مما تلقَّوه عن مشايخهم، فدرَّس وأفاد وأجاد، وألَّفَ التاليف المفيدة. منها: الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة السادة الشافعية ومختصرها، وعلاج الأمراض الردية بشرح الوصية الحدادية، والقول الجامع المتين في حقوق اخواننا المسلمين. توفي في مكة المكرمة عام ١٣٣٥هـ. ودفن بالمعلاة. عبد الله غازي: المصدر السابق، ص ٤٥٩ - ٤٦٠؛ عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٥٦ - ١٠٥٧؛ عبد الله أبو الخير: مصدر سابق، ص ٣٤٣ - ٣٤٥؛ خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٤٩؛ عمر عبد الجبار: مرجع سابق، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٣٥؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الفكر والأنظار، ق ٣٦٤؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٩؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٢.

(٤) مضابط: سجل للتدوين. أحمد مختار: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣٤٦.

الرفيق ليطلع عليها، فانتقم لنفسه من أصحابها، وعاقب بعضهم بالسجن، وعاقب البعض الآخر بالنفي^(١).

وفي رواية ثانية: أن الشريف عون الرفيق لم يعاقبهم، بل اكتفى بإخافتهم، حيث سرب لهم أنه اطلع على المضابط، وأنها لديه، فخاف الجميع من بطشه^(٢)، فهرب الشيخ عبد الرحمن سراج إلى مصر، وهرب الشيخ عابد بن حسين إلى اليمن، أما السيد عبد الله الزواوي فقد هرب إلى جاوة واستقر بها^(٣).

وفي رواية ثالثة: أن السلطان عبد الحميد أمر في عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، بنفي الشيخ عبد الرحمن سراج، والسيد إبراهيم نائب الحرم، والشيخ عابد بن حسين، والشيخ عبد الرحمن الشيبلي. فأمرهم الشريف عون الرفيق، والوالي أحمد راتب باشا بالخروج من مكة، فأما الشيخ عبد الرحمن الشيبلي فأبقوه في الهدى، وأما الشيخ عبد الرحمن سراج، والسيد إبراهيم نائب الحرم، فذهبا إلى مصر، وأما الشيخ عابد فسافر إلى البصرة، والسبب في ذلك القرار السلطاني، أنهم تكلموا في الشريف عون الرفيق بما لا يليق به^(٤).

ويؤيد الباحث تلك الرواية الأخيرة، وهي أن عزل هؤلاء العلماء والأعيان، جاء بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني، وليس بأمر من الشريف عون الرفيق، ولو كان الأمر عكس ذلك، لفعل السلطان عبد الحميد مع هؤلاء المنفيين مثل ما فعل مع الذين نُفوا في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، عندما أصدر أوامره بإطلاق سراحهم، وأذن لهم بالرجوع إلى مكة، وقلدهم مناصبهم السابقة.

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٤، ص١٣٤؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الفكر والأنظار، ق٣٦٤؛ محمد

الكردي: مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٠؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٢.

(٢) محمد زيدان: مرجع سابق، ص٧١.

(٣) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص٣٥٤.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص٢٨٣.

الأوضاع الإدارية في المدينة المنورة:

في عام ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م، قام محافظ المدينة المنورة علي باشا محرمين^(١) بفرض رسوم وضرائب على أهل المدينة، كما قام بعزل حاكم المدينة عثمان داغستاني^(٢)، والذي قدم إلى مكة شاكياً للشريف عون الرفيق والوالي أحمد راتب باشا، من سوء معاملته ورسومه الظالمة التي يفرضها على الناس، فأرسل الوالي، والشريف برقية إلى السلطان عبد الحميد يشكون فيها المحافظ، وما يقوم به من أعمال تعسفية ضد الأهالي، فقرر السلطان العثماني عزل علي باشا^(٣) وتعيين حسن حسني باشا، والذي لم يستمر طويلاً في منصبه لاعتراض الأهالي عليه، فعزله السلطان، وعين عثمان فريد باشا بدلا منه، غير أن حظه لم يكن بأحسن من سابقه، حيث تعصب عليه أهل المدينة، وذهبوا للمفتي عثمان داغستاني للتفاهم مع مجلس الإدارة، حيث طلبوا منهم عزل عثمان فريد باشا، فامتنع المجلس عن إصدار هذا القرار، واختفي عثمان باشا واعتكف في بيته، فقام أهل المدينة بحبس أعضاء مجلس الإدارة، حتى يقروا بعزل عثمان باشا، غير أن السلطان عبد الحميد لم يستجب لمطالب الأهالي، وأصدر أوامره بسرعة إرسال قوات من اليمن والشام إلى المدينة المنورة، بشكل عاجل، ووصلت تلك القوات إلى المدينة خلال ١٥ يوماً، وقدر عددها بحوالي ٢٥ ألف جنديا، وبوصول الجنود إلى المدينة، تمكن عثمان باشا من الخروج من داره، وتوجه إلى مقر الحكم، وبعد السيطرة على الموقف تمكن الجنود

(١) سالنامه دولة عليية ١٣٢١ هـ، ص ٥٤٦.

(٢) عثمان داغستاني: كان مفتياً للمدينة المنورة من عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م. سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة، ص ٢٥٤.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٨؛ عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الناشر المؤلف،

المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ج ٣، ص ٧-٩؛ علي حافظ: مرجع سابق، ص ٤٠-٤١.

من القبض على الخارجين (١) على المحافظ (٢)، وصدر أمر بسجنهم في قلعة الطائف، وتم ترحيلهم إلى جدة، وعند وصولهم إليها قام الوالي أحمد راتب باشا بفك قيودهم، ثم أرسلهم إلى الطائف، وأمر الشريف عون الرفيق بالعناية والاهتمام بهم، كما أمر التجار وأهل مكة الذين يقيمون في الطائف بضيافتهم، وخصص لهم مبالغ مالية، وأولاهم غاية اهتمامه (٣)، وقام الشريف عون الرفيق بالتوسط لهم لدى السلطان عبد الحميد الثاني من أجل إطلاق سراحهم، غير أنه لم يوفق في ذلك، وتوفي قبل خروجهم من السجن (٤).

التلغراف:

اهتمت الدولة العثمانية بالتلغراف في ولاية الحجاز، فأنشأت في عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م مكتبا للتلغراف بمكة المكرمة في أجياد، وقام ببناء هذا المكتب الوالي عثمان نوري باشا (٥)، كما أقيمت مكاتب أخرى للتلغراف في جدة، والمدينة، والطائف، وينبع البحر (٦).

وقد مدت الدولة خطوطاً للتلغراف في ولاية الحجاز؛ لتسهيل الاتصال بين مدن الإقليم، فقامت بربط مكة - التي تعد مركز الولاية والإمارة - بخطوط برقية مع الطائف التي تعد المركز الصيفي لها، ومع جدة التي تعد الميناء الرئيسي في الولاية (٧)، كما ربطت

(١) كان عددهم ١١٨ شخصاً، وجرت محاكمتهم، فبرئ ٧٦ شخصاً، وسجن ٤٢ من الأهالي و٤٠ من الضباط. للمزيد انظر. أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣١٢؛ عبد الباسط بدر: مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٢-٢٣؛ علي حافظ: مرجع سابق، ص ٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤١ - ٤٣. عبد الباسط بدر: مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٤) علي حافظ: مرجع سابق، ص ٤٤؛ عبد الباسط بدر: مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٣.

(٥) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٥، ص ٢٧٣؛ محمد الكردي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٠٤.

(٦) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٧٣.

(٧) محمد صادق: مصدر سابق، ص ٣٥١؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٧٤.

مكة بالمدينة بخط برقي إلا أنه لم يكن خطأ مباشراً، فكانت الإشارة التي ترسل من المدينة إلى مكة يجب أن ترسل أولاً إلى الشام، فالسويس، فسواكن، فجدة حتى تصل الإشارة البرقية إلى مكة^(١).

وفي أوائل محرم من عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، أمر السلطان عبد الحميد الثاني بمد خط برقي مباشر من الشام إلى المدينة المنورة، ثم إلى مكة المكرمة^(٢)، وكلف صادق باشا^(٣) بإنشائه^(٤)، كما أرسل الشريف عون الرفيق، أمير الوادي الشريف أحمد بن منصور^(٥) إلى الوجه، لنقل أعمدة التلغراف التي جاءت من اسطنبول، ومنحه ١٠٠٠ جنية؛ ليوصلها إلى مدائن صالح^(٦)، كما منحه ٥٠ جنية بدل سفر^(٧).

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٠٤؛ دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٧٤.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٠؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٧٠.

(٣) محمد صادق: هو صادق بن صالح المؤيد العظم، قائد عسكري في الجيش العثماني. ولد ونشأ في دمشق، وأرسله السلطان عبد الحميد مندوباً عنه إلى " منليك الثاني " ملك الحبشة سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦م، فصف الرحلة إلى صحراء إفريقية الكبرى سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، و (رحلة الحبشة). وانتدب لمهمات أخرى، منها في بلغاريا، ومنها إيصال الأسلاك البرقية إلى الحجاز. توفي في دمشق سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م. خير الدين الزركلي: مصدر سابق، ج ٣، ص ١٨٥.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٣؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٧٠.

(٥) الشريف أحمد بن منصور: هو أحمد بن منصور بن أحمد بن دخيل الله بن سليمان بن أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن يعلي. عين وكيلاً لإمارة المدينة المنورة في عهد الشريف علي بن الحسين، وتولى إمارة المدينة المنورة عام ١٣٣٧هـ/١٩٢٤م، وظل أميراً عليها حتى تسلمها الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود في سنة ١٣٤٤هـ. علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط ٣، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٩، ٥٥؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة (١هـ - ١٤١٧هـ)، دار كنعان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٢٧.

(٦) مدائن صالح: وهي بلدة في شمال الحجاز، تبعد عن المدينة المنورة حوالي ٣٤٧ كم، وهي بلدة ذات صبغة أثرية وسياحية، كان أهلها ثمود قوم صالح عليه السلام، وقد أرسل الله إليهم صالحاً فعصوا، فأهلكهم الله بفتنة الناقة، وقد فصلت أخبارهم في القرآن الكريم. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٥٢٥.

(٧) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠١.

وفي ٢٥ رمضان من نفس العام وصل خط التلغراف إلى المدينة المنورة، وذهب صادق باشا إلى الشريف عون الرفيق ليتشاور معه حول الطريق الذي سوف يسلكه التلغراف، إلى مكة، فاختار الشريف عون، الطريق الشرقي^(١). وبعد انتهاء موسم حج عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، شُرع في إنشاء المشروع^(٢)، واشترى الشريف عون ٢٠٠ من الجمال؛ لحمل الأخشاب، والأسلاك، التي تم توزيعها على المحطات المختارة من قبل الشريف عون، إلا أن قبيلة عتيبة قامت بإحراق تلك الأخشاب، لاعتراضها على مشروع التلغراف^(٣)، فأرى الشريف عون تغيير طريق مسار التلغراف، إلى الطريق السلطاني^(٤).

وفي شوال من عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١م ذهب الشريف عون الرفيق والوالي أحمد راتب إلى جدة، واجتمعا مع كبار قبيلة حرب، وتم الاتفاق على ضرورة توصيل خط

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٣؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٠. الطريق الشرقي: هو أحد الطرق التي تسلكه القوافل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعرف بهذا الاسم لوقوعه على الجانب الشرقي من الحجاز، وأبرز محطاته ابتداءً من مكة هي: بئر البارود ثم وادي الليمون والمضيق والحفاير (الضريبة) ووادي البركة ثم محطة حاذا والحبيط وصفينة والسوارقية والحجرية وغرابة ثم محطة غدير المسماه (خنق) وصولاً إلى المدينة المنورة، ويتميز الطريق الشرقي بانبساطه وخلوه من سلسلة الجبال إلا في آخر مرحلة منه، ويتجنبه المسافرون لقلة موارد المياه فيه، إلا أن قافلة الحج الشامية كثيراً ما كانت تسلكه. دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٥٩.

(٢) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٤؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٤ - ٣٠٥؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٠؛ ولیم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٣٢.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٤-٣٠٥. الطريق السلطاني: وهو الطريق الأمثل لسفر الحجاج من مكة إلى المدينة، واتخذت المحامل وقوافل الحج منذ القدم هذا الطريق بسبب وفرة المياه فيه وسهولته وانبساطه، وتقطعه القوافل عادة في اثني عشر يوماً مقسمة على اثني عشرة مرحلة تبدأ من مكة إلى وادي فاطمة ثم المحسنية فعسفان وخليص والقضيمة ورايع ومستورة وبئر الشبح وبئر ابن حصاني وخلص وبئر درويش ثم المدينة المنورة. ويبلغ طول الطريق السلطاني قرابة ٤٩٠ كم، وبالرغم من أفضليته إلا أن القوافل كانت تتعرض للتهديد والسلب إذا لم تدفع مبالغ للسماح لها بالمرور. دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٥٧-٣٥٨.

التلغراف من جدة إلى المدينة، ودفعاً لهم مبالغ مالية كبيرة، وتم تنصيب أعمدة التلغراف، وما أن وصل الشريف عون والوالي إلى مكة، حتى قامت قبيلة حرب بقطع الأسلاك، وإحراق الأعمدة التي تم تنصيبها^(١).

فاقترح الشريف عون الرفيق إرسال قوة عسكرية ضد تلك القبائل المعادية لإتمام مشروع توصيل خط التلغراف إلى المدينة المنورة، ولحماية خط التلغراف، كما تم إرسال خمسة أو ستة من الأشراف -ترافقهم قوة عسكرية -لمد خط التلغراف إلى رابغ، ومنها إلى المدينة المنورة^(٢).

يتضح لنا مما سبق، أن القبائل التي كانت منتشرة على الطرقات الرئيسية للقوافل، وقفت موقفاً عدائياً من مشروع خط التلغراف، مما حدا بهم إلى القيام بالسلب والنهب على تلك الطرقات.

سكة حديد الحجاز:

تعتبر سكة حديد الحجاز - تلك التي ربطت دمشق بالمدينة المنورة - من أكبر المشاريع التي بدأ تنفيذها في إمارة الشريف عون الرفيق وولاية الوالي أحمد راتب باشا^(٣)، وتعد نقله نوعية على مستوى المواصلات في ولاية الحجاز^(٤). وقد ولدت فكرة إنشاء الخط الحديدي الحجازي قبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني^(٥)، إلا أنها لم ترى النور إلا في عهده^(٦).

(١) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 223\19.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠١.

(٤) علي حافظ: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٥) خالد السعدون: مرجع سابق، ص ٤٧؛ أحمد عبد القادر المهندس: سكة حديد الحجاز رحلة في الزمان

والمكان، مجلة الدارة، س (١٣)، ع (٢)، محرم، ١٤٠٨ هـ / أغسطس، ١٩٨٧ م، ص ٩١.

(٦) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠١.

وتكاد تنحصر دوافع وأسباب إنشاء خط سكة حديد الحجاز، في دافعين اثنين هما:

الأول: تيسير سبيل الحج، وتقديم خدمة لحجاج بيت الله الحرام، وذلك بإيجاد وسيلة سفر يتوفر فيها السرعة والراحة.

الثاني: تحقيق أهداف سياسة وعسكرية تتمثل في مقدرة العثمانيين على نقل الجند والعتاد بسرعة إلى شبه الجزيرة العربية، وتقليل الاعتماد على قناة السويس الواقعة تحت السيطرة البريطانية، وبالتالي تثبيت نفوذ وسلطة الدولة العثمانية^(١).

وبدأت أعمال إنشاء المشروع من دمشق في عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م^(٢)، واستمر العمل في سكة حديد الحجاز لمدة ثمان سنوات، حيث وصل الخط للمدينة المنورة عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، وأقيم حفل لافتتاحه^(٣).

ولم تكن المدينة المنورة هي المحطة النهائية للخط الحجازي، بل كان المشروع يهدف إلى وصول السكة الجديدة لمكة المكرمة، ثم إلى جدة^(٤) ومنها إلى اليمن^(٥)، ولكن واجهت الشركة المنفذة الكثير من الصعوبات، وبالطبع كان من أهمها هجوم القبائل التي تعيش بين المدينة ومكة، بالإضافة إلى قيام الحرب العالمية الأولى، مما أدى إلى عرقلة إكمال المشروع^(٦).

(١) جورج أنطونيوس: مصدر سابق، ص ١٤٢ - ١٤٤؛ أحمد سعيد بن سلم: المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، الناشر المؤلف، د.ن، م.د، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٠٣؛ خالد السعدون: مرجع سابق، ص ٤٨؛ أحمد المهندس: مرجع سابق، ص ٩١.

(٢) عبد اللطيف الحميد: مرجع سابق، ص ٦٢.

(٣) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٥١؛ خالد السعدون: مرجع سابق، ص ٥٣.

(٤) أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٥٠-٦٥١.

(٥) علي حافظ: مرجع سابق، ص ٣٨ - ٣٩. انظر ملحق رقم (١١).

(٦) أحمد المهندس: مرجع سابق، ص ٩١.

وبسبب سوء الأوضاع الاقتصادية للدولة العثمانية، ورغبتها في تنفيذ المشروع برأس مال عثماني. دون تدخل أو دعم أجنبي، قامت بتشجيع التبرع لدعم المشروع، ومنحت المتبرعين ميداليات ذهبية، وفضية، وبرونزية حسب قيمة المبالغ المتبرع بها^(١). وافتتح السلطان حملة التبرعات بمبلغ ثلاثمائة وعشرين ألف ليرة عثمانية، ثم لاقت دعوة التبرع استجابة إسلامية واسعة^(٢)، وتبعه زعماء، وأمراء المسلمين^(٣)، وتشكلت في العالم الإسلامي جمعيات لجمع التبرعات من أجل دعم إنشاء المشروع، كما طلبت الدولة من موظفيها التبرع براتب شهر سنوياً؛ مساهمة في تغطية نفقات المشروع^(٤).

واشترك الشريف عون الرفيق في المساهمة بالمشروع، وقدم تبرعا ماليا، كما قام بجهود كبيرة من أجل إنجاحه، فقد قام بإرسال السيد حسن خان الأفغاني^(٥) إلى بلاد الهند لجمع التبرعات للسكة الحديدية الحجازية، كما أرسل الشريف عون، السيد الدباغ^(٦) لبلاد المغرب^(٧).

(١) دائل الخالدي: مرجع سابق، ص ٣٦٨.

(٢) عبد الباسط بدر: مرجع سابق، ج ٣، ص ١٣؛ خالد السعدون: مرجع سابق، ص ٤٨.

(٣) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠٤؛ إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٧١؛ أحمد سعيد: مرجع سابق، ص ٢٠٣؛ مجلة المنار، مج (٦)، ج (١)، غرة محرم ١٣٢١هـ / ٣٠ مارس ١٩٠٣م، ص ٤٠.

(٤) خالد السعدون: مرجع سابق، ص ٤٨.

(٥) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(٦) الدباغ: يرجح أن يكون الشريف مسعود الدباغ الإدريسي. وهو الجد الجامع لآل الدباغ في بلدان الجزيرة العربية، ولد في مدينة فاس بالمغرب الأقصى وبها نشأ وترعرع، وتعلم وتخرج حتى اشتد عوده، ثم هاجر إلى المدينة المنورة طالباً للجوار فيها، وعاش بقية عمره في المدينة متنقلاً بينها وبين مكة المكرمة، وعمل بالتجارة في بيع القماش، ويقال إن هذه التجارة انتقلت معه من المغرب. وبعد عمر ناف الثمانين من السنين، توفي الشريف مسعود في المدينة المنورة سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٥م. أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٢٨٧؛ شرف محمد الدباغ: آل الدباغ، تحت الإعداد:

http://dabbaghs.blogspot.com/2008/07/blog-post_29.html

(٧) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠١.

كما أمر الشريف عون الرفيق بجمع إعانة للسكة الحديدية من الحجاج، على كل حاج غير معسر ريالاً واحداً، فأخذ المطوّفون يجمعونها، ويوردونها للشريف كل يوم، وكان بعضهم يمتنع عن الدفع، فلا يخرج من مكة إلا بعد دفعها^(١).

أما بالنسبة لموقف قبائل الحجاز فقد كانت السلطات العثمانية تتوقع منذ البداية أن تلقى عملية إنشاء سكة الحديد مقاومة من القبائل، ولذا خصصت خمسة آلاف جندي للقيام بعملية الحماية اللازمة، لكن ذلك لم يحل دون قيام القبائل بالتصدي للمشروع، من خلال قيامهم بالاعتداء على العاملين، فيه والسطو على معداته، وإتلاف محطاته، وقضبانه^(٢)؛ لأنه يجرمهم من المورد، والدخل الأساسي الذي يعتمدون عليه في حياتهم، والمتمثل في قيامهم بنقل الحجاج على جماهم، كما أنه يفقدهم ميزة الحصول على الهدايا والأعطيات المقدمة لهم من قبل السلطان العثماني، مقابل حماية قوافل الحج، وعدم التعرض لها^(٣).

وعلى الرغم من المساعي التي قام بها الشريف عون الرفيق من أجل إنجاح مشروع سكة حديد الحجاز، ومجهوداته الكبيرة في جمع معونات المشروع^(٤)، إلا أنه -بعد وفاته- أقيمت عليه، وعلى الوالي أحمد راتب باشا دعوة قضائية من شريف رؤوف باشا^(٥)، اتهم فيها الشريف والوالي، باختلاس المعونات المقدمة لمشروع سكة الحديد، فتم تشكيل لجنة لإجراء التحقيقات في تلك الاختلاسات، وأسفرت نتائج تلك اللجنة بعدم

(١) إبراهيم رفعت: مصدر سابق، ج ١، ص ٧١.

(٢) خالد السعدون: مرجع سابق، ص ٥١-٥٢؛ أحمد المهندس: مرجع سابق، ص ٩٢.

(٣) وليم أوكسنولد: مرجع سابق، ص ٣٣٣؛ خالد السعدون: مرجع سابق، ص ٤٩ - ٥٣.

(٤) أحمد بيت المال: مصدر سابق، ص ٣٠١.

(٥) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

صحة تلك الاتهامات، ونفت حدوث أية اختلاسات للأموال سواءً من الشريف عون الرفيق، أو الوالي أحمد راتب باشا^(١).

عزل أحمد راتب باشا:

عندم توفي الشريف عون الرفيق عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، كان الوالي أحمد راتب باشا في جدة، وعندما علم بخبر وفاة الشريف عون الرفيق، قام بتعيين الشريف علي بن عبد الله، وكيلاً لإمارة مكة المكرمة، حتى يصدر قرار الباب العالي بتعيين أمير جديد لولاية الحجاز^(٢).

وقررت الدولة العثمانية تعيين الشريف علي باشا أميراً على مكة المكرمة^(٣)، وبقي أحمد راتب باشا والياً على إقليم الحجاز، كما استمرت علاقته الطيبة بالشريف الجديد، في السراء والضراء حتى تم عزله من ولاية الحجاز في عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م^(٤)، وبعد إعلان الاتحاديون الدستور، وعزلهم للسلطان عبد الحميد الثاني، أصدروا أوامرههم إلى الوالي راتب باشا بإعلان الدستور في بلاد الحجاز، ولكن الوالي تقاعس - متعمداً - عن تنفيذ تلك الأوامر، وصرح لكبار الضباط بعدم التسرع في إعلان ذلك الدستور مرة واحدة، لأن ذلك يجب أن يتم تدريجياً؛ خشية من اندلاع الفتن في الحجاز. ولكن أنصار الدستور من الضباط والجنود، وبعض الأهالي لم يقتنعوا برأيه، ورأوا ضرورة التعجيل بإعلان الدستور، وكان الشريف علي باشا في مصيفه بالطائف، وطلب منه الوالي

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف DH.I.UM 94/579 . انظر وثيقة رقم (٨) بالملاحق.

(٢) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج٤، ص١٦٦؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق٣٧٣؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٧.

(٣) عبد الله غازي: المصدر السابق، ج٤، ص١٦٧؛ إسماعيل جارشلي: أشرف مكة، ص٢٢٦ - ٢٢٧.

(٤) عبد الستار الدهلوي: المصدر السابق، ق٣٧٣.

الحضور إلى جدة؛ لمساعدته في إخماد الفتنة التي يتوقعها حين يتم إعلان الدستور. ولكن الشريف لم يحضر، فاستطاع أنصار الدستور في جدة القبض على أحمد راتب باشا، وإرساله إلى مكة أسيراً في القلعة، ثم أعلنوا الدستور، ونادوا به في شوارع مكة، وجدة، والطائف. ثم صدر الأمر بعزل راتب باشا، وتولية كاظم باشا والياً على إقليم الحجاز^(١).

بعد عزل الوالي أحمد راتب باشا في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٢٦هـ / ٣٠ مايو ١٩٠٨م، تم نفيه إلى جزيرة رودس^(٢) في عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، وبعد الهجوم الإيطالي على الجزيرة في عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، توجه إلى باريس، ثم طلب السماح له بالإقامة في إسطنبول، وتوفي أحمد راتب باشا في عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م^(٣).

(١) عبد الله غازي: إفادة الأنام، ج ٤، ص ١٦٩-١٧٢؛ عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٧٦ - ٣٧٧؛ أحمد السباعي: مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٢٨-٦٣٠؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٣٨١-٣٨٢.

(٢) جزيرة رودس: تقع في البحر الأبيض المتوسط، وتتمتع بطقس جميل وتربة خصبة، كانت مقر أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية. كانت الجزيرة مخصصة لعبادة الشمس. وقد أخذت اسمها رودس عن الإغريق. حكمها الأثينيون منذ أقدم عصور التاريخ حتى سنة ٤١٠م، ثم الفرس، ومن بعدهم الإسكندر الكبير، ثم الرومان، والفرس مرة أخرى، ثم العرب، ثم الأباطرة الإغريق، ثم البنادقة، ثم فرسان القديس يوحنا في القدس، إلى أن فتحها السلطان سليمان الأول خان ابن السلطان سليم القانوني. موستراس: مرجع سابق، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) سهيل صابان: تقرير أحمد راتب باشا، ص ٥.

الخاتمة

الخاتمة

نتائج البحث.

ويخلص البحث - بعد هذا العرض - إلى عدة نتائج هامة، نجلها فيما يلي:

١ - كان اهتمام الدولة العثمانية ببلاد الحرمين - مكة المكرمة والمدينة المنورة - ووضعها تحت حمايتها، من أجل إضفاء الصبغة الإسلامية على حكمها، كما أن الدولة العثمانية كونت علاقات حسنة وودية مع أمراء بلاد الحرمين، يتضح ذلك جلياً من خلال إبقائهم على نظام الشرافة، وجعلهم إقليم الحجاز تحت التبعية الاسمية للدولة العثمانية.

٢- غيرت الحكومة العثمانية من سياستها تجاه إقليم الحجاز بعد زوال نفوذ محمد علي باشا عليه، فاستحدثت سنجقية في جدة، كان يقيم فيها الوالي العثماني، يدير الأمور السياسية في الحجاز بتعليمات الباب العالي، وكان ذلك بهدف السيطرة على مقاليد الأمور في الإقليم، وعدم انفراد أمراء مكة بالسلطة في الولاية.

٣- كانت ولاية الحجاز من الأهمية بمكان، بالنسبة للدولة العثمانية، ولهذا ميزتها عن غيرها من الولايات بالعديد من الامتيازات، مثل الإعفاء الضريبي، والإعفاء من التجنيد الإجباري، إلا أن الدولة العثمانية تسببت في قدر جم من الأضرار التي لحقت بسياسة الحكومة في الحجاز، من خلال فرضها لتلك السلطة الثنائية فيه، وعدم تحديد الصلاحيات، والفصل بين سلطتي أمير مكة المكرمة، ووالي الحجاز؛ مما نتج عنه احتدام النزاع بين الطرفين؛ الأمر الذي انعكس بدوره على تردي وتدهور الأحوال الأمنية، والإدارية، والصحية، والاقتصادية، في الإقليم.

٤ - فيما يخص الشريف عبد المطلب بن غالب، وعلاقته بالدولة العثمانية، فقد كانت علاقته بها، علاقة طيبة، بالرغم من خروجه المتكرر عليها، وكان السلطان

عبد الحميد الثاني، يعتمد عليه اعتماداً كلياً في تصريف شؤون الحجاز. غير أن علاقة الشريف عبد المطلب بولاية الدولة العثمانية، كانت علاقة سيئة للغاية، وكان السلطان عبد الحميد ينحاز دائماً إلى جانب الشريف على حساب الوالي، مما دفع بعض الولاة إلى الاتصال بالقناصل الأجانب بجدة - وخاصة البريطانيين - وتكوين علاقات حسنة معهم من أجل التصدي لأمير مكة، والضغط على الحكومة العثمانية، عن طريق السفارة البريطانية في إسطنبول؛ لعزل الشريف عبد المطلب، غير أن السلطان لم يرضخ لتلك الضغوط، وتمسك بالشريف عبد المطلب؛ وذلك لعلاقته السيئة بالقناصل البريطانيين.

٥ - أما فيما يخص الشريف عون الرفيق، فمن أكثر الذين ذكروا سيرته - رئيس المحمل المصري - إبراهيم رفعت باشا، والذي شن حملة قاسية على الشريف عون، وانتقده انتقاداً شديداً، ووصف إدارته لإقليم الحجاز بالسيئة، إلا أنه لو كان الأمر كما يقول رفعت لما تمسك به السلطان عبد الحميد، ولما أبقاه أميراً على مكة المكرمة، زهاء ما يقارب ربع قرن من الزمان، ولما أنعم عليه بالنياشين، والأوسمة العثمانية المختلفة تقديراً لجهوده المبذولة واجتهاده في إظهار العدل، وحسن إدارته في الإمارة.

٦ - أثرت بعض العوامل على إمارة الشريف عون الرفيق، كان من أبرز تلك العوامل ثورات القبائل المتكررة، والتي كان لها دور كبير في إثارة الفوضى في إقليم الحجاز، ويرجع ذلك إلى الحالة المادية السيئة التي كانوا يعانون منها، إضافة إلى قلة الوازع الديني للبعض منهم، حيث تسبب اعتراضهم المستمر لقوافل الحجيج، في حدوث اضطرابات أمنية شديدة في الإقليم، و بالرغم من قيام الحكومة العثمانية بصرف مرتبات لشيوخ القبائل؛ لضمان سلامة الحجاج، إلا أن ذلك القرار لم يأت بأهدافه المرجوه؛ بسبب تأخر صرف المرتبات من قبل ولاية الحجاز، وعدم الاهتمام بهم، ومشاركتهم في المجالس الإدارية.

٧ - أما عن الأوضاع الإدارية في إقليم الحجاز - إبان تلك الحقبة الزمنية - فقد شهدت إمارة الشريف عون الرفيق تطوراً نوعياً في إقليم الحجاز، وخاصة في ولاية عثمان نوري باشا، رغم النزاعات المستمرة بينهما، حيث شيدت عدد من المباني والقلاع،

بالإضافة إلى التقدم الملحوظ في مجال العلوم، الذي بدأ من خلال استحداث أول مطبعة في الحجاز. كما شهدت إمارة الشريف عون الرفيق، تطوراً نوعياً في مجال المواصلات، حيث أنشئت - في عهده - سكة حديد الحجاز.

٨- أما على صعيد النواحي الصحية، فبالرغم من الجهود التي قامت بها الحكومة العثمانية في هذا المجال، إلا أن ولاية الحجاز قد عانت من انتشار الأوبئة فيها، وبخاصة - الكوليرا - التي شكلت رعباً كبيراً للحجاج، والأهالي، كما شكلت ضغطاً على الحكومة العثمانية، التي خشيت بدورها من تدخل الدول الأوروبية في شؤون الحجاز.

٩- وعلى الصعيد الاقتصادي، فقد كانت الحجاز تعتمد على المساعدات المالية الحكومية، والصرّة العثمانية، كما أنها كانت تعتمد على موسم الحج، والذي يُعد مصدراً أساسياً، ومهما؛ لتدفق الموارد المالية المتعددة على إقليم الحجاز.

١٠- فيما يخص علاقة الشريف عون الرفيق بولاية الدولة العثمانية في الحجاز، فنجد - بصفة عامة - أنها كانت علاقة حسنة، باستثناء علاقته بالوالي عثمان نوري. الذي شهدت ولايته تدهوراً في الأوضاع الأمنية، كما شهدت تغييراً لكثير من المناصب الإدارية؛ وذلك بسبب تداخل الصلاحيات بينه، وبين الشريف عون الرفيق، كما كثرت الشكاوى والاتهامات بين الطرفين، مما جعل السلطان عبد الحميد الثاني يعزل الوالي العثماني في أكثر من مرة.

وبعد عزل الوالي عثمان نوري باشا، تقلص نفوذ الولاية العثمانيين وسلطتهم أمام سلطة الشريف عون، بل نجد أن بعض الولاية - وبخاصة الوالي أحمد راتب باشا - كان يَكُنّ الولاء والتقدير والاحترام للشريف، الأمر الذي انعكس على استقرار الأوضاع الأمنية والإدارية في الإقليم.

وأخيراً وليس آخراً، فإن البحث العلمي هو حلقات متصلة متواصلة يفضي بعضها إلى بعض، ويكمل بعضها البعض الآخر، وأسأل الله العليّ القدير أن يكون هذا البحث قد أسهم - بقدر ولو ضئيل - في إلقاء الضوء على تلك الحقبة الزمنية في تاريخ أرض الحرمين الشريفين، تلك الفترة الهامة التي شهدت تولي الشريف عون الرفيق، منصب الإمامة بها، وانعكاس ذلك على كافة مناحي الحياة في الحجاز، سواء على الصعيد السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي.

وبعد ،،،

فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو فمني ومن الشيطان، فالكمال لله تعالى وحده، وكل يؤخذ من كلامه ويرد عليه سوى صاحب هذا المقام وأشار إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم"، هكذا علمنا إمام دار الهجرة، الإمام مالك ابن أنس رضي الله عنه.

وختاماً لهذه الأطروحة، لا يبقى سوى أن يتهل الباحث إلى الله العليّ القدير، أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مستلهماً آياته المحكمات: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَحْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) صدق الله العظيم (سورة البقرة: الآية: ٢٨٦).

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملاحق

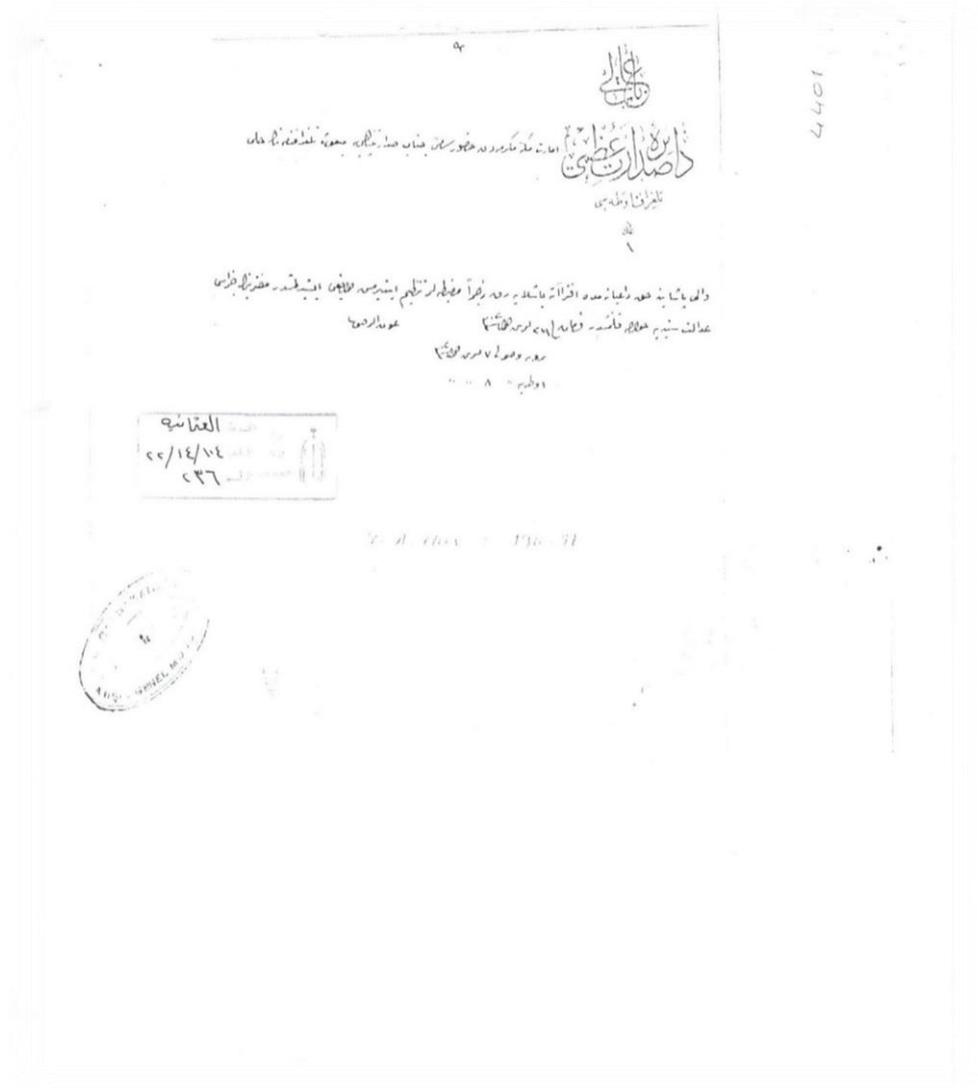
ملحق الوثائق

وثيقة رقم (١)

من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء، إسطنبول. (طوب كوي سراي).

ودارة الملك عبد العزيز، الرياض.

Y.A.HUS 196/97



ترجمة الوثيقة رقم (١)

Y.A.HUS 196/97

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدُ فَعَسَىٰ أَعْزَمُ لِلْآخِرِينَ الْأَوَّلِينَ

غرفة البرقيات

رقم ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدُ فَعَسَىٰ أَعْزَمُ لِلْآخِرِينَ الْأَوَّلِينَ

مضمون برقية أرسلها أمير مكة المكرمة إلى الصدر الأعظم

أن ما يدعيه الوالي عثمان باشا بحقي محض افتراء ولقد تم عمل مضابط ومحاضر
جلسات بكل هذه الافتراءات وتفنيدها وتم إحالتها جميعها إلى العدالة السنية من أجل
صدور فرمان عالي بشأنها.

٢٩ تشرين أول ٣٠٢

عون الرفيق

وصول ٧ تشرين ٣٠٢

وصول إلى الغرفة ٨ تشرين

وثيقة رقم (٢)

من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء، إسطنبول. (طوب كوي سراي).

Y.A.RES 17/40



ترجمة الوثيقة رقم (٢)

Y.A.RES 17/40

صورة مذكرة توكيل وإنبابة

أن السيد لبيب أفندي صاحب العطف ورئيس محكمة التمييز الجنائية المكلف بالذهاب إلى الحجاز ومعه صاحب السيادة عون الرفيق باشا المعين أميراً لمكة المكرمة قد أخذ صورة من أوراق مهمته التي سيقوم بها وحصل على التعليمات التي سيؤديها بشكل تام في هذا الشأن. والأمر والفرمان لحضرة صاحب الأمر.

مطابق للأصل

٢٢ ذي القعدة ٩٩

علي

٢٣ سبتمبر ٩٦

ترجمة الوثيقة رقم (٣)

Y.A.HUS 194/2-55

برقية وتلغراف إلى الصدر الأعظم

لقد نسب إلى الوالي عثمان باشا مظالم عديدة وقام بالعفو عن عربان حرب وقبائل هذيل الذين حرضهم على القتل والجرح على طريق جدة بغير حق وما حدث من هجمات واعتداءات أول أمس على طريق جدة كان بتحريض من الوالي المشار إليه عثمان باشا لقطاع الطرق والمفسدين ولقد تم اتخاذ الإجراءات اللازمة بشأن هؤلاء المفسدين وتم استرداد الجمال والأبل وتأديب الذين قاموا بالسرقة وفعلوا هذه الأمور وفي الوقت نفسه فإننا نؤكد على أن كل هذه المفاسد وأعمال السلب والنهب والسرقة تمت بتحريض من الوالي عثمان باشا.

عون الرفيق

أمير مكة المكرمة

ترجمة الوثيقة رقم (٤)

Y.A.HUS 196/32

والإمامة العظمى
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الملك عبدالعزيز بن سعود
الملك فيصل بن عبدالعزيز
الملك خالد بن عبدالعزيز

والإمامة العظمى
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الملك عبدالعزيز بن سعود
الملك فيصل بن عبدالعزيز
الملك خالد بن عبدالعزيز

غرفة البرقيات

رقم ٦

مضمون برقية مرسله من أمير مكة المكرمة إلى الصدر الأعظم

بسبب الأعمال غير وأساليب الظلم التي يتبعها والي الحجاز عثمان باشا فإنه لا يمكن لأمر مكة
عون الرفيق التلاؤم والانسجام مع الوالي المذكور وإذا كانت تجري معه مصالحتات تفوق قوة البشر
لمرات عديدة فإن هذا الوالي يرجع إلى تلك النقائص مرة أخرى ولهذا السبب فقد حدث خلل في
إدارة الحجاز والأشراف والعربان والأهالي والحجاج وأصبح هناك ظلم للأهالي من قبل هذا الوالي
وتصرفات تتنافر مع الرضاء العالي وتم ابلاغ الشاهانه للاطلاع على حقيقة هذا الوضع لاتخاذ ما
يلزم والأمر متوقف على تصرف وإجراء السلطان صاحب الحمية والمروءة والعدل والرحمة ليرفق بهؤلاء
من الوالي المذكور.

١٥ محرم ٣٠٤

عون الرفيق

وصل إلى جدة ٨ تشرين أول ٣٠٢

وصل بالبريد ٢٤ تشرين

ترجمة الوثيقة رقم (٥)

Y.MTV 200/68

إلى باش كاتب دائرة المابين الهمايونية الجليلة

سيدي صاحب العطف والحضور العالي

لقد أصيب الكثير من الأهالي بأمراض العين والرمد والعمى ولا يوجد طبيب أمراض رمد وعين من أجل معالجتهم وقبل عام فقد تم إرسال كاظم أفندي الفتى والقول أغا وأحد أطباء الدائرة إلى باريس وعاد المشار إليه بشهادة طبية رفيعة ولا بد من تعيينه بهذا المكان المذكور وإعطاء الجيش كافة المؤن التي يحتاج إليها حيث أن الكثير من السكان والعربان والمجاورين قد أصابتهم تلك الأمراض المذكورة وأصبحت حالتهم متدهورة وعيونهم في حاجة إلى إجراء عمليات جراحية لها وبناء عليه فلا بد من تعيين المذكور فزراً ليعالج هذه الحالات وأن يصدر جناب السلطان فرمان عاجل إلى المذكور بعد ترقيته إلى درجة بكباش بالجيش . والأمر والفرمان لصاحب الأمر .

أمير مكة المكرمة

٢٤ ذي القعدة ٣١٧

عون الرفيق

١٢ مارس ٣١٦

ترجمة الوثيقة رقم (٦)

BEO 1167/87484

برقية إلى صاحب الحضور الصدر الأعظم

اعرض التهاني والامتنان بكل فخر وسرور بسبب الحصول على نيشان الامتياز العالي

المرصع.

أمير مكة المكرمة

عون الرفيق

وثيقة رقم (٧)

من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء، إسطنبول. (طوب كوي سراي).

Y.MTV 229/13

بسم الله الرحمن الرحيم
باسم كائنات دارى
مكة مکرم در سینه
١٤٠٤ مارتن ١٤٤٤
جایان اولادنه طبعی اما قه طیلیم در دست داعام اولون راکریدون
اولون مع مانیه عتیه علیها حضرت خدیجه کبری قبل موتیه ایا اولون در معلا
صرف حضرت اولونیه اقبیا آنگونده بفرده برده لها بکر یا کلعه قوه کتلماسی
امیر مکرم بر ملازمین التلیح بعد انیه کون قان ار طرفه و کون طرف
هکانه و معایر ضای عنی بولیده هیچ بر معلا ده بولونده خصله هم قسم
عصه و تاقیه و کلاه قوه کلاه شرفه ده طویلک اما قه قان اولونیه ایان
استغاه عضو معیه به ایان قشیه انقظ - لایق - طه
١٤٠٤ مارتن ١٤٤٤
حاجه دایم و سالیانه
احمد آتیه

ترجمة الوثيقة رقم (٧)

Y.MTV 229/13

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمْرًا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَأَمْرًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَقْوَى رِجَالِهِ
وَأَمْرًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَقْوَى رِجَالِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمْرًا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَأَمْرًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَقْوَى رِجَالِهِ
وَأَمْرًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَقْوَى رِجَالِهِ

برقية من مكة المكرمة

بسبب مجموعة من أعمال جنائية وسرقة وقطع طريق من كافة الأنواع في عهد إمارة
المرحوم عون الرفيق بتاريخ ١٣ مارس ١٣٢٢ فقد قام عون الرفيق بالقبض على ١٢
بدوي وتم اعدامهم وحدث ذلك من أجل نشر الاستقرار والسلم والهدوء والمنفعة العامة
ولكن فهم ذلك من قبل السلطان العثماني على أنه تحرك دون استئذان من صاحب
الجناب العالي وأن ذلك عمل وإجراء خاطئ وتم تنبيه أمير مكة المكرمة بعدم التحرك
بصورة تخالف الرضاء السامي وبعد ابلاغ المشار إليه فقد تقرر عدم معارضة السلطان
والوالي في أي أمر من هذه الأمور وأن يخضع الأمير والأمانة لكافة الأوامر العلية وعدم
التحرك دون أذن جناب السلطان.

والي الحجاز والقائد

١٤ مارس ١٣٢٢

أحمد راتب

ترجمة الوثيقة رقم (٨)

DH.I.UM 94/579

١ تشرين ثاني ٣٢٦

ص ٧٣٢٠

الحجاز ٩/٣١٣

فيما يتعلق بأسناد اختلاسات جسيمة لمبالغ كبيرة حصلها والي الحجاز الأسبق أحمد راتب أفندي والمتوفي عون الرفيق أمير مكة المكرمة الأسبق وخلفه علي باشا فقد تم تشكيل لجنة خاصة في هذا الشأن وتبين من التحقيقات أن ولاية الحجاز أبلغت أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة ولا يوجد لدى أحد مستند يثبت به ذلك ولا يمكن للمحكمة أن تقتنع إلا بدلائل قوية وليس بالتقدير والاستنتاج ووفقا للمادة ٢٧١ و ٢٩٤ من قانون المحاكمات القانونية وأصولها حول جواز حجز الأموال المنقولة وغير المنقولة فإنه لا يمكن الجزم باختلاس المشار إليهم لهذه المبالغ ولا بد من الرجوع إلى المحكمة في مسألة الحجز على الأموال المنقولة وغير المنقولة بناء على الأحكام التي سردها القانون وتم ابلاغ ولاية بذلك تلغرافيا وأنه لا يوجد أي مسوغ قانوني بهذا الشأن.

إلى ولاية الحجاز الهيئة

٧ تشرين ثاني ٣٢٦

ترجمة الوثيقة رقم (٩)

I.HUS 75/R.1310

وزارة الخارجية
بغداد ٢٨٢٤

وزارة الخارجية
بغداد ٢٨٢٤

٣٨٢٤

بخصوص الخلاف القائم بين أمير مكة المكرمة ووالي الحجاز منذ فترة فقد كثرت الشكاوي فيما بينهما ونظرا لما تحوزه منطقة الحجاز من مكانة وأهمية كبيرة كبقعة مباركة فقد لزم عدم ترك أي مجال لحدوث أي مشكلة مثل بعض الأحداث التي وقعت في الماضي وقبل حادثة اليمن مؤخراً ولكن من الواضح أن كثرة الشكاوي والخلافات بين الطرفين أصبحت أمراً واقعاً وأصبح من الضروري اتخاذ التدابير التي تقتضي منع ذلك وبناء عليه فقد تم إرسال تقي الدين باشا والي بغداد الأسبق والفريق أحمد راتب باشا أحد أعضاء المجلس الأعلى للتفتيش العسكري لإجراء تحقيقات عاجلة في ذلك الأمر وصدرت إرادة سنية بمنح تقي الدين مبلغ ١٥ الف قرش بدل سفر وانتقال لإتمام هذه المأمورية . والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر .

رئيس كتاب الصدر الأعظم

٢٩ ربيع آخر ٣١٠

ثريا

٤ تشرين ثاني ٣٠٨

ترجمة الوثيقة رقم (١٠)

I.DAH 29/B.1310

رئاسة البعثات
بمكة المكرمة
٢٠١٧

مكتب العلاقات العامة
بمكة المكرمة
٢٠١٧

٥٧١٧

معروض إليكم بخصوص الفريق البحري أحمد راتب باشا ونائب والي الحجاز حيث أنه

صدر فرمان همايوني وإرادة سنية بتعيينه والياً على الحجاز.

رئيس كتاب الصدر الأعظم

٢٠ رجب ٣١٠

ثريا

٢٧ كانون ثاني ٣٠٨

وثيقة رقم (١١)

من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء، إسطنبول. (طوب كوي سراي).

ودارة الملك عبد العزيز، الرياض.

Y.PRK.UM 7/101

يلدز سراي حمايونى
بأمانة قونية ولدينه تفره

قونية والبلدية وقوع انفصالها جزاء مع نزولت وقد حفظت مكانها
ديكر ولدت والبلدية بقية بولجوه لزومنه نشأت ايوب صو حاكمه
توملان جلاله تجساي ولي نعمت عظيمك بركاي ايولده براد اول در سعادت
عزيمه ماعت اولس حفزه شرفدار اوله اداره راج عاده حفزه قونيه
تبلغ ونشر بولنده عبد كزلى ولي نعمت بيمر افير حفزه اولس
اصقاي بده عاده مكانه لرزه اولس اول واخر مه غير اتفاده مظهر اولس
اولس بقطعات وحت عيات نسا هيديك كدى افورها بوندره قونيه
وجلاله اتجمله ابقايه حافظه بغيره استوارده راج عاده سياه دور
انظاير بظهير صوم الوب مع انتكده انه امير طرقيه وسعاده
منوجلا حركت بولنيم موزله اى اولس بونيم قونية الين سابع
هشتم

ترجمة الوثيقة رقم (١١)

Y.PRK.UM 7/101

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برقية من والي قونية إلى الباش كاتب

بناء على الإرادة السنية الصادرة بترك ولاية قونية والتوجه إلى ولاية الحجاز لتولي المنصب الجديد فإنني سارعت بالتحرك إلى الباب العالي بطريق أزمير وفقاً للإرادة السنية ومن منطلق الإخلاص لولي نعمتنا جناب السلطان العثماني الذي تعطف علينا بمزيد من العناية والإحسان وأصدر هذا الفرمان لتولي ولاية أخرى. وعندما حصلت على هذا الفرمان فإنني كنت في أنطاليا وتحركت متوجهاً إلى الباب العالي بطريق أزمير.

والي قونية السابق

١ مايو ٣١٠

حسن حلمي

ملحق الصور والخرائط

ملحق رقم (١٢)
الشريف عون الرفيق



المصدر:

- كريستيان سنوك هورخرونييه: مكة المكرمة منذ مائة عام، صياغة: آنجلوبيشي،
دار إيميل، لندن، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٥٣.

ملحق رقم (١٣)

الشيخ محمد عبد العزيز نجل الشيخ محمد بن الرقيق



المصدر:

- كريستيان سنوك هورخرونيه: مكة المكرمة منذ مائة عام، صياغة:
آنجلوبيشي، دار إيميل، لندن، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٥٧.

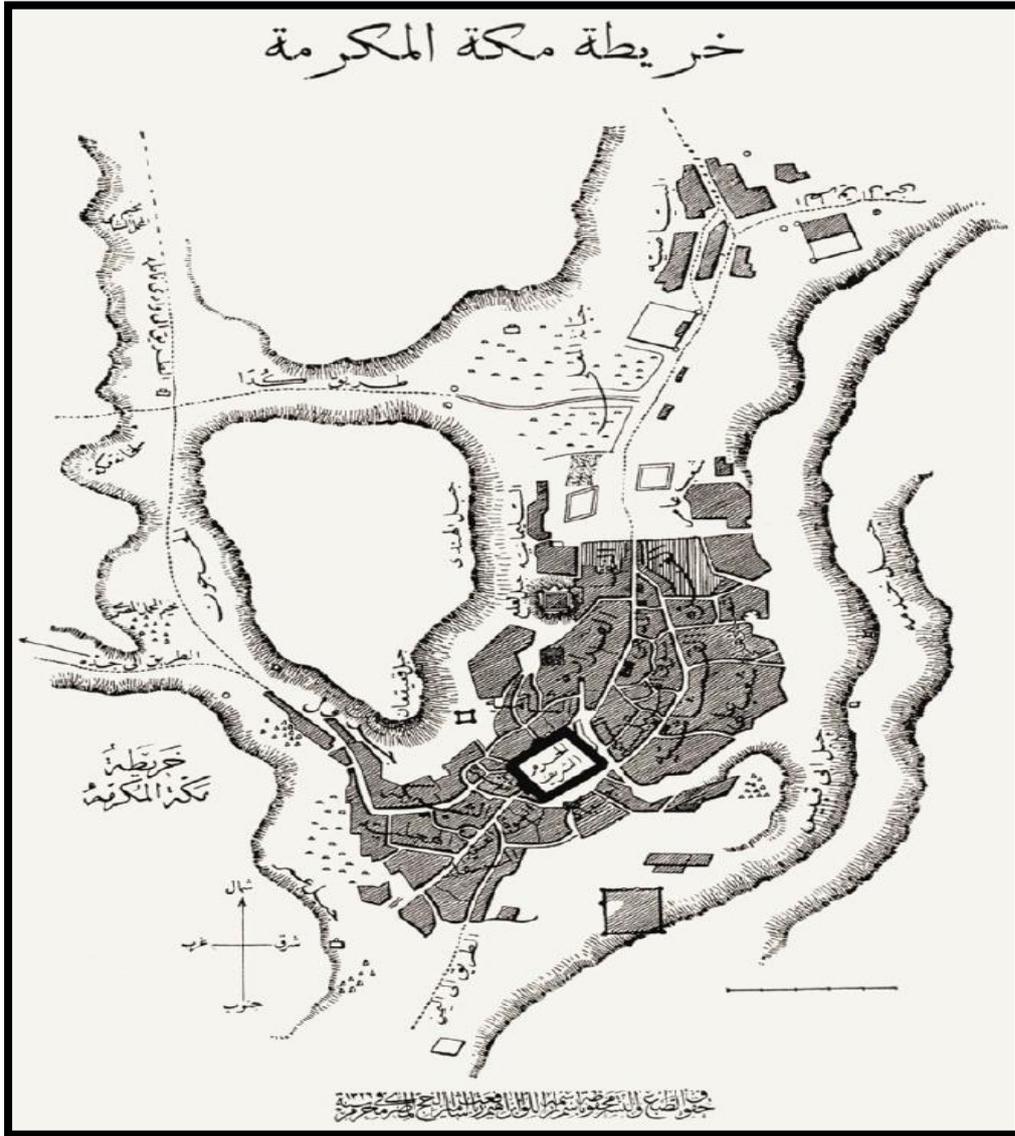
ملحق رقم (١٤)
الوالي عثمان نوري باشا



المصدر:

- كرسٲان سنوك هورخرونيه: مكة المكرمة منذ مائة عام، صياغة:
آنجلوويشى، دار إيميل، لندن، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٥٤.

ملحق رقم (١٥) خريطة مكة المكرمة



المصدر:

- معراج مرزا: أطلس خرائط مكة المكرمة، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية،
جدة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٨٧.

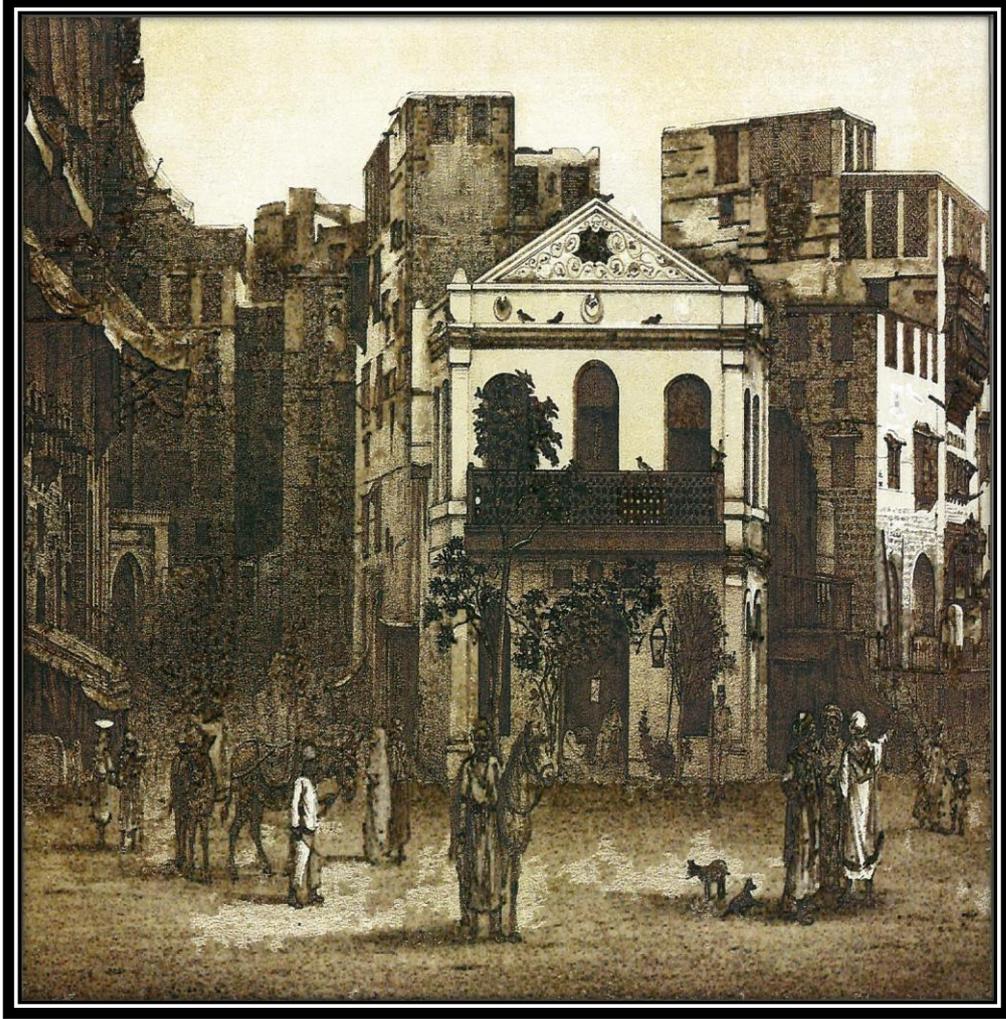
ملحق رقم (١٦) مبنى الحميدية



المصدر:

- معراج مرزا، وعبد الله شاوش: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة" من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري"، ط ٢، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧ هـ، ص ٩٥.

ملحق رقم (١٧) مخارجول الصفا

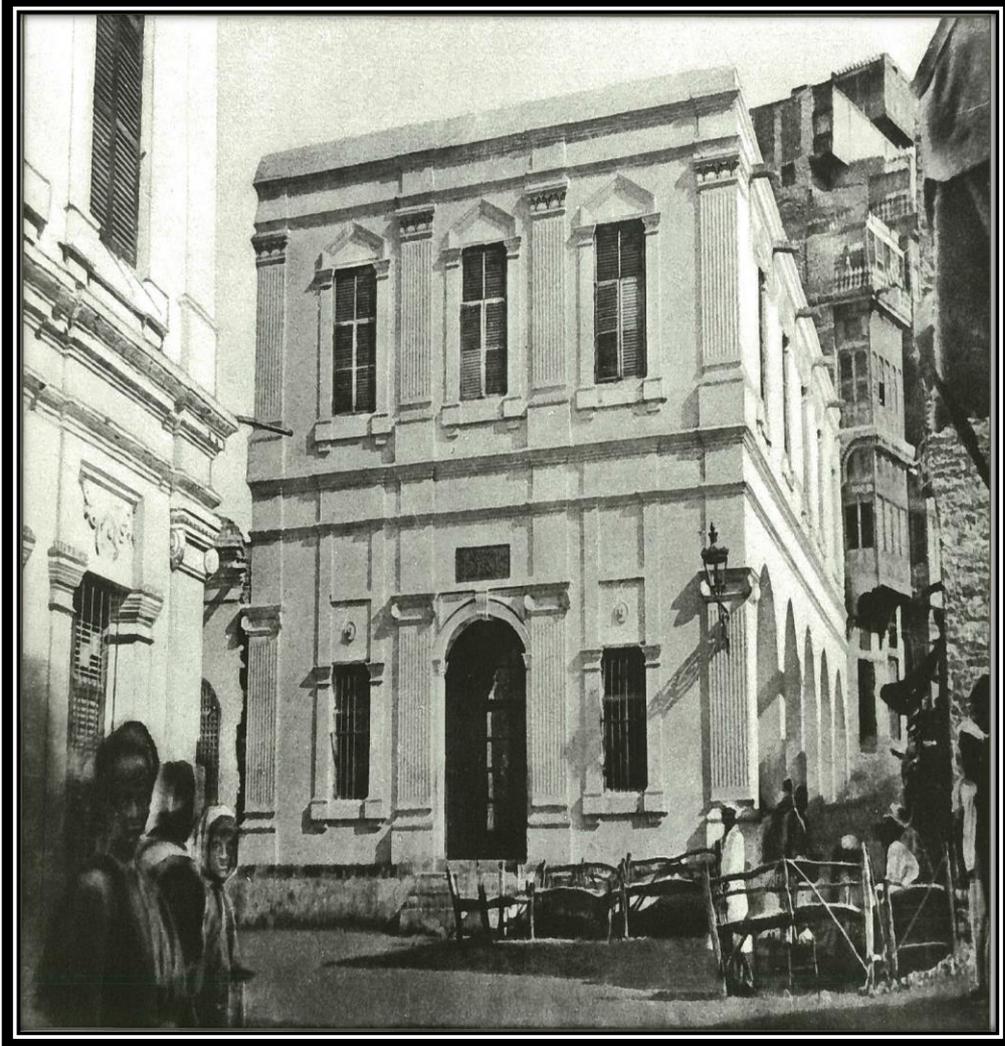


المصدر:

- معراج مرزا، وعبد الله شاوش: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة" من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري"، ط ٢، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ٨٥.

ملحق رقم (١٨)

مبنى المطبعة



المصدر:

- معراج مرزا، وعبد الله شاوش: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة" من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري"، ط٢، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ٩٠.

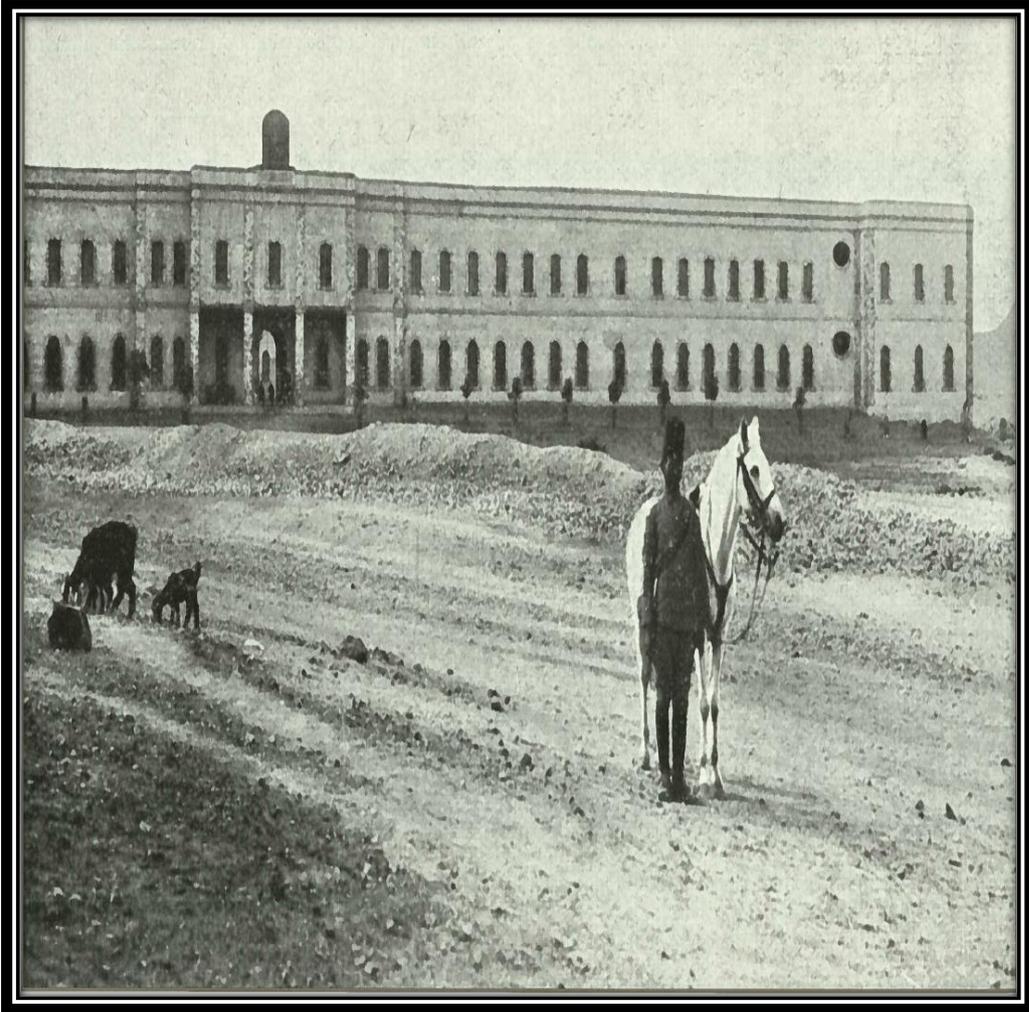
ملحق رقم (١٩) مدينة قنشة اجياد



المصدر:

- معراج مرزا، وعبد الله شاوش: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة" من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري"، ط ٢، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ١١٤

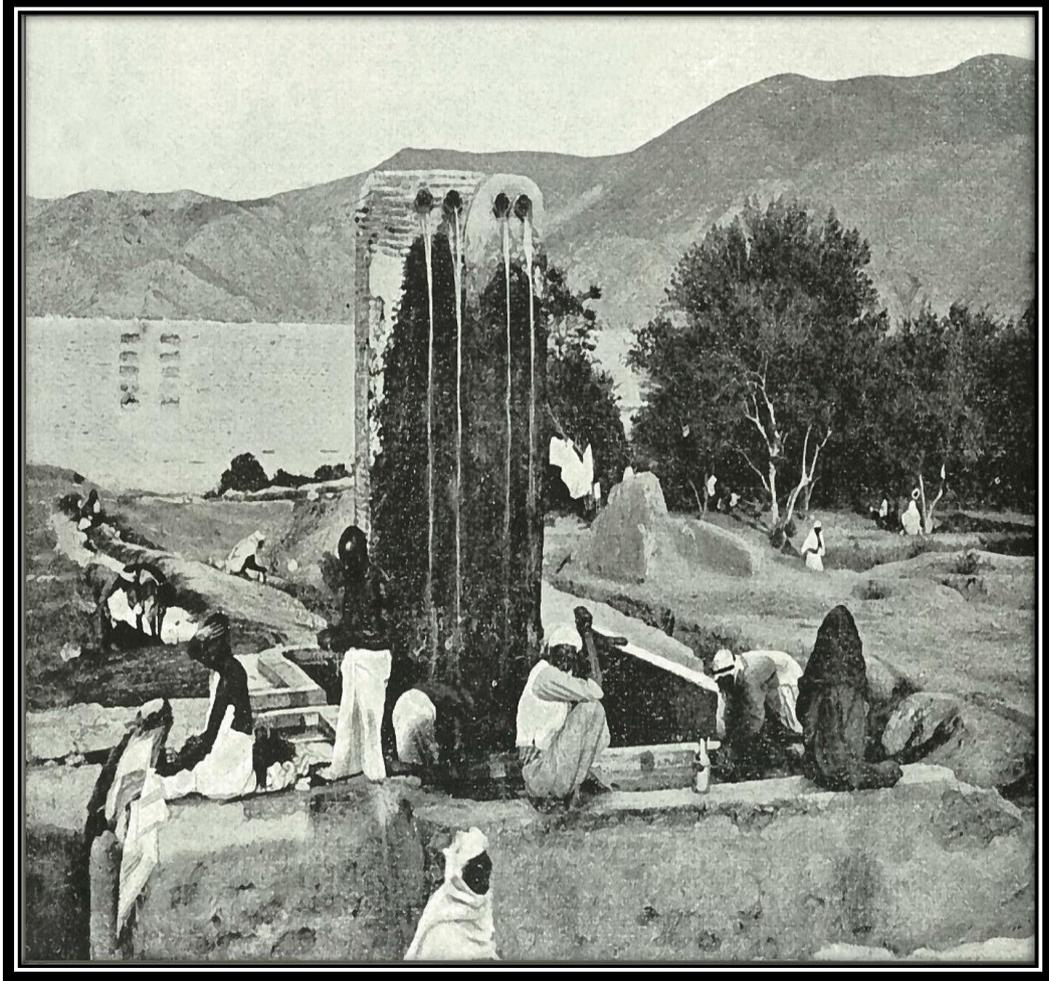
ملحق رقم (٢٠) مبنى المسافرين خانة



المصدر:

- معراج مرزا، وعبد الله شاوش: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة" من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري"، ط ٢، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ١١٧.

ملحق رقم (٣١) بستان الشريف عمون الرفيق

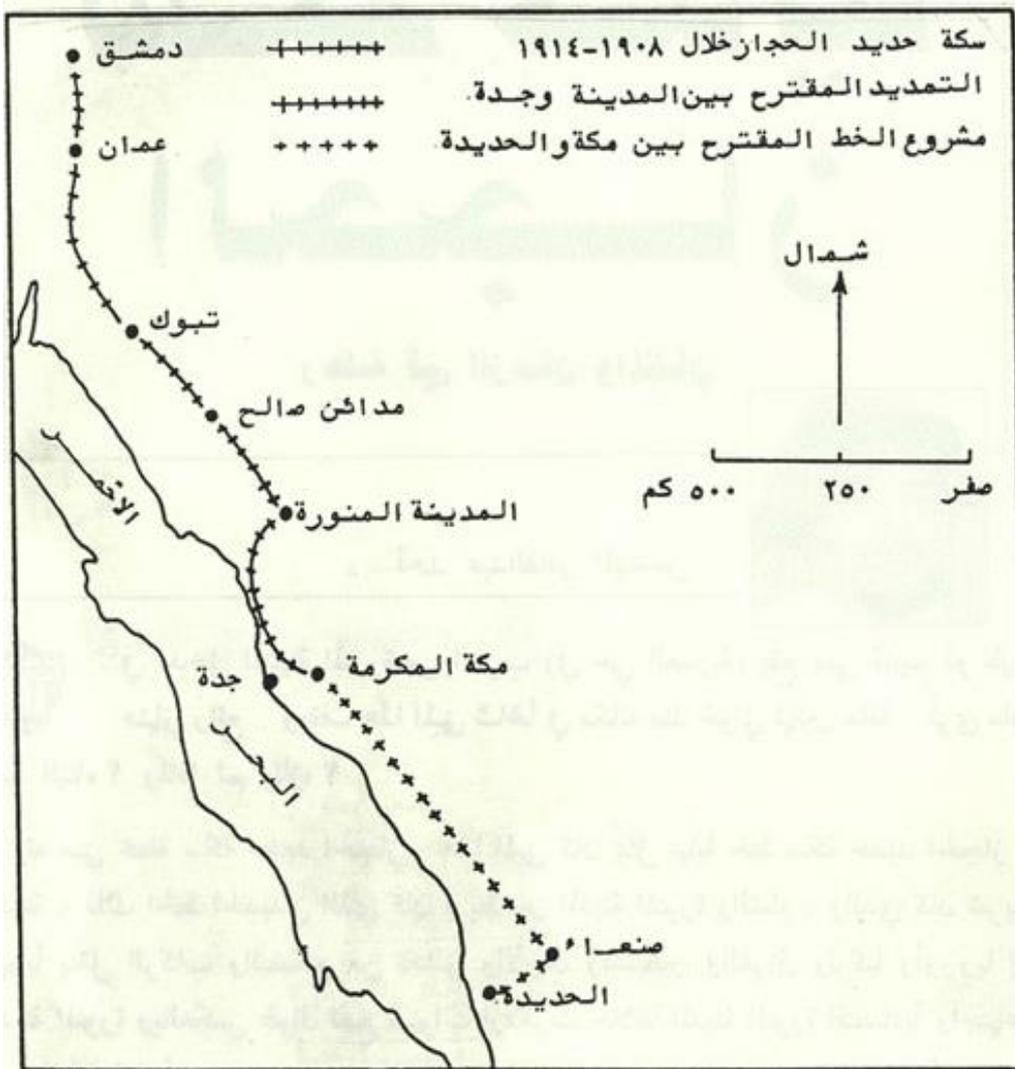


المصدر:

- معراج مرزا، وعبد الله شاوش: الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة"
من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري"، ط ٢، دار
الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ١٢٠.

ملحق رقم (٢٢)

التمديد المقترح لسكة حديد الحجاز



المصدر:

- أحمد عبد القادر المهندس: سكة حديد الحجاز رحلة في الزمان والمكان،

مجلة الدارة، س (١٣)، ع (٢)، محرم، ١٤٠٨ هـ / أغسطس، ١٩٨٧ م،

ص ٩٠.

ملحق رقم (٢٣)

ولاية العجاز في إمارة الشريف عمون الرفيق

الوالي	فترة ولايته
عثمان نوري باشا (الفترة الأولى)	١٨٨٢ - ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٢ - ١٨٨٦ م
جميل حسين باشا	١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م
صفوت باشا	١٣٠٤ - ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٧ - ١٨٨٩ م
نافذ باشا	١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٨ - ١٨٩٠ م
إسماعيل حقي باشا	١٣٠٧ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٠ - ١٨٩٢ م
عثمان نوري باشا (الفترة الثانية)	١٣٠٩ - ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ - ١٨٩٢ م
أحمد راتب باشا (الفترة الأولى)	١٣١٠ - ١٣١١ هـ / ١٨٩٢ - ١٨٩٤ م
حسن حلمي باشا	١٣١١ - ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ - ١٨٩٥ م
أحمد راتب باشا (الفترة الثانية)	١٣١٢ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٠٥ م

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

أولاً: الوثائق العثمانية غير المنشورة:

أ- وثائق أرشيف رئاسة مجلس الوزراء، إسطنبول. (طوب كوي سراي).

BEO

1167\87484 , 1355\101621 , 2867\214970

DH.I.UM

94\579

DH.ID

16-1\61

I.DAH

12\S.1312 , 29\B.1310

I.DH

875\69860

I.HUS

67\12 , 75\R.1310

I.MMS

94\3998

I.TAL

118\31 , 138\29 , 1318\C-71

Y.A.HUS

186\64 , 194\2-55 , 194\2-122 , 196\32 , 196\97 ,
201\45 , 201\95 , 234\45 , 329\85 , 330\8 , 330\53 ,
330\90 , 330\100 , 330\126 , 338\36 , 340\126 ,
470\54 , 483\110 , 492\9 , 495\20

Y.A.RES

17\39 , 17\40 , 18\41

Y.E.E

6\15 , 6\17 , 88\49 , 88\55 , 88\79

Y.M.HUS

451\19

Y.MTV

182\71 , 194\73 , 197\37 , 199\91 , 200\68 , 200\86 ,
206\67 , 207\133 , 223\19 , 229\13 , 290\112

Y.PRK.A

7\48 , 11\27 , 12\71

Y.PRK.AZJ

16\13

Y.PRK.BSK

6\79 , 35\84 , 71\111 , 73\102

Y.PRK.HH

27\65

Y.PRK.MK

4\42

Y.PRK.NMH

4\81 , 6\13 , 9\73

Y.PRK.UM

6\129 , 7\101 , 8\47 , 14\72 , 15\131 , 24\129 , 29\24
, 29\80 , 30\22 , 31\124 , 32\87 , 35\100 , 45\11 ,
47\106 , 52\90 , 53\7 , 54\5 , 73\53

ب- وثائق دارة الملك عبد العزيز، الرياض:

I.DAH

12/S.1312 , 29/B.1310

I.HUS

75/R.1310

I.MMS

94/3998

I.TAL

1313/L-139 , 1318/C-71

Y.A.HUS

186/64 , 194/2-55 , 194/2-122 , 196/32 , 196/97 ,
201/45 , 234/45 , 329/85 , 330/8 , 330/53 , 330/90 ,
330/126 , 338/36 , 340/126

Y.A.RES

17/39

Y.E.E

6/15 , 6/17 , 88/49 , 88/55 , 8879

Y.MTV

62/45

Y.PRK.A

7/48 , 11/27 , 12/71

Y.PRK.AZJ

16/13

Y.PRK.BSK

35/84

Y.PRK.MK

4/42

Y.PRK.NMH

4/81 , 6/13 , 9/73

Y.PRK.UM

6/129 , 7/101 , 8/47 , 24,129 , 32/87 , 53/7

ثانياً: الوثائق العثمانية المنشورة:

- سالنامه الدولة العلية العثمانية، إسطنبول، سنة ١٣٢١هـ.
- سالنامه ولاية الحجاز، المطبعة الميرية، مكة المكرمة، ١٣٠١هـ، ١٣٠٣هـ، ١٣٠٥هـ، ١٣٠٦هـ، ١٣٠٩هـ.

ثالثاً: المخطوطات:

- أحمد أمين بيت المال: النخبة السنوية في الحوادث المكية، تحقيق: حسام مكاوي، د.ن، د.م، د.ت.
- أحمد محمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، الرقم ١٢٣ / تاريخ.
- أحمد محمد الحضراوي: نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، مخطوط بدار الكتب القومية، القاهرة، برقم (١٩٧٠) تاريخ تيمور.
- عبد الستار عبد الوهاب الدهلوي: تكميل وتذييل فيما يتعلق بأمرء مكة، مخطوط مصور في مكتبة الحرم المكي الشريف، الرقم العام (٢/٣٤٦٦) تاريخ.

- عبد الستار عبد الوهاب الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر فيما مضى من الحوادث والعبر، مخطوط مصور بمكتبة الحرم المكي الشريف، الرقم العام ٣٢٥٨ / تاريخ.
- عبد الله محمد عبد الشكور: تاريخ الأشراف وأمراء مكة المكرمة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، الرقم العام: ٢/٣٤٥٥ تاريخ.
- مؤلف مجهول: رسالة في مدح الشريف عون الرفيق، مخطوط مصور بمكتبة مكة المكرمة، الرقم العام ١٠ / كتب منوعة.

رابعاً: الكتب العربية والمعربة:

- إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤هـ.
- أحمد بن علي العسقلاني: تهذيب التهذيب، ط ١، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.
- أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق: محمد أمين توفيق، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٣م.
- أحمد شلبي المصري: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات "التاريخ العيني"، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.
- إسماعيل حقي جارشلي: أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة: أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الرياض، الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- تقي الدين محمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- جار الله بن العز ابن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة،

- ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.
- جورج أنطونيوس: يقظة العرب "تاريخ حركة العرب القومية"، ترجمة: ناصر الدين الأسد - إحسان عباس، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.
- جيرالد دو غوري: حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.
- حسين عبد الله باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ط٣، تهامة، جدة، ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ.
- حسين نصيف: ماضي الحجاز وحاضره، ط١، مكتبة ومطبعة خضير، مصر، ١٣٤٩هـ.
- خير الدين الزركلي: الأعلام" قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين"، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
- السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد، ط٣، تقديم وترجمة: محمد حرب، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- شرف بن عبد المحسن البركاتي: الرحلة اليمانية للشريف حسين بن علي، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٧م.
- عبد الحفيظ بن عثمان القاري الطائفي: رسالة في أخبار الطائف، تحقيق: علي عمر، ط١، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ط١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- عبد الستار عبد الوهاب الحنفي الدهلوي: فيض الملك المتعالي بأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط٢، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- عبد العزيز بن عمر ابن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهميم شلتوت، دار المدني، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- عبد العزيز دولتشين: الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز

- سنة (١٨٩٨-١٨٩٩م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
- عبد الله بن محمد البسام: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق: إبراهيم الخالدي، ط١، شركة المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٠م.
- عبد الله محمد الغازي المكي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، تحقيق عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- عبد الله محمد الغازي المكي: نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر على القرن الرابع عشر، مع ذيله المسمى "نثر الدرر في تذييل نظم الدرر، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- كامل حسين الحلبي الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ط٢، دار القلم، حلب، ١٤١٩هـ.
- كرستيان سنوك هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- كرستيان سنوك هورخرونيه: مكة المكرمة منذ مائة عام، صياغة: آنجلويشي، دار إيميل، لندن، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص٥٧.
- محمد أحمد المكي الصباغ: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- محمد أحمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢، تحقيق: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
- محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ط٢، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- محمد أمين بن فضل الله المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت.

- محمد بن علي الطبري: تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ط١، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣١١هـ.
- محمد ثريا: سجل عثماني، مطبعة عامرة، اسطنبول، ١٨٩٧م.
- محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير: محمد همام فكري، دار بدر للنشر، بيروت، ١٩٩٩م.
- محمد صالح الشيبني الحجبي: إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، تحقيق: إسماعيل حافظ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- نوفل أفندي نعمة الله نوفل: الدستور، مراجعة: خليل أفندي الخوري، المطبعة السورية، بيروت، ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م.

المراجع

أولاً: الكتب العربية والمعربة:

- إبراهيم مذكور وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.
- أحمد السباعي: تاريخ مكة "دراسات في السياسة العلم والاجتماع والعمران"، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- أحمد العلاونة: ذيل الأعلام "معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين والأعلام بما وقع في أعلام الزركلي من الأوهام، دار المنارة، جدة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- أحمد سعيد بن سلم: المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، الناشر المؤلف، د.ن.

- ، د.م، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- أحمد شوقي: الشوقيات، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.
- أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (٨٢٨-١٣٤١هـ/١٤٢٥-١٩٩٢م)، ط١، مطبعة كنعان، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- أحمد ضياء بن محمد العنقاوي: معجم أشرف الحجاز في بلاد الحرمين وما تفرع عنهم في مصر واليمن وغيرها من البلدان، تقديم: سامي العنقاوي وهزاع العبدلي، ط١، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- إدوافون زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- أمين الريحاني: ملوك العرب، ط٨، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.
- أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة: حاتم الطحاوي، مراجعة: عمر الأيوبي، دار المدار الإسلام، بيروت، ٢٠٠٨م.
- جلال يحيى: العالم العربي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
- جميل موسى النجار: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد " من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩-١٩١٧م) "، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- جولدن صاري يلدز: الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥-١٩١٤)، ترجمة: عبد الرزاق بركات، مراجعة: مسعد الشامان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- جيل جرفيه كورتلمون: رحلتي إلى مكة، تحقيق: محمد الخناش، مؤسسة التراث،

- الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- جيمس موريس: الملوك الهاشميون، المكتب العالمي للتأليف والترجمة، بيروت، د.ت.
- حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.
- حمد إبراهيم الحقييل: عبد العزيز في التاريخ، ط٢، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- حمد الجاسر: بلاد ينبع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، د.ت.
- زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة للهجرة، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
- زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، دار الكتاب الحديث، مصر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠م.
- سعد بن عودة الراددي: أمن الحج قبل العهد السعودي، ط١، دار المآثر، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- سهيل صابان: تقرير أحمد راتب باشا حول ردة فعل القبائل العربية على مسألة إلغاء الرق في الحجاز عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- سهيل صابان: مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (مكة المكرمة - المدينة المنورة) في الفترة من ١٢٨٣هـ إلى ١٢٩١هـ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- سهيل صابان: معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠.
- شارل ديديه: رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤هـ، ترجمة: محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- الشريف محمد بن منصور: قبائل الطائف وأشراف الحجاز، ط ١، الناشر المؤلف، د.ن، د.م، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- الشريف مساعد بن منصور الحسني: جداول أمراء مكة وحكامها منذ الفتح إلى الوقت الحاضر، ط ٢، د. م، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- صابرة مؤمن إسماعيل: جدة خلال الفترة (١٢٨٦-١٣٢٦هـ / ١٨٦٩-١٩٠٨م)، دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٨هـ.
- صالح بن عبد الله العبود: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ط ٢، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٤م.
- صبري فالح الحمدي: أشراف الحجاز في القرن الثامن عشر، ط ١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- عاتق بن غيث البلادي: الإشراف على تاريخ الأشراف، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ط ٢، دار مكة، مؤسسة الريان، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- عاتق بن غيث البلادي: نشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين "تراجم مؤرخي مكة وجغرافيتها على مر العصور"، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- عاتق بن غيث البلادي: هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة (١هـ - ١٤١٧هـ)، دار كنعان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة المكرمة، ط١، دار البشائر، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- عباس صالح طاشكندي: الطباعة في المملكة العربية السعودية (١٣٠٠ - ١٤١٩هـ)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الناشر المؤلف، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط٢، دار اليمامة للنشر، الرياض، ١٣٩٤هـ.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية (١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ / ١٨١٩ - ١٨٤٠م)، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨١م.
- عبد الرؤوف سنو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية (١٨٧٧ - ١٨٨١م) (بلاد الشام - الحجاز - كردستان - ألبانيا) بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٨م.
- عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- عبد الفتاح حسين المكي: تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام "عصر النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحاضر" مكتبة المعارف الطائف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- عبد الفتاح حسين المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ط١، د.ن ، د.م ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- عبد القدوس الأنصاري: موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط٢، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٣٢٨-٣٢٩.

- عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ط ١٠، الناشر المؤلف، الرياض، ١٤٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط ٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩ هـ.
- عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي: أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- عبد الله مراد أبو الخير: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر"، تحقيق: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي الكاظمي، ط ٢، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- عبد الملك عبد الله بن دهيش: حدود الصفا والمرورة، ط ١، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- علي الورددي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، "قصة الأشراف وابن سعود"، أمير - قم، إيران، ١٤١٣ هـ.
- علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط ٣، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط ١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
- عماد عبد العزيز يوسف: الحجاز في العهد العثماني (١٨٧٦-١٩١٨ م)، الوراق، بغداد، ٢٠١١ م.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين " تراجم مصنفي الكتب العربية "، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- عمر عبد الجبار: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، ط ٣، تهامة، جدة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.
- عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي (١٥١٦١/١٩٢٢ م)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

- فاضل مهدي بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- فائق بكر الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين (١٢٩٣-١٣٣٤هـ / ١٨٧٦-١٩١٦م)، سجل العرب، القاهرة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م
- فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م
- قدري قلعجي: مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨م.
- مبارك محمد المعبدي: النشاط التجاري لميناء جدة خلال العهد العثماني الثاني (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م - ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، دن، د.م، د.ت.
- محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
- محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- محمد حسين زيدان: ذكريات العهود الثلاثة، ط ١، د. م، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط ١، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- محمد سعد الشويعر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، ط ٣، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ.
- محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ٣، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- محمد عبد الحميد بك: الأمراض المعدية، مطبعة المعارف، القاهرة،

- ١٣٣١هـ/١٩١٣م.
- محمد عبد الرحمن الشامخ: نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، ط ١، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- محمد عبد الرحمن المغراوي: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرناً، ط ١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- محمد علي مغربي: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية، ط ١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- محمد علي مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط ٢، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- محمد لبيب البتوني: الرحلة الحجازية، ط ٢، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ.
- محمود شوكت: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية من بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، ترجمة: يوسف نعيمة ومحمود عامر، ط ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م.
- مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية" دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧-١٩٢٤م"، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام الشحادات، ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع حماد الجهني، ط ٤، دار الندوة العالمية، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- نبيل عبد المحي رضوان: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس (١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م)، تهامة، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- نجاة عبد القادر الجاسم: الأشراف والعثمانيون في الحجاز في نهاية القرن التاسع عشر، ط ١، الناشر المؤلف، د.م، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، ط ١، دار الساقبي، بيروت، ١٩٩٨م.
- وليم أوكسنولد: الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب " الحجاز تحت الحكم العثماني"، ترجمة: عبد الرحمن العرابي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ٨.
- يوسف آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ط ٣، تحقيق: بسام الجابي، دار البصائر، دمشق، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ثانياً: الكتب الأجنبية:

- **AL-Amr, Saleh Muhoumed, The Hijaz Under Ottoman Ruie 1869-1914 Othoman Vale, The Sharif of Mecca, and the Growth of British Influence, Riyadh University, Riyadh, 1978.**

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

- ابتسام محمد كشميري: مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (٩٢٣-١٠٠٠هـ / ١٥١٧-١٥٩١م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- أريج مسحل القثامي: مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني (١٢٧٧هـ-١٣٣٤هـ / ١٨٦١م-١٩١٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- بندر محمد العروي: سياسة الدولة العثمانية تجاه أشرف مكة المكرمة (١٢٥٦-١٣٤٣هـ / ١٨٤٠م-١٩١٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م.
- دائل الخالدي: الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية

- الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- سحر علي دعدع: ولاية الحجاز في العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٨٧هـ/١٥١٧-١٨٧٠م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٣٢-٣٣.
- عبد المغيث مديرس النعماني: سياسة حكومة الحجاز تجاه الأقطار العربية المجاورة (١٣٣٤-١٣٤٣هـ / ١٩١٦-١٩٢٤م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- فاطمة عبد الله الشهري: الحياة العلمية في مكة المكرمة (١٢٥٦-١٣٣٤هـ/١٨٤٠-١٩١٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- نوال سراج ششه: الحجاز تحت حكم محمد علي (١٢٢٦-١٢٥٦هـ/١٨١١-١٨٤٠م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

رابعاً: المقالات والأبحاث:

- أحمد عبد القادر المهندس: سكة حديد الحجاز رحلة في الزمان والمكان، مجلة الدارة، س (١٣)، ع (٢)، محرم، ١٤٠٨هـ / أغسطس، ١٩٨٧م.
- إسماعيل جارشلي: "والي وقائد عام الحجاز عثمان نوري باشا يعزل أمير مكة الشريف عبد المطلب بفرمان مزور، ترجمة: صالح سعداوي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات العدد الأول، المجلد الثامن، (رمضان ١٤١٣هـ/ آذار ١٩٩٣م).
- أمة الملك إسماعيل قاسم الثور: الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية في فترتي الحكم العثماني الأولى والثانية لليمن (٩٤٥ - ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨ - ١٦٣٥م، ١٢٨٩ - ١٣٣٦هـ / ١٨٧٢ - ١٩١٨م)، جامعة الملك سعود، م ٢٢، السياحة والآثار (٢)، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- أيمن الصيدلاني: الأغوات رجال في خدمة الحرمين الشريفين، جريدة عكاظ، العدد ٤٤١٨، الاثنين، ١٣ رمضان ١٤٣٤ هـ / ٢٢ يوليو ٢٠١٣ م.
- تركي بن مطلق القداح العتيبي: من نوادر المخطوطات، جريدة الرياض، العدد (١٤١١٦)، الجمعة، ٢٨ محرم ١٤٢٨ هـ / ١٦ فبراير ٢٠٠٧ م.
- جريدة المدينة، ع(١٧٤٨٦)، الأربعاء، ٤ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ / ٩ مارس ٢٠١١ م.
- حسين محمد بافقيه: بدايات النهضة الأدبية الحديثة في مكة المكرمة، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٥٧، الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ / ٢٨ أبريل ٢٠٠٥ م.
- خالد السعدون: مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز، أسبابها، وتطوراتها، مجلة الدارة، ع ٢٤، س ١٤، محرم، ١٤٠٩ هـ / أغسطس ١٩٨٨ م.
- سلوى سعد الغالي: وباء الكوليرا في الحجاز حج عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣ م من خلال تقرير القنصلية البريطانية في جدة، مجلة الدارة، ع ٤، س ٣٨، شوال، ١٤٣٣ هـ.
- سهيل صبان: تقارير أحمد مختار باشا العثمانية عن الجزيرة العربية، مجلة الدارة: ع ٢، س ٢٩، ١٤٢٤ هـ.
- صالح العمرو: تقارير القناصل البريطانية في جدة كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد السابع، لسنة ١٩٧٨ م.
- عادل محمد نور غباشي: مصانع النورة بمكة المكرمة طرازها المعماري ونتائجها الصناعي حتى نهاية العصر العثماني، مجلة الدارة، س ٢٣، ع ١٤، ١٤١٨ هـ.
- عاصم حمدان: كيف التقى أحمد شوقي وإبراهيم الأسكوبي شعرياً في نقد الوضع الحضاري المتأزم في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، جريدة المدينة، ملحق الأربعاء، العدد: ١٧٤٨٦، الأربعاء ٤ ربيع الآخر، ١٤٣٢ هـ / ٩ مارس ٢٠١١ م، السنة (٧٧).
- عبد الحكيم حكمت: المسح الطبي لولاية الحجاز "بداية سنة ١٣٠٤ رومية - ١٨٨٨ م - ١٣٠٦ هـ"، ترجمة وتعليق: محمود الحاج قاسم محمد، مجلة الدارة، س ٢٤، ع ٢، ١٤١٩ هـ.
- عبد اللطيف محمد الحميد: وثائق سكة حديد الحجاز في الأرشيف العثماني، مجلة

- الدارة، ٣٤، س١٨، ربيع الآخر، ١٤١٣هـ.
- مجلة المنار، مج (٦)، ج (١)، غرة محرم، ١٣٢١هـ/٣٠ مارس، ١٩٠٣م.
- مجلة المنار، مج (٢)، ج (٢)، ٩ صفر ١٣١٦هـ، ص ٢٢٢.
- مجلة المنار، مج (٥)، ج (٥)، ١ ربيع ١٣٢٠هـ، ص ١٩٦.
- مجلة المنهل، المجلد ١٧، العدد ١٠، ذو الحجة ١٣٧٦هـ/ يوليو ١٩٥٧م، ص ٥٩٨-٦٠١.
- مجلة المنهل، م ٧، ٤، ٤، ع ٩، ١٣٦٦هـ، ص (٤٠٥).
- محمد أمين: موسم حج سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م من خلال تقرير دبلوماسي فرنسي، مجلة الدارة، س ٣٨، ٤٤، شوال، ١٤٣٣هـ.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

- سلوى الغالبي: الدور السري للقنصلية البريطانية في جدة من خلال الوثائق البريطانية، الموقع الرسمي لجامعة الملك عبد العزيز،

http://salghalbi.kau.edu.sa/Show_Res.aspx?Site_ID=195&Lng=AR&RN=64113

- سلوى الغالبي: الشريف عبد المطلب بن غالب بن مساعد آل زيد أمير مكة المكرمة رؤية جديدة في ضوء الوثائق البريطانية، الموقع الرسمي لجامعة الملك عبد العزيز،

http://salghalbi.kau.edu.sa/Show_Res.aspx?Site_ID=195&Lng=AR&RN=64115.

- شرف محمد الدباغ : آل الدباغ ، تحت الإعداد،

http://dabbaghs.blogspot.com/2008/07/blog-post_29.htm

المحتويات

المحتويات

الصفحة	المحتوى
ب	ملخص الرسالة باللغة العربية
ج	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية
و	الإهداء
ز-ح	شكر وتقدير
ط	الرموز المستخدمة في البحث
١٢-١	المقدمة
٦٩-١٣	التمهيد
١٤	أولاً: إمارة مكة المكرمة
٣٢	ثانياً: علاقة أمراء مكة المكرمة بالدولة العثمانية قبيل فترة البحث.
٤٦	ثالثاً: علاقة ولاية الدولة العثمانية بإمارة مكة المكرمة قبيل فترة البحث
١١٢-٧٠	الفصل الأول: الشريف عون الرفيق بن محمد
٨٥-٧١	المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته
٧٢	نسبه
٧٢	ولادته
٧٣	صفاته
٧٣	نشأته
٧٥	تواضعه
٧٦	عدله
٧٧	مدحه
٨١	عقيدته
٨٤	حالته الاجتماعية

الصفحة	المحتوى
١١٢-٨٦	المبحث الثاني: حياته ووفاته
٨٧	اشتراكه في التدريب العسكري
٨٧	الأعمال التي أشتهر بها:
٨٧	١- الخزناوية
٨٨	٢- فيل عون
٩١	٣- علي البو
٩٤	٤- بستان الشريف عون الرفيق
٩٦	٥- الضرائب التي فرضها الشريف عون الرفيق
١٠٤	٦- مساوئ الشريف عون الرفيق
١١١	وفاته
١٧٧-١١٣	الفصل الثاني: علاقة الشريف عون الرفيق بالدولة العثمانية
١٤١-١١٤	المبحث الأول: العلاقة بين السلطان عبد الحميد الثاني والشريف عون الرفيق
١١٥	- علاقة السلطان عبد الحميد الثاني بالشريف عون الرفيق
١١٧	١- تعيينه أميراً على مكة المكرمة
١٢٠	٢- العوامل التي أثرت على إمارة الشريف عون الرفيق:
١٢٠	أ- تعديلات القبائل
١٢٧	ب- القرارات الحكومية
١٢٩	ج- الإدارة المحلية
١٣٠	د- العساكر النظامية
١٣٢	هـ- عساكر الشريف
١٣٣	٣- الأوسمة المقدمة من السلطان عبد الحميد الثاني للشريف عون الرفيق

الصفحة	المحتوى
١٣٦	- علاقة الشريف عون الرفيق بالسلطان عبد الحميد الثاني
١٣٧	١- المعسكر الحميدي
١٣٨	٢- الاهتمام بالأعيان والعلماء
١٤٠	٣- المساعدات المقدمة من الشريف للسلطان عبد الحميد الثاني ...
١٧٧-١٤٢	المبحث الثاني: الإنجازات الحضارية
١٤٣	أولاً: الإنجازات المعمارية
١٤٣	١- المطبعة الأميرية
١٤٧	٢- الحميدية
١٤٩	٣- قلعة أجياد
١٤٩	٤- قشلة جرول " المسافر خانة "
١٥٠	٥- كركول الصفا
١٥١	٦- إصلاح وترميم العيون
١٥١	أ- عين الوزيرية
١٥٣	ب- عين زبيدة
١٥٤	ج- عيون وادي الطرفاء
١٥٥	ثانياً: الأوضاع الصحية
١٥٥	- الجهود المبذولة في المجال الصحي في ولاية الحجاز
	- في مكة المكرمة:
١٥٦	أ- الإدارة الصحية
١٥٧	ب- المستشفيات
١٥٦	١- مستشفى الغرباء بمكة المكرمة
١٥٩	٢- مستشفى العسكري
١٥٩	٣- المركز الصحي بأجياد

الصفحة	المحتوى
١٥٩	٤- مستشفى منى - في المدينة المنورة:
١٥٩	١- مستشفى الغرباء بالمدينة المنورة
١٦٠	٢- المستشفى العسكري - في جدة:
١٦٠	١- مستشفى جدة العام
١٦٠	٢- المستشفى العسكري - في الطائف:
١٦١	١- المستشفى العسكري
١٦١	- الأمراض والأوبئة في الحجاز
١٦١	١- الكوليرا
١٦٤	٢- الطاعون
١٦٥	٣- أبو الركب
١٦٥	٤- أمراض العين
١٦٦	ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية
١٦٧	- مصادر الدخل في ولاية الحجاز
١٦٧	أولاً: الحج
١٧٠	ثانياً: الجمارك " الإيرادات الجمركية "
١٧٢	ثالثاً: الضرائب
١٧٢	١- ضريبة الحجر الصحي
١٧٣	٢- ضريبة أجرة الجمال
١٧٤	٣- رسوم البرق والبريد
١٧٤	٤- ضرائب متنوعة

الصفحة	المحتوى
١٧٦	رابعاً: المساعدات الحكومية
	الفصل الثالث: علاقة الشريف عون الرفيق بولاية الدولة العثمانية
٢٤٨-١٧٨	في الحجاز
	المبحث الأول: علاقة الشريف عون بولاية الدولة العثمانية في
٢١٣-١٧٩	الفترة (١٢٩٩-١٣١٠هـ / ١٨٨٢ - ١٨٩٢م)
١٨٠	أولاً: الوالي عثمان نوري باشا " الفترة الأولى "
١٩٠	ثانياً: الوالي جميل باشا
١٩٣	ثالثاً: الوالي صفوت باشا
١٩٨	رابعاً: الوالي نافذ باشا
٢٠٢	خامساً: الوالي إسماعيل حقي باشا
٢٠٨	سادساً: الوالي عثمان نوري باشا " الفترة الثانية "
	المبحث الثاني: علاقة الشريف عون الرفيق بولاية الدولة العثمانية
٢٤٨-٢١٤	في الفترة (١٣١٠ - ١٣٢٣هـ / ١٨٩٢ - ١٩٠٥م)
٢١٥	أولاً: الوالي أحمد راتب باشا " الفترة الأولى "
٢٢٠	ثانياً: الوالي حسن حلمي باشا
٢٢٥	ثالثاً: الوالي أحمد راتب باشا " الفترة الثانية "
٢٢٨	- الوضع الأمني
٢٣٥	- الوضع الإداري
٢٣٦	- عزل العلماء والأعيان
٢٣٩	- الأوضاع الإدارية في المدينة المنورة
٢٤٠	- التلغراف
٢٤٣	- سكة حديد الحجاز

الصفحة	المحتوى
٢٤٧	عزل أحمد راتب باشا
٢٥٣	الخاتمة
٢٥٤	الملاحق
٣١١-٢٩١	قائمة المصادر والمراجع
٢٩٢	المصادر
٢٩٢	أولاً: الوثائق العثمانية غير المنشورة
٢٩٦	ثانياً: الوثائق العثمانية المنشورة
٢٩٥	ثالثاً: المخطوطات
٢٩٧	رابعاً: الكتب العربية والمعربة
٣٠٠	المراجع
٣٠٠	أولاً: الكتب العربية والمعربة
٣٠٨	ثانياً: الكتب الأجنبية
٣٠٨	ثالثاً: الرسائل الجامعية
٣٠٩	رابعاً: المقالات والأبحاث
٣١١	خامساً: المواقع الإلكترونية
٣١٢	المحتويات